

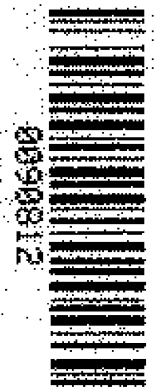
الدكتور شوقي أبو خليل

الحلقات الساكنة

وحوار
مع مستشرق

دار الفکر
دمشق سورية

المعاصر
بيروت لبنان



Bibliotheca Alexandrina

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحق كائينما
وحوار مع مستشرق

الدكتور شوقي أبو خليل

الحِوَارُ كَأَهْمًا وحوار مع مستشرق

دار الفکر
بيروت - سورية

دار الفکر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي : 1003
الرقم الدولي : 4 - 014 - 57547 - 1 ISBN
الرقم الموضوعي : 210
الموضوع : دراسات إسلامية
العنوان : الحوار دائماً ، وحوار مع مستشرق
التأليف : الدكتور شوقي أبو خليل
الصف والتصويري : دار الفكر بدمشق
التنفيذ الطباعي : المطبعة العلمية بدمشق
عدد الصفحات : 192
قياس الصفحة : 17 × 25 سم
عدد النسخ : 2000

الإصدار الثالث 1416 هـ / 1996 م
الطبعة الأولى 1994 ،



جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة
والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي
وبغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من
دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
سورية - دمشق - ص.ب (962)
هاتف 2239717 ، 2211166
بريقاً : فكر
فاكس 2239716

مقدمة

« إن اختلاف المختلفين في الحق ، لا يسوجب اختلاف الحق في نفسه » .

ابن السيد البعلبكي

بسم الله القائل في محكم التنزيل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١/٥٨] .

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله ، الذي خاطبه الله بقوله الكريم : ﴿ قَبِإِ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ أَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ قَظْمًا غَلِيظًا لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧/٢] ، صلى الله على نبيِّنا الكريم القائل في تفسير هذه الآية : « مشاورة أهل الرأي ثم أتباعهم » ، ورضي الله عن الحسن البصري الذي قال معلقاً على هذه الآية الكريمة : « قد علم الله أن ما يرسله حاجة إليهم ، ولكن أراد أن يقتدي به من بعده » ^(١) ، وبعد ...

منذ الشهر الثالث من عام ألف وتسع مئة واثنين وتسعين ، وأنا أفكر بكتاب يضم بين دفتيه موضوع : (الحوار أولاً .. والحوار دائماً) .

الحوار أولاً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة .

والحوار أولاً بين الفئات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها .

(١) وقال قتادة : « أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء ، لأنه أطيّب لأَنْفُسِ النّوَمِ » .

والحوار أولاً بين المذاهب الإسلامية سنة وشيعة .

والحوار أولاً بين الإسلاميين وبين العلمانيين .

والحوار أولاً بين المسلمين وبين أهل الكتاب .

والحوار دائماً للتواصل ، ولواصله الألفة ، والسعي الحثيث للوصول إلى الحقيقة ، بعيداً عن التعصب ، وتطبيقاً للقاعدة القائلة : استدل ثم اعتقد ، لأن تعتقد ثم تلوي أعناق النصوص إلى ما يوافق اعتقادك .

الحوار أولاً .. تنفيذاً لأمر الله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤/٢٤] .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقَمَا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ خَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى :

[٤٨/٤٢] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤/٣] .

والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصف ، وإلا فالطوفان قادم ، وسيجرف الجميع .

الحوار الذي هدفه الوصول إلى الحقيقة لا اعتناقها ، والوصول إلى الطريق الأصوب لسلوكه ، والوصول إلى التواصل المثمر ، والبعد عن التجافي ، كي لا نصل إلى موقف : أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورَ الْأَبْيَضَ .

حوار لا تقف فيه وقفة الحُضَمَيَّينِ المتضادَّين المتباينين ، حيث موقف نصره النفس ، وتفنيد مزاعم الآخر ، بأدلة من شأنها أن ترفع القدر ، وتخط من مقام الناس ، بل تقف وقفة احترام للآخرين ، ونضع كلامهم وأمورهم على أحسن الوجوه ،

ما وجدنا لها وجهاً حسناً ، مع مجانبة الحقد ، وعدم الاستخفاف بأحد ، مع الألفة التي توجب الأخوة ، والأخوة التي أوصت بحسن العشرة ، وحُتت على كريم الصُحبة .

الحوار الذي يفتح الأبواب للموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين ، ويزيل ما توهم كلٌّ عن الآخر ، والذي من أهمّ سماته ألاّ تشكييل لفكر ، ولا اتّخاذ لموقف إلاّ عن قناعة ودليل وتوثيق ، وإن خالف الهوى ، ودون خوف من نقد مثير متبصّر ، بعيداً عن نقد التّقريع والتّشهير ومصادرة الأفكار والرّأي الآخر ، مع التّأكيد على نقاط الالتقاء ، بعيداً - في أوّل الخطى - عن نقاط الافتراق ، لأنّ التّركيز على نقاط الافتراق والخلاف ، يؤدّي إلى بزوغ السّلك الحاقد ، كما أنّ التّركيز على نقاط الالتقاء يوصل إلى بزوغ السّلك التّعاوني المتّسم بالحبّ والوداد .

الحوار أوّلاً .. بعيداً عن المواقف المتحجّرة ، التي توصل - وقد أوصلت - إلى ضيق الأفق ، والبعد عن الحقيقة ، وبعيداً عن تضييع الكلّ في سبيل الجزء ، فالإسلام كلّ ، وللذهب جزء ، والعاقِل لا يعيش في ظلّ اللّذهب ، بل يعيش في ظلّ الإسلام ، ويموت في كنفه .

حوار يعتمد على محاماتنا المبنية على أصول الإسلام وأهدافه ، لا الحوار الذي يسير في ركاب من يفكر لنا ، أو في ظلّ إرادة غيرنا ومشورته وأهوائه ، فالكلّ خاضع للحوار والمناظرة ، ومطالب بالدليل من الكتاب والسّنة ، ولقد قيل :

« اجتمع متناظران ، فقال أحدهما للآخر : هل لك في المناظرة ؟ قال : على شرائط : أن لا تغضب ، ولا تشغب ، ولا تعجب ، ولا تحم ، وعلى أن لا تجعل الدّعوى دليلك ، وأن لا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلاّ جوّزت لي تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التّصادق ، وتنقاد للتّعارف ، وأن يبقى كلّ منا في مناظرته على أنّ الحقّ غايته ، والرّشد بغيته » .

والحوار واجب وضرورة في هذا العقد الأخير من القرن العشرين ، حيث قيام النظام الدولي الجديد ، ينفذ عملياً : « لتذهب جميع الشعوب إلى الجحيم ، مادامت مصارف أوربة وأمريكا تترفع على عرش المال^(١) » ، وتشعل بأيديها مواقد الحروب. متى شاءت بقرار نظامي شرعي لمجلس الأمن ، يقع على عاتق أمريكا تفسيره وتنفيذه « ، وهذا النظام الدولي الجديد جعل ورقة حقوق الإنسان ورقة رابحة في يده ، يلوح بها في المكان الذي يريد ، والزمن الذي يُحدّد ، ويضعها على رفوف المحفوظات في المكان الذي يريد ، مع العلم أن حقّ النقض (الفيتو) الذي تملكه يخالف أبسط قواعد حقوق الإنسان ، فأَيُّ (ديمقراطية) في الأمم المتحدة مع حقّ النقض الذي يتمتع به الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن ، حيث لكلّ عضوٍ منهم الحقّ في أن يكون بمفرده أقوى من كلّ أعضاء الأمم المتحدة مجتمعين ؟ علماً ألاّ دُوّر في هذا المجلس لمليار ومئتي مليون مسلم ، ولاحظ فيه للقارة الإفريقية ، ولا ثقيل فيه لأمريكا اللاتينية .

حوار في زمن التشهير ميزانيته السنوية عشرات المليارات من الدولارات ، جاعلاً العالم الإسلامي في قبضة الجهل والمرض والفقر .

حوار في زمن يتطلّع الناس فيه إلى (آفاق المستقبل) ، وأين سيكون قلب العالم غداً ؟

حوار في عالم يتحدث عن الغد ، وشريحة عريضة من المسلمين محور حديثها ، وقطب انطلاقها ، خلاقات سياسية تاريخية ، مضى عليها أربعة عشر قرناً ، أفما أن ترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونبي المستقبل في ضوء هذه الخبرات ووقائع الحاضر ؟ ولو حرص بعضهم على امتزاج دون ذوبان ، أو اختلاط دون اقتران .

(١) ديون العالم الثالث تقدر بمئات المليارات من الدولارات ، فوائدها السنوية عشرات المليارات ، قديون الجزائر الخارجية - مثلاً - ٢٧ مليار دولار ، تدفع الجزائر من دخلها القومي السنوي المقدّر بـ ١٢ مليار دولار ، تدفع ٩ مليارات دولار - كلّ عام - لالسداد الديون ، بل فوائدها وعولات ، وتبقى الديون ثابتة = ٢٧ مليار دولار ١٩١

الحوار في زمن وُصِفَ فيه الإسلام بالعنف ، ويرفضه الحوار ، مع مصادرة آراء الآخرين ، حتَّى قالت (بربرا والترز) - وهي من أشهر مقدِّمات البرامج في التلفاز الأمريكي - تصف أحد كبار السِّيَاسِيِّين للمسلمين ، إنَّها لم يكن في تصوُّرها أن أحد المسلمين يحدِّد وقته بدقَّة ، بل ويحترم مواعيده ، ولم تكن تعرف بوجود مسلم يحترم المرأة ، ويصل إلى ما يريد بالعقل والحوار ، وليس بالخطف والإرهاب^(١) .

العالم يتحدَّث عن عالم الغد ، وعن انهيار الولايات المتَّحدة مع مطلع القرن الحادي والعشرين ، حيث يصبح لها وضع شبه ثانوي ، والبديل هو اليابان وأوربة المتَّحدة (البيت الأوربي المشترك)^(٢) .

ويتحدَّث أيضاً عن الأشياء التي سيستهلكها النَّاس عام ألفين وما بعده ، وبأى شكل ستبدِّل أنماط حياتهم وحاجاتهم وطموحاتهم وأحلامهم ؟ وما الذي سيحقِّقه : (التيليفاكس : Telefax) ، أي : الرِّسالة المَهتوفة ، الرِّسالة الحارقة لكل أنظمة الرِّقابة ، والتي ينتشر الخبر من خلالها بسلسلة هندسيَّة ، فما يُطبع في أقاصي الدُّنيا يُنقل بعد سويِّعات إلى أَدانيها ، وإلى كلِّ أرجائها ، وما يَصوَّر في العواصم الأوربيَّة خلصة ، ويهم الأُمَّة العربيَّة ، والعالم الإسلامي ، ينقل (بالتيليفاكس) في اليوم ذاته إلى أرجاء الوطن العربيِّ كله ، والعالم الإسلامي ، ليفضح أموراً ، ويكشف عن أخرى .

والخبر للمنوع ، والصُّور المحظورة ، تصل لمن يسعى إليها ، ولمن لا يسعى ، ولكن ... مع الحوار الصَّادق الواضح الجلي ، لا خوف من (التيليفاكس) ، ولا من غيره مها تقدِّم العِلْم وتقدِّمت وسائل اتِّصاله ، لأنَّ (الصِّدق والوضوح) يزيلان العمليَّة التُّراكيَّة من التَّسليم والخداع ، والتَّسليم دون قناعة ، وبعد ذلك تكون المفاجآت !

(١) العالم الإسلامي : ١٢٨٤ ، الإثنين : ٩ - ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢ ، ص : ٥ .

(٢) أفاق للمستقبل ، جاك أثنان (مستشار الرُّئيس الفرنسي فرنسوا ميتران) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ = ١٩٩١ .

هذا ، ومنذ شهر آذار (مارس) سنة ١٩٩٢ م ، وأنا أفكر في كتاب بحث على الحوار ، حيث الحجّة والعقل ، وحيث نبذ العنف الذي يدل على التّحجر ، وإيصاد باب البحث عن الحلول العقلانيّة ، وحيث نهاية التّدابير ، وترك التّخيّلات كلّ عن الآخر ، عكفت في رحلتي إلى باكو ، عاصمة جمهوريّة أذربيجان ، من الثّالث والعشرين من الشّهر الخامس ، حتّى السّادس من الشّهر السّادس ١٩٩٢ م ، على تلاوة كتاب الله المجيد ، مستخرجاً كلّ آيات الحوار ، فإذا معظم سور القرآن الكريم لا تخلو من حوار ، أو حوارات ، ناهيك عن تحكيم العقل والتّدبّر والتّفكير ، حوار شامل عام ، مع كلّ الفئات والشّرائح المختلفة المتباينة عقائدياً ، ولو أردت إيرادها هنا لاحتجت إلى كتاب برأسه ، ولكن يكفيني القول : إنّهُ قبل خَلْق الإنسان كان الحوار ، الحوار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٠/٢] .

وعدت إلى دمشق ، ورحلت أبحث في مجالس الحوارات والمناظرات الّتي كانت تعقد في العهدين الأموي والعبّاسي . فوجدت الكثير الكثير ، كالحوارات الّتي كانت تدور في مجالس معاوية بن أبي سفيان مع عدد من الصّحابة ، وكحوار عمر بن عبد العزيز مع الخوارج ، وتبقى مجالس المناظرات في عصر المهدي والرّشيد شواهد على حرّيّة الفكر في العصر الذّهبي لحضارتنا العربيّة الإسلاميّة ، مثل : المناقشات الحارّة بين سيبويه والكيسائي (علي بن حمزة) في شأن مسألة لغويّة ، وبين الشعراء والأدباء في تفضيل شاعر على آخر ، وبين أهل السنّة والجماعة وبين المعتزلة في أمور فلسفيّة ، وبين المسلمين والمسيحيّين ، والمسلمين وزعيم المانويّة (يزدانيخت) ، وهذا يدل دلالة واضحة على ما كان للمناظرة في هذا العصر الذّهبي من مكانة ، حتّى أصبحت من أهمّ مميزات ، وكبريات آثاره .

وجاء في (جواهر الأدب)^(١) مناظرات لطيفة ، مثل :

مناظرة بين السيف والقلم ، لزين الدين عمر بن الوردي ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .
ومناظرة بين الليل والنهار ، لمحمد المبارك الجزائري ، وله أيضاً مناظرة بين
الأرض والسماء .

ومناظرة بين فصول العام ، لابن حبيب الحلبي ، المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .

ومناظرة بين الجمل والحصان ، للمقدسي ، للتوفى سنة ٨٧٥ هـ .

ومناظرة البر والبحر ، وأخرى بين الهواء والماء ...

ومن المناظرات التاريخية الهامة في العهد العباسي : (الحيدة ، أو المناظرة الكبرى
في محنة خلق القرآن^(٢)) ، والتي دارت بين الإمام عبيد العزيز بن يحيى بن مسلم
الكناني ، وبين بشر المريسي ، بحضرة المأمون^(٣) الذي قال لعبد العزيز : « إنه قد اتصل
بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع ، وقولك إن القرآن كلام الله ... إلخ ، بحضرة
الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك
على القول لتناظرهم في حضرتي ، وفي مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم بينكم ، فإن تبيّن الحجة لك عليهم ،
والحق معك أتبعناك ، وإن تكن الحجة لهم عليك ، والحق معهم عاقبناك ، وإن
استقلت أقلناك » ، ثم أقبل للمأمون على بشر المريسي ، وقال : يا بشر ، قم إلى
عبد العزيز فناظره وأنصفه .

(١) جواهر الأدب (المناظرات) : ٢٢٤/١ ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف - بيروت .

(٢) انظر طبعة : دار الفتحة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٨٢ م .

(٣) المأمون العباسي : [١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٢٣ م] عبد الله بن هارون الرشيد ، تابع الخلفاء من
بني العباس في بغداد ، أطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلسفة ، لولا الحنة بخلق القرآن في
السنة الأخيرة من حياته .

الحوار ضرورة ، لأنه من الطبيعي عند بني البشر ، وللسامعون بشر ، ولكن مادام لهم (ميزان) ، لا مانع من الخلاف ، بأدابه الإسلامية ، ولا (للاختلاف) ، ولا لقتل حاضرين ومستقبلنا باسم اختلافات مضت ، وأضحت تاريخاً .

ذكر ابن القيم أن هنالك مئة مسألة خلاف بين عمر بن الخطاب ، وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، وعلى الرغم من كل ذلك ما قص حب أحدهما لصاحبه ، وما أضعف من تقدير ومودة أي منهما للآخر ، حتى جاء ابن مسعود اثنان ، أحدهما قرأ القرآن الكريم على عمر رضي الله عنه ، وآخر قرأه على صحابي آخر ، فيقول للذي قرأ على عمر : أقرأ فيها عمر بن الخطاب ؟ فيجهر ابن مسعود بالبكاء ، حتى يبل الحصى بدموعه ، ويقول : أقرأ كما أقرأك عمر ، فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً ، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه .

والحوار الصحيح ، إن صدقت النيات ، لا يصل فيه أحد الطرفين إلى قواعد ، أو نتائج ، تشبه العبارات الآتية :

دائرة مربعة ، أو مثلث متوازي الأضلاع ، أو : النزول إلى الأعلى ، أو : الصعود إلى أسفل ، أو إن يحيط نصف الدائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكها بكلمة (نصف) .

فن دعوات الجاحظ (عمرو بن بحر) لصديق يحبه : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الخيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصديق سبباً ، وجبب إليك التثبت ، وزين في عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذلُّ البأس ، وعرفك ما في الباطل من الذلة ، وما في الجهل من القلة » .

وجعل العلماء آداباً للمتناظرين المتحاورين ، وهي :

- ١ - أن يتحرّزا من إطالة الكلام ومن اختصاره .
- ٢ - وأن يتجنبّا غرابة الألفاظ وإجمالها .
- ٣ - وأن يكون كلامهما ملائماً للموضوع .
- ٤ - وألاّ يسخر أحدهما من صاحبه .
- ٥ - وأن يقصد كلّ منهما ظهور الصّواب ، ولو على يد صاحبه .
- ٦ - وألاّ يتعرّض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه .
- ٧ - وأن ينتظر كلّ منهما صاحبه حتّى يفرّغ من كلامه^(١) .

ويعد ...

أرجو أن أضع النّاس على اختلاف مشاربهم أمام الحوار أوّلاً ، والحوار دائماً ، علّنا جميعاً نتوصّل إلى حلّ مشكلاتنا عن طريق الحوار ، والعقل ، والحجّة ، لا عن طريق العنف ، أو التّسليم بلا دليل .

يقول الله تعالى في حكم التّزويل :

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدَ فَيَذْهَبَ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧/١٢] .

الدكتور شوقي أبو خليل

دمشق : ١ محرم الحرام ١٤١٥ هـ ،

١٠ حزيران (يوليو) ١٩٩٤ م .

(١) رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد نهي الدين عبد الحميد ، ط ٧ سنة ١٩٥٨ ، المكتبة التّجارية الكبرى - القاهرة .

الحوار دائماً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُتِرَ لِكُلِّ مَعْنَمٍ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

[البقرة : ٢١٣/٢]

إنَّ مما يوصم به الإسلام من قبل أعدائه ، رفضه للحوار ، لإيمانه بالعنف ، ولنبيذه مبدأ حرّية الاعتقد . وصواب ما سبق : مما يوصم به بعض زعماء المسلمين وبعض مشايخهم ، وغلاة المتصوّفة منهم خاصّة ، رفضهم للحوار ، خوفاً من النقد أن يهدم الهيبة المصطنعة ، والمصالح الشخصيّة ، والمنافع المكتسبة ، فهم في منهجهم الصوفي المغرّق ، وفي تربيتهم وسلوكهم يفتالون الحرّية ، ويصادرون العقل ، ويعطّلون الفكر ، إنهم يحون شخصيّة المريد تماماً .

مع أنّ الدّين الحقّ لا يعانق إلا العقل ، فعنان من مثل يعقلون ، ويتفكّرون ، وأولو الألباب ، وأولو النّهي ، الذين يتدبّرون ، لا تجدها في الأدب الجاهلي ، فالعقل غذاؤه العلم والبحث ، وتحكيمة في أمور الحياة أمر فطري طبيعي ، وللعكساء قاعدة فلسفيّة تقول : إنّ القسر لا يدوم ، وإنّ التّيّار غير الطّبيعي لا يبقى ، والتّيّار الفطري

هو الأقدر على البقاء والثبات ، ومن مميزات الإسلام أنه قد اعترف بجميع الميول الفطرية في الإنسان ، ولم يرفضها ، ولم يمنح لإحداها سهاً ونصيلاً أكثر مما تستحقه .

« والعالم الذي يتقبل الشيء أو يرفضه دون دليل .. لا يمتلك الروح العلمية ، إنه مجرد مستودع فحسب لمجموعة من المعارف ، وآلة تسجيل قد سجلت كل ما تعلمته^(١) وعرفته ، ولكن لا يوجد في روحه ذلك النور والقياس السليم للقبول والإنكار ، إذن فليست روحه علمية^(٢) » .

المخلصون يعلمون ، أنه من قبل خلق الإنسان كان الحوار ، وسور القرآن الكريم زاخرة بآيات الحوار ، لذلك .. فهم يحاورون ، ولا يضرم الحوار ، بل يزيدهم رفعة وسلامة بالرأي .

وغير المخلصين حينما يفلقون باب الحوار ، يفرغون الإسلام من جوهره في تحكيم العقل ، ويجردون الإيمان من لبابه ومن ركائزه ، فإن قال رجل غيور في الجماعة كلمة الحق الموثقة المخلصة ، ولم توافق أهواءهم أو مصالحهم اللادنية ، قالوا عن قائل كلمة الحق : لقد ارتد ، وإن استفسر آخر عن مسألة أو قول أو فعل يخالف الشرع بجلاء ووضوح ، أو عن صلة بجهة مشبوهة ، لها صلتها بالماسونية والصهيونية العالمية ، بل تلك الجهة هي الماسونية والصهيونية العالمية^(٣) ، قالوا عنه : لقد نافق ، وهو سبي الأدب مع شيخه ، وما أفلح من قال لشيخه : (لم) .

وأحكامهم هذه أمر حتمي ، نتيجة مسلكهم التربوي ، لقد جعلوا من شعاراتهم : خطأ الشيخ خير من صواب المريد ، والمريد بين يدي الشيخ كالحنط بين يدي الحنط ، وإن قال الشيخ ، إن اللبن أسود ، فيجب الاعتقاد بذلك ، ولا يدري المريد الحكمة الإلهية التي وراء قول الشيخ !

(١) والأصوب أن نقول : كل ما قلناه .

(٢) مقالات إسلامية ، مرتضى الطهري ، ص : ٥٧ ، دار المعارف للطبعات - بيروت .

(٣) ولا أعني هنا شيخاً أو جماعة بعينها ، أبداً ، إنما الحديث عن منهج هذه التربية الانطوائية السلطانية .

إنَّ الحوار يفسد عليهم سطوتهم ومنافعهم المادّية . ويحجّم هيبتهم الجوفاء ،
الفارغة المضمون ، فدويلّ للمسلمين من ذلك الوحش الكاسر الذي لا يعرف قياً إلاّ
الكسب والمادّة والزُعامة ، والتّعظيم الفارغ المحتسّى ، والذي لا يعرف إلاّ الكذب
مبذرين ارتكابه بالمصلحة العامة ، والنفاق معلّنين اقترافه بالحرص على سلامة الجماعة ،
ناهيك عن التدجيل والمراوغة والعصبية للآل والأقارب ، وللمالكين للمنتفعين ، الذين
يحبّون من أحبّ الشّيخ ، ويغضون من أبغض الشّيخ ، دون فيصلٍ من عقل ، أو حكم
من حوار .

إنهم يعيشون أجواء المحبة والرّابطة الجاهليّة ، ويتمرّضون في أكناف العصبية
القبلية ، لأنّهم لقّنوا أن الشّيخ أوحده دهره ، وفريد زمانه ، وكلّ (أولياء) الدّنيا تحت
جناحه ، فإن طالب منصف بالدليل وسأل عن البرهان ، جاء الجواب : « مَنْ يعرف
يعرف ، ومن لا يعرف يقول كفاً عدس » . ونتيجة طبيعيّة لهذه المبادئ ، يهاجم
الآخرون وينتقدون دون معرفة علمهم وعملهم وإخلاصهم في مضمار الدّعوة الإسلاميّة .

ومن يرفض حديثاً موضوعاً مكذوباً على رسول الله ﷺ ، مثل : « ماصبٌ في
صدري شيءٌ إلاّ وصيبتَه في صدر أبي بكر » ، و « من أصلح جَوائِبه ، أصلح الله برائِيه »
و : « مَنْ صَلَّى خَلْفَ عِصَامٍ رَكَعَتَيْنِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ كَلِمَتَيْنِ ، وَمَشَى مَعَهُ خَطَوَتَيْنِ ،
أَسْكَنَهُ اللَّهُ جَنَّتَيْنِ ، بِقَدَرِ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ » ..

من يرفض هذه الأحاديث للموضوعة ، توجّه إليه أصابع الاتّهام ، إنّه يشكّك
بمسيرة الجماعة ، ويهدم بعضاً من أركانها .

ومن لا يقبل أن يُحمّل معنى آية كريمة فوق ما يحتمل ، مرتدٌ نكص على عقبيه .

ومن يرفض الرّؤى والنامات ، والقصص الرّمزيّة للتكرّرة التي توظّف في غير
محلّها ، خصوصاً إذا خالفت الشرع ، عدوّ ، مندرسٌ ينسّق مع أعداء الجماعة ، إنّ
حصوننا مهدّدة من داخلها .

الاتهام سهل ويسير ومعدّ مسبقاً ، واختراع الافتراء أمر أسهل وأيسر .
أمّا مغض العيّنين ، فهو المخلص في جماعته ، لذلك تراه من اللقربين .
ومن يرفض السطحيّة والدّجل ، فهو مرفوض خطر على الجماعة .
والمستسلم الذي نحى عقله ومحاكمته ، مؤمن منور القلب ، خاشع ذاكر ، مَبَشِّر
بالجنة .

« إنَّ القسر لا يدوم » ، قاعدة أثبت الواقع سلامتها ، وإنَّ التّيار غير الطّبيعي
لا يبقى ، والتّيار الفطري هو الأقدر على البقاء ، بل هو الباقي ، وتجارب الشّباب مع
معطلي العقل قاسية ومريرة ، تجارب تمثّل مصادرة الفكر ، ورفض الحوار ، ومن قال
لشيخه : « لَمْ » لا يفلح ، يتّوا جماعتهم على التّسليم ، وليريد بين يدي الشّيخ كالميت
بين يدي مغسّله .

جلست مع أحدهم ، وقلت له :

الحوار أولاً ، والحوار دائماً ، وصحيح أن اندمال الجرح أبطأ من حدوثه ، وإنَّ
اختلاف المختلفين في الحقّ لا يوجب اختلاف الحقّ في نفسه ، « يهمني أمر الجماعة ،
وسلامة مسيرتها ، والاستفسار والتصويب ، وإزالة الشكّ باليقين هو الهدف ، وأرفض
تصفية الحسابات ، والإدانة للإدانة ذاتها ، والإصلاح ووحدة الجماعة هما الهدف المرجو ،
إنّك تعتقد أن الأمور تجري بشكل سليم ، وتقرّ على الوجه الأكمل ، مع أنّ التّساؤلات
كثيرة عند عدد كبير من الشّباب ، الذين لا يسمعون إلّا أحبّوا الشّيخ ، وبرّوا الشّيخ
تدخلوا الجنة ، هذا هو المنهج ، وهذا هو التّوجيه ، وهذا هو الفكر المطروح أولاً
وآخرأ .

واعتقد ، ويعتقد منتفعون من حولك ، أن الأغلبية السّاحقة ضمن الجماعة معكم ،
تؤمن بما توجّهون ، وتصادق على ما تصنعون ، والحقيقة والواقع غير هذا ، كثيرون

لا يتكلمون خشية منكم على رزقهم ، ولقمة عيشهم التي طوّقتم أعناقهم بها ، أمّا قلوبهم فتعجّ بالتساؤلات ، ويإنكار أعمالهم وصلاتكم ، تعالوا إلى الحوار ، مع تسجيله وتوثيقه ، وكلّ إجابة مقنعة أو غير مقنعة تسجّل ، والطرفان - أنا وأنت - ملزمان شرعاً على قبول الإجابة المقنعة ، والدليل الواضح ، والحجّة المؤثقة ، والشرع هو الميزان ، كتاباً كريماً ، وسنة شريفة ، والعقل قاضٍ ، فلا نقبل تعطيل الشرع والعقل ، لنقبل أن الخراطوم عاصمة سيبريّة ، وأيسلندة في الربع الخسالي ، والأب (صن مون)^(١) في نيويورك مؤمن مّوحد ، وهو يدّعي علناً أنّه المسيح المنتظر ، والوحي يتنزّل عليه ، وأهدافه صهيونيّة باعتراف من زاره أكثر من مرّة .

وبصدق واحترام ، سألته أسئلة كثيرة ، ومضت سنتان وأكثر ، ولم ألقَ جواباً واحداً .

(١) حركة صن مون (المونيّة) حركة مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة ، بهدف إلغاء الفوارق الدينيّة بين الناس لينصهروا جميعاً في بوتقة (صن مون) الكوري ، الذي ظهر نبوّة جديدة في هذا العصر الحديث .

ولد القس الثري (صن مون) في كورية سنة ١٩٢٠ م ، وادّعى بأنّه على اتصال بالمسيح منذ ١٩٣٦ م ، وفي سنة ١٩٧٣ م انتقل إلى الولايات المتّحدة ، وهو رئيس المجلس العالمي للأديان ، وفي سنة ١٩٨٥ م أعلن (شاخ هوان كواك) الذي يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان ، في مؤتمر انعقد بتركية عن نبوّة (مون) وأنّه يتلقّى الوحي Revelation من السّماء .

واليهودي (فرانك كولمان) من أتباع (مون) ، ويعمل في مؤسسته ، ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركية أن يفهموا موقف الأديان الأخرى مثل اليهوديّة والبوذيّة والمهندوكيّة .

إنّ اليهود يسعون دائماً .. باعتبارهم أقلّيّة مفسدة - لبث دعاوى إذابة الفروق بين العقائد ، بما يهدد الطريق لهم ليتغلغلوا في شعوب الأرض ، ويكونوا هم المستفيدين في النّهائية على حساب الأديان الأخرى جميعاً .

إنّ هذه الحركة تدورن فلك الحركات المسخّرة لخدمة الصهيونيّة العالميّة ، وإنّ الشّراء الفاسح الذي يتحرّك فوقه (صن مون) ليشير إلى الجهة التي تؤلّه وتقف وراءه لتستفيد من علمه ودعوته في تفتيت الأديان وتحطيم الأخلاق [الموسوعة الميشرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ٤٩١] .

يُست من حوار كان من طرف واحد ، وتيقّنت ألاّ جواب - بعد سنتين - عنده ، على الرّغم من متابعة الأمر من قبل شاهد حضر جلسات الحوار كلّها ، وأيقنت أن التّربية الصّوفيّة المتزمّنة لا تقبل حواراً ، ولا تسمح بالاستفسار عن أمر ، فاهيك عن النقد البناء ، حيث خير الجماعة وسلامة خطواتها إلى المستقبل .

وكانت خاتمة المطاف في تجربتي هذه ، كتابة وصيّة إليه ، معذرة إلى الله ، كتبت فيها :

ومضة فكريّة اقتنصها الخاطر في دقائق معدودات ، وصغتها بعد ذلك على رويّة ، فهي رأيي ، وقد تكون رأي كثيرين ممّن همهم ما يدور في مسجدهم ، ويتساءلون بصمت : من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

فلسامة المسيرة واستمراريتها معافاة ، ولكي تكون بين النّاس ندّاً ومسكاً وغاليّة ، أوصيك بإنزال النّاس منازلهم بقدر خدماتهم الفعلية للإسلام ، لا بقدر أقوالهم^(١) ، أو أمثالهم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ [الحجرات : ١٢/٤٩] ، لا أغناسكم ، ولقد حذّر ﷺ من تكريم الغنيّ لغناه .

وتذكّر أنّه من أشدّ أنواع البلاء شامة الأعداء ، وأنّ الشُّورى - مع النّخبة - تبعدك عن الخطأ ، وتجنّبك التّدامة ، ولا تعدّ أحداً بشيء قبل ضمان التّنفيد ، لقد قال العرب في أمثالهم : « لا مروءة لكذوب » .

واحذر الزاودين ، فمن يكثر ويكرّر ولاءه ، ويبيدي تمسكته وتفانيه في الخدمة ، متهم في قرارة نفسه ، يحاول دفع ذلك بصورة كاذبة من التّسليم المطلق ، وعليك بالفعّال قليل الأقوال ، والزم من صدّقك ، لا من صدّقك ..

(١) قال أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (للتوفي ٥٩٤ هـ / ١١٨٧ م) : « إذا رأيتم من يدّعي حالاً مع الله تعالى وليس على ظاهره شاهد فاحذروه » ،

... وإياك والتعامل بوجهين ، لأنَّ ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً كما أخبر سيّد المرسلين ، وأعلم أنه « ما انتزح رجل بإزار أهتك لعرضه ولا أثلم لدينه من البخل » قال ﷺ : « السخي قريب من الله تعالى ، قريب من الناس ، قريب من الجنة بعيد عن النار ، والبخیل بعيد عن الله ، بعيد من الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار » ، وبذلك يكون للمسلم ، المقصّر السخي الكريم ، أحب إلى الله ، وأقرب من المسلم العابد البخیل الشحيح .

وشجّع على الأخذ بالعلوم الشرعيّة كلّها ، وعمق ، لتدفع بكلّ ما أوتيت من قوة وضة ضحالة الفكر ، وندرة العلم عن الجماعة ، بسبب بعدها عن طلب العلم والمطالعة ، واكتفائها بالذکر ليس غير ، فهذا الطرح مضى زمانه وانتهى ، و « كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويفضّض إذا نُسب إليه ^(١) » .

ولا تجعل العلم سلعة تباع وتشترى !!

وافتح أبواب السودة للمسلمين كافة ، مع الصلّة المدروسة ، ويُعدّأ بُعداً عن كلّ مشبه ، خصوصاً في الخارج ، واجعل خطوط المسيرة واضحة كالشمس في رابعة النهار ليس من دونها سحاب ... وشارك من تشق بعقلهم وإخلاصهم بمسؤولية القرار ، و « خطأ الشيخ خير من صواب المرید » مقولة مرفوضة في ضوء الكتاب والسنة ، قال أرسطو : « أنا أحب أفلاطون كثيراً ، ولكنني أحب الحق أكثر » ، ومثل هذا القول قاله ابن القيم بحق أستاذه الكبير ابن تيمية ...

.. لا تتكلم إلا مع البيّنة والدليل الوثق ، واسمح بالحوار ، فالروح العلميّة رائدها الحق من أيّ أفق ظهر ... وليكن الحوار اختلافاً لا خلافاً ، واختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية .

(١) وقد قيل : لا بدّ من أن تُعطى العلم كلّك ، حتّى يعطيك بمضه .

اقرأ كل يوم ساعة أو ساعتين على الأقل ، قراءة استيعاب .. ودون الجديد
الطريف على بطاقة ، كي تسهل عليك العودة إليه عند الحاجة دون كبير عناء ..

لا تسمح لأحد ، مهما كان شأنه أن يذكر أخاه عندك بسوء ، ومن يذكر أخاه بسوء
ابقه عندك ، واستدع الطرف الآخر ، عندها لن تسمع إلا الحقيقة التي تُقال بالوجه ،
مدعمة بالدليل الملموس ، وستُنهي بذلك تسعين بالمئة من مشكلات الغيبة ، والبهتان ،
والإفك ، والقييل والقال ، وضياح الوقت ، فالوقت أثمن ماغلك ، إنه الحياة ...

ولا أوصيك بالتمسك بشرع الله ، أو بالتقوى ، فهذه وصية لكل مسلم ، أمّا أنت ،
فأوصيك بالورع ، لأنك في مقام القدوة ، لقد قالوا عن أبي حنيفة : كان يتحلّى
بالورع في جميع شؤونه ويتحرى الحلال في جميع أعماله .

سأل تميم بن عدي اليربوعي عبد الله بن عباس قائلاً : بماذا يتم عقل الرجل ؟
فقال : إذا صنع للعروف مبتدئاً به ، وجاء بما هو محتاج إليه ، وتجاوز عن الزلة ،
وجازى على المكرمة ، وتجنب مواطن الاعتذار ، فقد تمّ عقله .

فعضد المسيء بحسن أفعالك ، ودل على الجميل بجميل خيالك .

واعلم أن الإسلام فيه غيب ، ولكن برهانه من عالم الشهادة ، فاجعل من عالم
شهادتك برهاناً على خفايا نفسك وحياتك .

أرجو الله أن يجعلك من طال عمره ، وحسن عمله ، وجزاك خير الجزاء ، وجزاء
الخير ..



من ركائز الحوار ضمن الجماعة الواحدة :

الشورى :

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩/٣] .

الشورى ظاهرة سلبية تجعل الفرد إيجابياً وفعالاً ومساهماً بدور بارز في الحياة .

احترام الناس وإشعارهم بأقذارهم :

« فن العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير ، ولكن العظيم بحق ، هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنه عظيم » .

جاء في [عيون الأخبار : ٢٦٤/١] : « قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من السراج ، فقال له رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، لِمَ لأمرتي بذلك ؟ أو دعوت له من يصلحه ؟ فقال : قتت وأنا عمر ، وعدت وأنا عمر » .

الالتزام بأداب الاختلاف :

فما قيل في هذا المجال : « قد اختلف معك في الرأي ، لكنني على استعداد لأن أدفع حياتي ثمناً لحقك في الدِّفاع عن رأيك » .

« ومن لا يستطيع أن يفكر فهو أبله ، أمّا من لا يجرو على التفكير فهو عبد » .

مع التسليم ألا وراثة في الأمور العلميّة ، والمناصب الدّينيّة ، خصوصاً إذا كان الوارث المرشّح ضحلاً لا قدرات علميّة عنده ، ولا مواهب لجمع الشُّمل لديه ، ولا إمكانات لقيادة المركب ظاهرة بين يديه ، جاء في الفتاوى لابن تيمية ١١٨/٥ : « أكثر ما يفسد الدُّنيا نصفٌ متكلمٌ ، ونصفٌ متفكّرٌ ، ونصفٌ متطبّبٌ ، ونصفٌ نحويٌّ ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان » .

ومع الثناء الطيب ، والتقدير لجهود المخلصين المثمرة .
والشعور بما يعانيه الآخرون من مشكلات .
والصّفيح عن العثرات العفويّة ، وترك التّأنيب عليها .
ومجانبة الحقد على من قدّم النصيحة .
وتشجيع المواهب ، وعدم الاستخفاف بأحد ، ندع جميع الزّهرات تتفتّح دون
النّظر إلى قرابة أو مصلحة خاصّة أو ماديّة .
ناهيك عن حسن الخلق ، وبشاشة الوجه ، ولطف اللّسان ، وسعة القلب ..
والمتابعة ، قيل : الأثقال الخفيفة تصبح ثقيلة إذا كثرت .

☆ ☆ ☆

لماذا نغيّب الحوار ؟
ومن يحاور يثق بأفكاره .
ومن يحاور يعتقد أن عنده شيئاً ذا قيمة .
ولماذا ينقطع الحوار ؟
للاعتدال على التّسليم دون محاكاة .
ومن لا يحاور على يقين أنّه لا يملك الحقيقة .
لذلك .. سنستمر في الحفر حتى نصل إلى ينبوع صافٍ .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

الحوار دائماً

بين الجماعات الإسلامية على

مختلف مواردها وقنواتها

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَسْمَعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤ و ١٠٥]

إنني أرى أن نقطة الانطلاق في (الحوار دائماً) بين الجماعات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها :

﴿ .. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩/٤] .

ومعنى الردّ إلى الله سبحانه وتعالى ، الردّ إلى كتابه المجيد .

ومعنى الردّ إلى رسول الله ﷺ ، الردّ إلى سنته بعد وفاته .

وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين ، فإذا قال مجتهد من المجتهدين : هذا حلال ، وقال آخر : هذا حرام ، فليس أحدهما أولى بالحق من الآخر ، وإن كان أكثر منه علماً ، أو أكبر منه سناً ، أو أقدم منه عصراً ، لأن كل واحد منها فرد من أفراد عباد

الله ، ومتعبّد بما في الشريعة للطهارة بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومطلوباً منه ما طلب الله من غيره من العباد ، وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد ، أو مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئاً من الشرائع التي شرعها الله لعباده ، ولا يخرج من جملة المكلفين من العباد ، بل العالم كلما ازداد علماً ، كان تكليفه زائداً عن تكليف غيره ، ولو لم يكن من ذلك إلا ما أوجبه الله من البيان للناس ، وما كلفه به من الصدع بالحق ، وإيضاح ما شرعه الله لعباده : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧/٢] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنُعَذِّبُهُمْ بِالْآلَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩/٢] .

فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم إلا كونه مكلفاً بالبيان للناس ، لكان كافياً فيما ذكر من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف ، بل يزدون بما علموه تكليفاً ، وإذا أذنبوا كان ذنبهم أشد من ذنب الجاهل ، وأكثر عقاباً . كما قال تعالى عن عمل سوء أجهالة ، ومن عمله يعلم^(١) ...

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣/٦] .

فلم الفرقه ، ولم أتباع السبل ، والصراط مستقيم ؟

لذلك يخرج المتعصب عن زمرة العلماء ، لأنه يرفض الحوار الموصل إلى الحقيقة ، ويتعصب لرأيه دون دليل يرجّحه ، أو برهان يثبت به ، أو سند يقرّره ، فن جعل التعصب لمذهب ديناً ، أو من قنع ببعض التقليد وقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢/٢٢] .

(١) مجموعة رسائل في علم التوحيد ، صححه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإبرياني ، ص ٦٥ ، ط ١ : سنة ١٩٨٢ ، الجمهورية العربية السورية ، وزارة الإعلام والثقافة .

« قال الإمام الشافعي : أجمع المسلمون على أن من استبانته له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعيها لقول أحد من الناس .

قال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على أن للقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن العلم معرفة الحق بدليله ، وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى : فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .

فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى ، والقلد الأعمى ، عن زمرة العلماء^(١) . »

يقول ابن تيمية :

« وأنت تجد كثيراً من المتفقه إذا رأى للتصوفة وللمتعبدة لا يراهم شيئاً ، ولا يعدّهم إلا جهلاً ضالاً ، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً ، وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً ، بل يرى أن المتسك بها منقطع عن الله ، وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله ، والصواب : أن ماجاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق ، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل^(٢) . »

ولقد ورد عن الإمام الشافعي : « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي » .

ورفض مالك بن أنس اقتراحاً عرضه عليه هارون الرشيد ، بأن يحمل الناس على العمل بما حواه (الموطأ) من الأحاديث .

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، ص : ٧ ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة

١٩٧٨ م .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم ، ص : ١٠ ، مكتبة الرياض الحديثة .

وباب الاجتهاد مفتوح للمسلم المؤهل له ، وتكفير المسلمين لمخالفة في الرأى مرفوض ، ماداموا يؤمنون بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، وحسابهم على الله تعالى ، فلا تكفير ولا رمي بالزندقة ، ولا إفتاء بسفك دماء مسلمة محرمة ، وبغير حق ، في معارك ظالمة لا يستفيد منها إلا العدو ، وقد يغذيها ويطرب لها .

والبديل (حوار) لجميع الشُّمل ، ووحدة الكلمة ، تحت مظلة الكتاب المجيد ، والسُّنة المطهرة ، فلقد قال ﷺ : « إِنَّ لِلْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ » [متفق عليه] .

(الحوار) ضمن روح التشريع العلُّل بالصلحة ، قال الشَّاطبي [للواقعات : ٣٠٥/١] : « إِنَّا وَجَدْنَا الشَّارِعَ قَاصِداً لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فَأَحْكَامُ لِلْعَامِلَاتِ تَدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ ، فَتَرَى الشَّيْءَ الْوَاحِدَ يَمْنَعُ فِي حَالٍ لَا تَكُونُ فِيهِ مَصْلَحَةٌ ، فَإِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ جَازَ » .

لذلك .. لم يحمد عمر رضي الله عنه مع حرفية النص ، وإنما دار مع علته وروحه .
(حوار) بعيد عن الجدل والراء ، قال مالك بن أنس : « أَوْ كُلُّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لَجْدَلٍ هَؤُلَاءِ ؟ » .
ويتساءل للراء : هل الشُّطحات المخالفة لشرع الله خاضعة للحوار ؟ كوحدة الوجود مثلاً !

ومن البدهي أن تأتي الإجابة : كلُّ ما خالف شرع الله ينبذ حكماً ، وهو غير خاضع للحوار ، وينضج للحوار ما فيه وجهات نظر ، فنحاور للوصول إلى وجهة النظر الأسلم والأصلح ، على ضوء التَّلييل والواقع ، وفي حال وجود الإخلاص والنِّيَّات الطَّاهرة الطَّيِّبة يأتي هدى الله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢١٣/٢] .

وبما يؤسف له أن تقرأ في بعض الكتب عبارات بعيدة عن آداب الحوار ، وسماحة الإسلام ، عبارات لا تزيد الصف إلا تفرقاً وتشتتاً ، صحيح أنها وردت بعد عبارات من الشطحات التي لا يقرأها الشرع من قريب ولا من بعيد ، مثل :

« خضت بحراً وقف الأنبياء بساحلسه ، أخرجت وألجحت ، وطففت في أقطار البسيطة ثم ناديت : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إلي أحد .

لو تحركت غلة سوداء فوق صخرة صماء في ليلة ظلماء في أقصى الصين ، لم أسمعها ، لقلت : إني مخدوع ، واستدرك عليه آخر ، فقال : وكيف أقول : لم أسمعها وأنا محرّكها ؟

ما الجنة ؟ هل هي إلا لعبة صبيان !!
لأسيرن غداً إلى النار وأقول : اجعلني فدى أهلها ، أو لأبلغنها ... » .
جاءت عبارات التعليق على ما سبق :
« نهيق هؤلاء الخذولين .

نهيق تتضرع منه رائحة الزندقة .
هذا نفس خبيث ، لا يلتبس إلا على بهيمة فتدبره .
اتباع كل ناعق .

إن من تمام إيمان العلماء الحكم عليهم بالكفر والزندقة ، والإفتاء بسفك دمائهم ..
إن رؤوسهم أئمة الكفر ، ويجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم إذا أخذ قبل التوبة ، فإنه من أعظم الزنادقة ، ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والأمراء والملوك ..

وأما من قال : لكلامهم تأويل يوافق الشريعة ، فإنه من رؤوسهم وأئمتهم ، فإنه إن كان يعرف كذب نفسه ، وإن كان معتقداً لهذا ظاهراً وباطناً ، فهو أكفر من النصارى .

إن من يقول أو يعتقد بمثل عبارات الشطحيات التي أوردنا غايج منها : « خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله .. لو تحركت غلة .. » ، لاشك أنه مخالفة واضحة لشرع الله ، ولست في موقف الدفاع عنهم ، فأنا ممن يمت الشطحيات ، ويرفض العبارات التي قيلت فخالفت شرع الله ، وخلقت انقساماً في الأمة كنا بغنى عنه ، وكل الذي أريد قوله :

نرد بشكل عامي ، منطلقين من كتاب الله وسنة النبي الكريم ﷺ ، وتقديم الصواب الذي هو حكم الله في مثل هذه الأقوال ، ولكن دون شتائم وسباب يقلل من مستوى ردنا العلمي ، ودون فتوى بسفك دماء ، فالفتوى بسفك الدماء أمر خطير جداً ، تعطي الطرف الضال الحق بفتوى مماثلة ، عندها تجري سواقي الدماء ، ويتساءل العاقل : لمصلحة من تسفك هذه الدماء ؟ لنكتب النشرات والكتيبات المبسطة ، ولنقم الندوات والمحاضرات التي تقدم العقيدة سليمة معافاة من كل شائبة ، عندها : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [الرعد : ١٧/١٣] .

ليس الهدف الدفاع عن طائفة من المسلمين ، وإن كان ذلك واجباً طمعاً بالإصلاح ووحدة الصف ، ولكن ضمناً بإخواننا هؤلاء أن يكونوا داخلين في قوله ﷺ :

« إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما » [أخرجه البخاري والإمام أحمد ^(١)] .

(١) مجموعة رسائل في علم التوحيد ، ص ٩٠ وما بعدها ، وانظر ص ١٤٦ بخاتمة .

لا نركّز على نقاط الافتراق ، ونشجح بوجوهنا عن نقاط الالتقاء ، فالتركيز على نقاط الافتراق يؤدي إلى ظهور السلوك الحاد ، وضياح الجهود وانحرافها عن طريقها السليم ، بينما التركز على نقاط الالتقاء يؤدي إلى بزوغ السلوك التعاوني المتسم بالحب والولاء ، والحوار يوصل إلى القاعدة الذهبية : « نلتقي فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

إنّ التواصل واجب ، ويجب أن يوصلنا إلى البنيان المرصوص ، والجسد الواحد ، وإلى التعاون في عمل دعوي مشترك ، ينبذ العنف ، ويرفض سفك الدماء ، ويؤمن بالحوار دائماً ، وهذا يعني التنسيق والانسجام بين الجميع ، مترشحين هدفاً ، أو أهدافاً ، يشترك الجميع في تحقيقه :

بقاؤنا في وحدتنا ، وضياحنا في خلافتنا .

ولنتأمل قول أحد العلماء الأفاضل :

أعطني سلفياً كابن تيمية ، تجد روحانيّة وتزكية الجنيّد .

وأعطني مؤمناً بتزكية الروح وصفائها كالجنيّد ، تجد سلفيّة ابن تيمية .

لقد حذرّ الجنيّد من فقهاء الصوفيّة ، ولم يعترض على صوفيّة الفقهاء ، وهذا هو موقف ابن تيمية جليّ في الفتاوى (الجزء العاشر والحادي عشر) ، واستناداً لابن تيمية يمكن القول :

تربية الروح ، مع تزكية القلب الذي يصدأ كما يصدأ الحديد ، والسلفيّة الحقّة حيث الكتاب والسنة ، وجهان لعملة ذهبيّة واحدة .

قال الشيخ الإمام محمد عبده : « مازال علماء المسلمين يكفّر بعضهم حتّى لم يبق لمسلم مكان في الجنة ، إذا صدق أولئك العلماء » .

إن الفرقة ضياح ولظى ، والأمانى تيه وأحلام ، وضيق الأفق تحجيم وظلمات ،

والجدل وراء وخداع ، والحوار دائماً هو البديل ، حيث العقل والصواب ، وحيث قم
المجد البشري ، ديناً ودنيا .

يقول نبينا الكريم ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه
تأويل الجاهلين ، وتحريف الضالين ، وانتحال المبطلين » .

دون تكفير ، بلاسفك دماء ، فكيف ينفون عنه تأويل الجاهلين ، وتحريف
الضالين ، وانتحال المبطلين ؟

إنهم يحملون العلم ، والعلم قادر وحده على إظهار الحق ، وإقامة الحجّة .

لقد أمرنا الله أن نقول للناس حسناً : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٢/٢] ،
للناس بشكل عام ، فمن باب أولى للأخ المسلم .

ونذكر قيادات الجماعات الإسلامية أنه لا ينبغي أن يقال هذا حكم الله في هذه
المسألة ، أو هذه القضية ، فإننا لا ندري أنصيب حكم الله أم لا ، ولكن يقال هذا فهمي
واجتهادي ، ولا ألزم الآخرين به ، إنه خاضع للحوار ، وإلا إذا قال هذا برأيه ، وقال
آخر برأيه ، ضاعت الحقيقة ، وضاعت الأمة .

ولا نأخذ من السنة ما يوافق أقوالنا ، ونجتال في رد ما خالفها ، أو رد دلالاته ،
وتقبل منها ضعيف السند إن وافق أقوالنا ، فلا حكم بما يخالف النصوص : ﴿ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوَدَّةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧/٣] ، ﴿ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢/٧] .

☆ ☆ ☆

الحوار دائماً بين السنة والشيعة

﴿ قُلْ لَكُمْ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَتَبْتُ وَلكُمْ
مَا كَتَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا نَسْأَلُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٤٧/٢]

وأنا أهيمُ لهذا الكتاب ، وقع بين يدي كتاب أثلج صدري ، وقلت : إنَّ الوحدة الإسلامية محققة ، ولا شرح كبيراً بين سنة وشيعة ، ولا حاجة لهذا الفصل : (الحوار دائماً بين السنة والشيعة) ، فالإسلام في جوهره ولبابه جامعة للقلوب ، وقطب محبة وتآلف ، فمن الطبيعي أن يؤلف بين أتباعه اليوم وغداً .

وماهي إلا أيام ، وتفاؤلي في أوجه ، إذ بصديق يحضر لي كتيباً فيه أدعية يقرأها من زار مقام الحسين ، والعباس ، والسيدة زينب ، وفاطمة الزهراء ، رضوان الله عليهم جميعاً ، وفي نهاية الكتيب : (دعاء صمي قريش) ، أي : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتيقنت ضرورة كتابة هذا الفصل ، لضرورة التئام الشمل ، ووحدة الصف ، كما أمر الله تعالى .

سأستعرض أهم ما جاء في الكتاب الأول ، وأتناسى كل ما جاء في الكتاب الثاني ، ثم أدعو إلى حوار جامع موحد ، بصدق دون مواربة أو ظاهر طيب يخفي باطناً مرّاً حاقداً .

وقبل استعراض الكتاب الأول ، أقول :

حبُّ آل البيت جزء من إيمان كلِّ مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها ، فكل مسلم في صلواته اليومية يصلِّي ويبارك على محمَّد وآله .

وعلي رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه ، وأخلص في سرِّه وجهه ، ولم يأتُر به في حروب الردَّة ، بل كال الإخلاص ، ويعلن عن قام التَّوَدُّ ، فحينما خالف المسلمون رأي أبي بكر في المرتدِّين ومناعي الزَّكاة ، خرج وحده شاهراً سيفه إلى ذي القِصَّة ، فلحقه علي ، فأخذ بزمام راحلته ، وقال له : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ لا تفجعنا في نفسك ، فوالله لو أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام .

وقال علي رضي الله عنه : « لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً ما تركناه^(١) » .

وقال أيضاً : « إنَّا لنرى أبا بكر أحقَّ النَّاس بها ، إنَّه لصاحب الغار ، وإنَّا لنعرف له سنة^(٢) » ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالنَّاس وهو حي^(٣) » .

وجاء في كتاب (الشَّافي) ، قال عليُّ : « إنَّ خير هذه الأُمَّة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر » .

لقد مات رسول الله ﷺ وجمهور من الصَّحابة في النُّواحي يَعْلَمون النَّاس دين الله ، فما منهم أحدٌ أشار إلى عليٍّ بكلمة يذكر فيها أنَّ رسول الله ﷺ نصَّ عليه ، ولا ادَّعى ذلك قط ، لا في ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحدٌ في ذلك الوقت ولا بعده .

ولو كانت الإمامة نصّاً ، كيف يسكت عليُّ رضي الله عنه مدَّة خمس وعشرين

سنة ؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٠/١

(٢) كان عمرُ أبي بكر ٦١ سنة عند مبايعته بالخلافة ، وعمرُ عليٍّ ٢٥ سنة فقط .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٢/١ .

وكيف لا يوصي لابنه الأكبر الحسن رضي الله عنه من بعده بنصاً أيضاً ؟
ولو كان نصاً إلهياً ، أيجوز للحسن أن يتنازل عنها لمعاوية بحجة حقن الدماء ؟
ولم يصرح الحسين رضي الله عنه ، ولم يعلن ، وهو في طريقه إلى كربلاء أن الخلافة
نص إلهي !!

ومع ذلك يستدل علي رضي الله عنه بصحة إمامته بالتالي : أرسل علي رسالة إلى
معاوية يقول فيها : « إني بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم
عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للفسائب أن يترد ، وإني الشورى للمهاجرين
والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسموه إماماً كان ذلك لله رضي ، فإن خرج عن أمرهم
خارجٍ بطعنٍ أو بدعةٍ ردوده إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على أتباعه غير سبيل
المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ^(١) » .

وينقض ما يدعيه بعض الناس من عداة تخيلوه بين علي والصحاب الكرام ،
وخصوصاً أبا بكر وعمر رضي الله عنهما :

زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، والتي أمها فاطمة
بنت رسول الله ﷺ ، وهذا ثابت عند كل المذاهب الإسلامية ^(٢) ، وله منها ولدان :
زيد ، ورقية .

وعلي رضي الله عنه ولد اسمه (أبو بكر) من زوجته ليلى بنت مسعود التميمية ،
وله ولد اسمه (عمر) من أم حبيب بنت ربيعة التغلبيّة ، وله ولد اسمه (عثمان) من
أم البنين بنت حرام الكلابيّة ^(٣) .

(١) (نهج البلاغة) ، ص : ٣٦٦ ، تحقيق المرحوم الدكتور صبحي الصالح ، منشورات دار الهجرة ،
بيروت ، لبنان .

(٢) أعيان الشيعة ، للشيخ العلامة السيّد حسن الأمين : ٢٢٧/١ .

(٣) أعيان الشيعة : ٢٢٦/١ ، وللحسن بن علي بن أبي طالب ولد اسمه (عمر) ، ولزَيْن العابدين
السّجاد بن الحسين بن علي ولد اسمه (عمر) أيضاً .

لقد انتقى علي رضي الله عنه وتخير أحب الأسماء إليه ، لذلك له ولد أيضاً باسم
(محمد) ، وهو ابن الحنفية ، وكانت من سبي حروب الردة .

وأيّن كان يصلّي علي رضي الله عنه زمن أبي بكر وعمر وعثمان ؟

لقد صلّى خلفهم ، ولو كانوا مقتصبين لحقه ، وظالمين له ، لما جازت الصلاة
خلفهم ، فلا تجوز الصلاة إلا خلف عدلٍ منزّه عن كلّ ذنب أو قبيصة أو مخالفة شرعية
وفق للذهب الجعفري .

وبعد فتنة الجمل ، التي أشعلتها بين الطرفين يدٌ خفية ، صلّى عليّ على القتلى من
الطرفين .

وقبيل صيفين أوصى علي رضي الله عنه جنده : لا أتباع لفسار ، ولا غنائم ،
ولا إجهاز على جريح^(١) .

ومن يقرأ (نهج البلاغة) فلن يجد فيه تكفيراً لأحد ، حتّى (الخوارج) .

وليس في (نهج البلاغة) كلمة من علي رضي الله عنه تشير إلى نصّ بإمامته ،
ولا ما يشير إلى وصية ، ولا ذكر (لغدير خم) مطلقاً .

هذا بعض سلوك علي مع الصحابة الكبار ، وهذا منهجه ، وهذه أخلاقه وتربيته ،
وهذا هو السلوك الطبيعي ، فالجميع تخرجوا من مدرسة رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆

(١) نهج البلاغة ، ص : ٢٧٢ .

الكتاب الأول :

واسمه : (حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات)^(١) :

جاء في مقدمته : « الوحدة الحقيقية إطار ، تنتظم في داخله الرؤى والتصورات والأنشطة على الرغم مما يتقسمها من اختلاف ، خاصة وأن الإطار بالنسبة لأمة المصطفى ﷺ متوافر موجود ، وذلك هو التوحيد والنبوّة والمعاد ، والعديد من الجزئيات التي تتصل بالنظام والتشريع ، حيث نشاهد الاتفاق في أكثر المسائل الفقهية بين مذهبين على الأقل من المذاهب الإسلامية^(٢) » .

« ونحن إذ نقدم على هذا المشروع كبدائية لما هو أعظم ، فإنما نهدف أن نتاح الفرص الجادة للمسلمين في التعرف بعضهم على بعضهم بالطرق العلمية والموضوعية البعيدة عن الظنون التي لا تغني عن الحق شيئاً .. ونداء كلمتها ، وتجاوز بعض الأمور الهامشية والجزئية ، التي لا تمس صميم الميكل الإسلامي ، وأن تتجنب كل عوامل الفرق والتشتت ، التي لا يستفيد منها إلا أعداء الله والإسلام ، الذين يتربصون بالجميع - سنة وشيعة - الدوائر ، من أجل الكيد لهم ، والقضاء عليهم ، كما أننا نناشد الغياري من أبناء أمتنا الرشيدة للتصدي الواعي لدعاة الخلاف والاختلاف^(٣) » .

ثم أورد الكتاب بعد هذا الكلام الجميل ، كلمات لكبار العلماء ، منها :

من توجيهات الإمام الخميني إلى ممثليه في موسم الحج سنة ١٣٩٩ : « على الإخوة الإيرانيين ، وجميع الشيعة في العالم أن يتجنبوا الأعمال الجاهلة التي تؤدي إلى تفرق صفوف المسلمين ، وعليهم أن يشتركوا في جماعات أهل السنة ، وأن يتجنبوا عقد صلاة

(١) إعداد قسم العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ، طهران .

(٢) الكتاب المذكور : ١٠/١ .

(٣) الكتاب المذكور : ١١/١ .

الجماعة في البيوت .. إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سُنيّ وشيعي وحنبلي وإخباري لا معنى لها أساساً ، المجتمع الذي يريد أفرادَه جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام ينبغي ألاّ يثير هذه المسائل .

كلُّنا إخوة ، وكلُّنا نعيش قلباً واحداً ، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه ، وهكذا الشافعي ، ومُتمة مجموعة أخرى هي الشيعة ، تعمل بفتاوى الإمام الصادق ، وهذا لا يبرّر وجود اختلاف .. كلُّنا إخوة ، على الإخوة الشيعة والسُّنة اجتناب كلّ اختلاف ، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسُّنة ولا بالشيعة ، ولا بالذهب الحنفي ، ولا بسائر الفرق الإسلامية .. عليكم جميعاً أن تنتبهوا جيداً أننا جميعاً مسلمون ، وأتباع القرآن ، وأهل التَّوحيد^(١) .

ثم أورد الكتاب رسالة آية الله المنتظري إلى علماء أهل السُّنة ، ومّا جاء فيها :
استطاع المسلمون الانتصار على الإمبراطوريتين ، روميّة وفارسيّة ، وأرجع (منتظري) الانتصار لسببين :

١ - الإيمان بالله والاعتقاد عليه .

٢ - وحدة الكلمة .

ثم قال : « تعالوا نَعُدْ إلى الإسلام بعد أربعة عشر قرناً . ونلقِ خلافتنا الجزئيّة جانباً على أساس الإيمان بالله^(٢) » .

وجاء في الكتاب تحت عنوان (النداء الأخير للشَّهيد الصُّدر) : « وإني منذ عرفتُ وجودي ومسؤوليتي في هذه الأُمّة ، بذلت هذا الوجود من أجل الشَّيعي والسُّني على السَّواء ، ومن أجل العربي والكردي على السَّواء ، حيث دافعتُ عن الرِّسالة التي

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢١ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ٢٣ و ٢٤ .

توحدهم جميعاً ، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً ، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام :
طريق الخلاص ، وهدف الجميع ..

فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي .

أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام .

إنّ الحكم السنّي الذي مثله الخلفاء الراشدون ، والذي كان يقوم على أساس الإسلام
والعدل ، حمل علي عليه السّلام السيف للدّفاع عنه ، إذ حارب جندياً في حروب
الرّدة ، تحت لواء الخليفة الأوّل - أبي بكر - وكلّنا نحارب عن راية الإسلام ، وتحت راية
الإسلام ، مهما كان لوننا للذهبي^(١) .

أمّا الشّيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فيقول كلاماً رائعاً ، تقتطف منه :

« هيهات أن يسعدوا ما لم يتحدوا^(٢) » ، ثم يقول :

« وليس معنى الوحدة في الأمّة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت ،
ويتغلب عليه فيسكت ، ولا من العدل أن يقال للمهزوم إذا طالب بحقّ ، أو دعا إلى
عدل إنك مفرّق أو مشاغب ، بل ينظر الآخرون إلى طلبه ، فإن كان حقّاً نصره ،
وإن كان خيلاً أرشدوه وأقنعوه ، وإلا جادلوه بالتي هي أحسن مجادلة الخيم الحميمه ،
والشّقيق لشقيقه ، لا بالشّنائم والسّباب ، والمنابزة بالألقاب ، فتحتدم نار البغضاء
بينهما ، حتّى يكونا لها معاً خطباً ، ويصبحا معاً للأجنبيّ لقمة سائغة ، وغنيمة
باردة^(٣) » .

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ١٦٠ .

(٣) الكتاب المذكور ، ص : ٢٢ .

« نعم أعظم فرق جوهري ، بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين : السُّنة والشيعة ، هو قضية الإمامة ، حيث وقفت الفرقتان منها على طرفي الخطِّ ، فالشيعة ترى أن الإمامة أصل من أصول الدين ، وهي رديفة التوحيد والنُّبوة ، بخلاف إخواننا من أهل السُّنة ، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين ، ومختلفون بين قائل بوجود نصب الإمام على الرِّعيَّة بالإجماع ونحوه ، وبين قائل بأنها قضية سياسية ليست من الدين في شيء ، لا من أصوله ولا من فروعها ، ولكن مع هذا التَّباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضية ، هل تجد الشيعة تقول إنَّ من لا يقول بالإمامة غير مسلم ، كلا ، معاذ الله ، أو تجد السُّنة تقول إنَّ القائل بالإمامة خارج عن الإسلام ، لا وكلا ، إذن فالقول بالإمامة وعدمه ، لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ، ووجوب أخوته ، وحفظ حرمة ، وعدم جواز غيبته ، إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه^(١) . »

أما الشيخ محمد جواد مغنية فيقول :

« هل يذكر السُّني ، وهو في هذه الرِّحلة الرُّوحية [في الحجِّ] ، وأمام هذه للشاهد القدسيَّة أنه سُنِّي ؟ وهل يذكر الشيعي أنه شيعي ؟ أم هم جميعاً قرآنيون ، بسُنَّة محمد عاملون ، وعلى حجة محمد وآله منطوون ؟

هل للسُّنة هناك بيت يطوفون به ، وللشيعة بيت ؟

هل لهؤلاء مسعى ، ولأولئك مسعى ؟

هل تقف طائفة في هذه الناحية من عرفات ، وطائفة في تلك ؟

هل يعتقد السُّني وهو أمام القبر الطاهر أن هذا الرُّسول بُعث إليه وحده من دون أخيه الشيعي ؟

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٠٢ .

أو هل يعتقد الشيعة وهو أمام المزارات المعظمة لآل رسول الله الأطهار وصحبه الأبرار ، أن هؤلاء الأبطال مثله هو من دون أخيه السني ؟

كلا ، إنهم جميعاً يُحَرِّمُونَ إحراماً واحداً ، ويطوفون طوافاً واحداً ، ويقفون بعرفة ، ويتزلون بمزدلفة ، ويرمون الجمار ، وينحرون ويذبحون ، ويقصدون مسجد الرسول مشتاقين ، ويقفون أمام جدته الطاهرة خاشعين ، ويزورون آله وصحبه معتبرين .

رباه ! هل ظنَّ المسلمون أنَّكَ أردتَ لهم في هذه الوحدة مظهرها الرائع حين يحجُّون ، ثمَّ أبحتَ لهم أن يتفرَّقوا شذراً من ذرِّهم إلى أهلهم راجعون^(١) ؟ ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ١٦/٢٤ : ١٧] .

وقدَّم الشَّيخ عبد الحميد سليم ، رئيس لجنة الفتوى في الأزهر ، ووكيل جماعة التَّقريب ، بياناً للمسلمين ، جاء فيه :

إنَّ الدِّينَ الإسلامي قائم على نوعين من الأحكام :

أحدهما : أحكام ثابتة ، يجب الإيمان بها ، ولا يسوغ الاختلاف فيها ، وليس من شأنها أن تتغيَّر بتغيُّر الزَّمان والمكان ، ولأنَّ تخضع لبحث الباحثين ، واجتهاد المجتهدين ..

والثَّاني : أحكام اجتهاديَّة نظريَّة مرتبطة بالمصالح التي تختلف باختلاف ظروفها وأحوالها ، أو راجعة إلى الفهم والاستنباط اللذين يختلفان باختلاف العقول والأفهام ، أو واردة بطريق لا يرقى إلى درجة العِلْم واليقين ، ولا يتجاوز الظنَّ والرَّجْحان ..

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٥٩ و ١٦٢ .

والنوع الأول من الأحكام - وهو القطعي في روايته ودلالته - وهو الأساس الذي أوجب الله على المسلمين أن يبنوا عليه صرح وحدتهم غير متنازعين ، وربط به عزهم وقوتهم في أعين خصومهم والمترفين بهم ، والمسلمون كلهم مؤمنون به إيماناً ثابتاً لا يتزعزع ، لا فرق في ذلك بين طائفة منهم وطائفة ...

أما النوع الثاني من الأحكام ، فإن الاختلاف فيه أمر طبيعي ، لأن العقول تتفاوت ، والمصالح تختلف ، والروايات تتعارض ، ولا يعقل ، في مثل هذا النوع ، أن يخلو مجتمع من الاختلاف ، ويكون جميع أفرادها على رأي واحد في جميع شؤونها ، وهذا النوع من الاختلاف غير مذموم في الإسلام ، ومادام المختلفون مخلصين في بحثهم ، باذلين وسعهم في تعرف الحق واستبانتها ، بل إنه ليرتب عليه كثير من المصالح ، وتوسع به دائرة الفكر ، ويندفع به كثير من الحرج والعسر ، وليس من شأنه أن يفضي بالمسلمين إلى التنازع والتفرق ، ويدفع بهم إلى التقاطع والتنازع .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان ، والأئمة عليهم الرضوان يختلفون ، ويدفع بعضهم حجة بعض ، ويجادلون عن آرائهم بألتي هي أحسن ، ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة واللوعظة الحسنة ، ولم تسمع أن أحداً منهم رمى غيره بسوء ، أو قذفه ببهتان ، ولأن هذا الاختلاف بينهم كان ذريعة للعداوة والبغضاء ، ولأن آراءهم فيما اختلفوا فيه ، قد اتخذت من قواعد الإيمان وأصول الشريعة التي يعدد مخالفها كافراً أو عاصياً لله تعالى ، وقد كانوا يتحاشون الخوض في النظريات ، وفتح الآراء في العقائد وأصول الدين ، ويحتمون الاعتصام فيها بالمأثور ، سداً لذريعة الفتنة ، وحرصاً على وحدة الأمة ، وتفرغاً لما فيه عزهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم ، لذلك كانوا أقوياء ذوي عزة ومهابة^(١) : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢١/٤٨] .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى عليه :

(١) - الكتاب للذكور ، ص : ٣٠ .

« وإن هذا العصر الذي تتجمع فيه الدُّول ، وبحس كل إقليم أنه مأكول إن لم يكن في جماعة من الدُّول ، وأنه مغلوب على أمره إن لم يتَّجه عتاراً إلى تجمع دولي^(١) .. » .

« الاجتماع باسم الإسلام اجتماع لا يقوم على المغالبة ، بل على الأخوة العامة ، والمودة الرَّاحة ، التي يحثُّ عليها ذلك الدِّين القويم^(٢) » .

أمَّا الشَّيخ محي الدِّين القليبي التُّونسي فيقول :

« لو رجعنا إلى المكتبة الإسلاميَّة مثلاً أو أحصينا الكتب التي ألُفَّت في تغذية الخلاف بين المسلمين إلى جانب الكتب التي تعمل على إصلاح ذات البين لا تُضح لنا كيف كانت عوامل الشرِّ أقوى وأعظم بكثير من عوامل الخير ، ولعلمنا علم اليقين الشرُّ في بقاء الخلاف بين المسلمين على أشده إلى اليوم ككائن حي ، ينمو ويقوى ، خصوصاً إذا احتضنته أيدي أعداء الإسلام رغم أنَّ المسلمين فسدوا السُّدولة التي اختلفوا على نظامها ، والسُّلطان الذي تنازعوا عليه ، وضعف الدِّين الذي قلوا إليه الخلاف وتفرَّقوا فيه ، وأخيراً فقدوا وجودهم وتخطَّفهم النَّاس ، فهم على كثرة عددهم غشاء كغشاء السَّيل ، لا يملك أحدهم حرِّيَّة إدارة بيته ، فضلاً عن بلاده وأُمته .

توحيد قلوب أهل التَّوحيد حول الأصول العليا للإسلام ، وأن تكون الدَّعوة للحقِّ بالحقِّ ، وبما أدبنا به الحقُّ تعالى^(٣) » .

أبو القاسم آية الله الكاشاني : سأله بدمشق أحدهم عن رأيه في الخلاف بين السُّنة والشيعة ، بحضور عدد كبير من الطائفتين ، فأجاب : أنا مسلم ، لأعرف إلا الإسلام الذي جاء به محمد من عند ربِّه ، وهو الذي يجب أن يتَّحد عليه المسلمون ، أمَّا ما عدا ذلك فلكلِّ أن يحتفظ بما عنده لنفسه . وإنَّ كلَّ للمسلمين يجب أن يتَّحدوا اليوم لمقاومة

(١) الكتاب للذكور ، ص : ٤٣ .

(٢) الكتاب للذكور ، ص : ٤٥ .

(٣) الكتاب للذكور ، ص : ١٠٩ .

الاستعمار بقلب رجل واحد ، وأن يعتصموا بحبل الله كما أمرهم الله ، وألاً يتفرقوا ،
فحال المسلمين أخطر مما تتصور ، ووجوب اتحادهم للإقناذ والخلاص هي أؤكد من كل
شيء الآن .

تلك هي آرائي التي اكتسبتها من مدرسة القرآن الكريم^(١) .

مسابق ، يثلج الصدر ، ويسر الخلق ، وتطرب له القلوب الساعية لوحدة
الصف ، خصوصاً وأحاديث رسول الله ﷺ ، والتي يعترف بها الطرفان بصحتها
تقول : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسله ، من كان في حاجة أخيه كان الله في
حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ،
ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » [الحياة : ١٠٠/٥ ، عن مجمع البيان :
١٣٤/٩] .

وورد عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه : « يحق على المسلمين الاجتهاد في
التواصل ، والتعاون على التعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على
بعض حتى يكونوا كما أمرهم الله عز وجل ﴿ رَحْمَةً يَبُيِّنُهُمْ ﴾ ، متراحين ، مغتئين لما
غاب عنكم من أمرهم ، على ماضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ » ،
[الكافي : ١٧٥/٢] ، وورد عنه أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، وحق المسلم على أخيه المسلم
أن لا يشبع ويجمع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ، ولا يكتسي ويعرى أخوه ، فما
أعظم حق المسلم على أخيه المسلم » [سفينة البحار : ١٣/١] .

☆ ☆ ☆

(١) وجه في وصية علي رضي الله عنه لابنيه الحسن والحسين - ولكل من حوله - « الله الله في أصحاب
نبيكم ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم » [البداية والنهاية : ٢٢٩/٧] .

إنَّ العصبية تهدم بناء الوحدة .

وعزَّتنا في الوحدة لا في التَّفَرُّق .

يقول علي رضي الله عنه : « مَا حَفِظْتَ الْأُخُوَّةَ بِشَلِّ السُّوْاسَةِ » [غرر الحكم : ٣٠٩] ، لقد كان رضي الله عنه إمام النصفين في الخلاف وقدوة للمتسامحين في الدين ، حتَّى أنصف من قتله ، وراح يوصي بتطبيب طعامه ، وإلانة فراشه ، ويوصي بعدم التمثيل به : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أَلْفِينَكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا ، تَقُولُونَ : قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي ، انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا بِالرَّجْلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعَقُورِ » [نهج البلاغة : ٤٢٢] .

ونطق رضي الله عنه بصريح العبارة : « إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ .. اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ... » [نهج البلاغة : ٣٢٢] .

وبعد هذا كله .. أما أن تجاوز المتطرفين (الشَّاميين) لتلك المقامات المحترمة ، حيث إثارة الأحقاد ، واستعار الحفائظ ، خصوصاً والآيات القرآنية الكريمة صرَّحت بفضلهم ومكانتهم ؟

وأما أن نقبل قول الصحابة في الحديث ، وقد قبلنا القرآن الكريم الذي جمعه ؟

يأهل السُّنَّة والشَّيعة : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، وأنتم تحبونها منا ، وهي تسرُّنا منكم ، وهي أن نأخذ بأداب سيدنا علي وهديه ، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، فإن خالفتموه في ذلك فقد بطلت دعوى العصمة ، وإن لم تتجاوزوا قوله ولا فعله فأهل السُّنَّة معكم ، وأنتم منهم ، وهم منكم ، وهما هي ذي أقواله وأعماله رضي الله عنه تعرض عليكم :

لقد بايع الإمام علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده . وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين طبقاً لما أخبره جدّه الصادق عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين أفضل الصلّاة والتسليم .

سُئِلَ رضي الله عنه عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر قُرُوءا ، قيل : أفنفاقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ، ولا يأتون الصلّاة إلا وهم كسالى ، قيل فإهم ؟ قال : قوم بغوا علينا ، فقاتلونا وقاتلناهم .

(الحوار دائماً) ، الحوار الممتزج بخشية الله للوصول إلى الحقيقة ، ووحدة الكلمة .

مع رهبة عقابه عند المراوغة والفرقة والكيد .

وأن لنا أن نترك محاكمة التاريخ ، ونفكر بحاضرنا ومستقبلنا ، ولا تقتل حاضرنا ومستقبلنا باسم الماضي .

وأن نُميت هذا الحقد المتوارث الذي جعل الحلم الجميل ، حلم وحدة الصّف ، أمنية بعيدة .

ونتهي هذا الفصل بالذي بدأناه به : حبّ آل البيت جزء لا يتجزأ من إيمان كلّ مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها .. فحبّ آل البيت عامل رئيس في الحوار ، وعلى طريق الوحدة .

روى البخاري : صَلَّى أبُو بكر العصر ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصّبيان ، فحمله على عاتقه ، وقال : بأبي ، شبهه بالنبيّ لا شبهه بعلي ، وعلى يضحك [رواه البخاري ، كتاب المناقب] .

وكسا عمر رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يكن فيها ما يصلح للحسن والحسين ، فبعث إلى الين ، فأقن لها بكسوة ، فقال : الآن طسابت نفسي ، كما ذكر ابن الجوزي في كتابه (عمر بن الخطاب) .

الحوار دائماً بين المسلمين وبين العلمانيين

﴿ وَإِنَّمَا أُوْءِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

(سبا : ٢٤/٢٤)

الإسلام دين دعوة ، لا دين سيف .

إنه دين حوار وفكر ، لا دين دماء وقهر ، والتعسف ينافي حرّية المعتقد ، ولذلك يرفضه الإسلام .

وجلسة فيها عشرات الرجال ، تبقى في الأذهان منها صور ، صور المتحاورين باحترام ، وتبقى عباراتهم وأفكارهم ومناقشاتهم وتحليلاتهم ، تذكر بالتقدير ، ويمقت العنف ، أو الكلمات اللاعقلانية غير الموثقة .

وللمثل الأعلى للحوار مع العلمانيين ، حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْتَعِزُّ وَلَا يُنْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴾ [سرم : ١٩ / ٤٨-٤٩] .

رأى جعفر الصادق ابن العوجاء مرة بالحرم ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : عادة الجسد ، وسنة البلد ، ولنبيصر ما الناس فيه من الجنون والخلق ، ورمي الحجارة ، قال الصادق : أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم ؟ فذهب يتكلم ، فقال الإمام : لا جدال في الحجج ، ونفض رآده من يده ، وقال : إن يكن الأمر كما تقول ، نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول ، نجونا وهلكنا .

أي صبر في حرّية الفكر كمثل هذا الصبر ، حيث تؤدّي للناسك ؟!

واللباقة صيغة أساسية يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاحه ، ونصل ، أو تقترب من الحقيقة ، ونترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونعبر إلى المستقبل في ضوء خبرات الماضي ، ووقائع الحاضر .

وما يلفت النظر هجوم العلمانيين على التراث ، وثناؤهم على المعتزلة .

قد لا يكون ولاء كثيرين للتراث مطلقاً ، ولكننا لن نسمح لأنفسنا ولا للآخرين بإعدام التراث كله بحجة قراءته قراءة علمية ، لأن الإنسان بلا جذور ، إنسان بلا مستقبل .

وأي ثناء على المعتزلة ، وحرّية الفكر مصادرة ؟ حيث جبر الناس وقهرهم بالقول بأفكارهم ، كالفول (بخلق القرآن) مثلاً .

« إن الخطأ الذي ارتكبه المعتزلة أنهم أرادوا فرض فكرتهم على الناس ، وعلى العلماء » ، ومع ذلك يتدح العلمانيون المعتزلة ! ويتناسون (المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن)^(١) ، التي دارت بين الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي ، وبين بشر

(١) الحيدة ، أول المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن ، للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي ، للتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، نشر في (دار الفتح للطباعة والنشر) بيروت - لبنان ، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

المريسي^(١) ، بحضور الخليفة العباسي (المأمون) ، وهذه المناظرة تلقى الأضواء على إمام رزقه الله الفهم وحسن البيان ، والحوار بالتي هي أحسن .

ولسنا هنا بصدد إيراد هذه المناظرة ، ونكتفي بقول الإمام عبد العزيز في ختامها : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي ثَمَانِيَةِ عَشْرَ مَوْضِعًا ، مَا ذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا إِلَّا أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَذَكَرَ الْقُرْآنُ فِي أَرْبَعَةِ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا فَلَمْ يَخْبِرْ عَنْ خَلْقِهِ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا ، وَلَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَأَخْبَرَ عَنْ الْخَلْقِ لِلْإِنْسَانِ ، وَفِي الْخَلْقِ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ .. فقال المأمون : أحسنت يا عبد العزيز .

الإلزام والإكراه ، مما لا يجوز في الإسلام .

الحوار دائماً هو البديل أولاً وآخرأ .

في فندق قصر الرياض ، وبتاريخ ١٥ شوال ١٤١٣ هـ ، للوافق ٦ نيسان ١٩٩٣ م ، دار حوار بين الدكتور يوسف القرضاوي ، والأستاذ أحمد لطفي الخولي ، كنت حاضراً في هذا اللقاء بين هذين العُلَمَينَ الكبيرين ، ومما قالاه ، وأتفقا عليه دون اختلاف :

نفتش عن نقاط اللقاء ، لقاطات الاختلاف .

العِلْمُ في كُلِّ مجالاته فرض ، فابن النفيس الطبيب . ترجم له السُّبُكِي في طبقات الشافعية ، وابن رشد ، قاضٍ فقيه فيلسوف ..
العدو الصهيوني يزود أمريكا بالحاسوب ، ونحن اختلفنا في تسميته حتى طُرِحت كلمة (العَصْرِيَّة) اسماً له ، خلل لاشك يجب تجاوزه .

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي ، فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، يُرمى بالزندقة ، وقيل كان أبوه يهودياً ، توفي عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م .

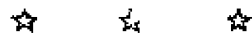
إن وجدنا رافضين للدُّنيا ، فسنجد أيضاً الرافضين للدِّين ، والصَّواب : الإسلام دين الحياة ، كما هو دين الآخرة .

لا ... للعروبة العلمانيّة ، وكما أنه لا .. للإسلام الشُّعوبي .
المكوّن الرئيس والأساس لهذه الأمة ، هو الإسلام حضارة وفكراً .
والعروبة وعاء الإسلام .

الحوار مع الآخر أمر طبيعي ، ولكن دون أن نفقد هويّتنا .
القرآن الكريم غير خاضع للنقاش ، والتفسير خاضع للنقاش .
نفكّر بالحاضر والمستقبل .

التواشج الوثيق بين التراث والمعاصرة ضرورة لا بدّ منها .
إن لم يكن الإسلام مقتساً ، فاهو المقدّس ؟
الحضارة : صلة وثيقة بين المادّة والروح .

ولا نحكم على الناس بالموت إن خالفونا بالرأي ، لا ... إن الحوار هو البديل .



وعقد مركز دراسات الوحدة العربيّة ندوة في القاهرة ، من : ٢٥ إلى ٢٧ أيلول ١٩٧٩ ، جمعت المسلمين والقوميين العلمانيين ، لم يكن الحوار هدفها ، إنّ النقد الذاتيّ كان الهدف ، وأبرز ما تبين في هذا النقد أنّ الطرفين لم يفهم كلٌّ منهما الآخر ، وأنّ كليهما لا يتّسع بالديمقراطيّة .

التيّار الإسلامي ينتقد ذاته :

العجز عن فهم الواقع وإدراك سنّته وقوانينه ، فغلبت النظرة الجزئيّة على النظرة الكلّيّة وأسلوب الزعامة في التعامل مع القاعدة ، وانعدام الشورى .

والتَّيار القومي (العلماني) ينتقد ذاته :

عدم اطلاع معظم المفكرين القوميين على التراث الإسلامي اطلاع فهم وتعمُّق ، وإهمال الحوار مع التَّيار الإسلامي .

وانعدام الديمقراطية تنظيمياً وعقائدياً داخل التنظيمات القومية ، فهي تنادي بالديمقراطية ولكنها لا تمارسها .

☆ ☆ ☆

ونتهي هذا الفصل بالتَّالي :

ينوح بعضهم على الديمقراطية ، التي هي اليوم مطلب وهُدف ، فإذا هي ديمقراطية التَّهجم على الإسلام والافتراء والدَّسُّ عليه ، والسُّخرية من أتباعه ، دون التَّمييز بين رأي فرد ، ورأي الإسلام .

ومع ذلك ، وتحت شعار الديمقراطية ، أين حقُّ الرَّد ، أو الدَّفْع عن النَّفس ؟ وأين حقُّ التَّوضيح ؟ وأين تقف هذه الآراء من الحقيقة ، والبحث للموضوعي ؟ وأيُّ فخر للعلمانيين وهم يتكلَّمون ، ويكتبون ، ويصولون ويجولون ، ولا مساحة للرَّد في صحيفة أو مجلة أو نشرة ؟!

القاعدة الصَّواب تقول :

أدرسُ ، أبحثُ ، أستدلُّ ثم أعتقد ، لا أعتقد ثم ألوي عنق النَّصِّ إلى ما أعتقد وأهوى .

واللَّباقة - من الطرفين - صيغة أساسية يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاح الحوار ، أو التَّقدُّم على طريقه .

☆ ☆ ☆

الحوار دائماً بين المسلمين وبين أهل الكتاب

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

[الممتحنة : ٨/٨٠]

لم يجبر الإسلام أحداً من أبناء الشرائع الأخرى على اعتناقه قهراً وعنوة ، لقد كان
هدف الإسلام الأول والأخير في فتوحاته الحرّية الكاملة في قبوله وعدمه :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩/١٨] .

﴿ أَقَانَتْ تَكْرِهَ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ١٧/١٠] .

هذا ... مع أمر الفاتحين المنتصرين عسكرياً بالبر والإحسان :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [للمحنة : ٨/٨٠] .

ومع النهي عن الظلم والعدوان :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[البقرة : ١٩٠/٢] .

﴿ وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦٩] .

ومع الحث على (الحوار) ، يأتي هي أحسن :
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٢/٢] .

﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦/٢٩] .

وأمر طبيعي أن يقبل الإسلام (الحوار) ، وأن يدعو الناس - كل الناس - إليه ، لأنه وحى الله المنزل على قلب المصطفى المختار ﷺ ، بما لا يتناقض مع عقل ، أو يتعارض مع علم ، و (غير المعقول) ، أو ما يتعارض مع العلم والفكر السليم يرفض الحوار ، لأنه لو أباح الحررية الفكرية ، والحوار الموضوعي لأنهار ، لذلك نراه هنا وهناك يغتال الرأي الآخر ويرميه إفكاً و بهتاناً بما ليس فيه ، تشويهاً مقصوداً ، لإبعاد الناس عن حقائق لو عرفوها اعتنقوها^(١) .

(١) تقول الأستاذة الدكتورة أنا ماري شمل (عميدة الاستشراق في ألمانيا) في مقدمتها لكتاب : (الإسلام كبديل) للدكتور مراد هوفان (سفير ألمانية في المغرب) : « الإسلام مثل غمطي لتلك التأويلات الظالمة للشوكة .. إن الكثير من الأحكام الظالمة التي نلصقها بالإسلام ناشئة عن سوء فهمنا وخطئنا في القياس المنطلق من معاييرنا الغربية ومثلنا أوقعتنا .. إن من المهنز اليوم حقاً أن لا يميز كثيرون في الغرب بين الإسلام وبين ما يُلصقُ زوراً و بهتاناً بالإسلام ، أو يُقترَف من جرائم باسم الإسلام ، فالإسلام بريء من الإرهاب والإرهابيين » ، وختمت مقدمتها ببيتين لجوته ، الذي يشهد له بالبصر العميق في عالم الفكر الإسلامي : « إن يك الإسلام معناه القنوت ، فعلى الإسلام نجياً و غوث » (الإسلام كبديل ، الناشر : مجلة النور الكويتية ، ومؤسسة باقاريا للنشر والإعلام والخدمات ، الطبعة العربية الأولى نيسان (إبريل) ١٩٩٣ م) .

(غير العقول) هو الذي يرفض الحوار ، ويسفّه العقل جهراً ، ويرغم أتباعه على قبوله هكذا كما هو ، دون محاكمة من فكر ، أو ترجيح من عقل ، أو مقارنه وقبول من عِلْم .

الحرّية الكاملة في الاعتقاد ، التي تعطي حقّ الحوار للوصول إلى القناعات في القبول أو عدمه ، هي درب الإسلام بالأمس واليوم وضدّ لقبول الأتباع الجّدّد ، لذلك لم يقف انتشاره ، ولم يتوقّف عن كسب المعتنقين بعد الضّعف والتّجزئة في العالم الإسلامي ، لقد تابع زحفه ، وبحقّ اليوم زحفه وانتشاره ، حتى لقد نشر مركز تتبّع انتشار العقائد في (برن - سويسرة) أن الإسلام اليوم هو الأقدر على كسب الأتباع بين عقائد العالم كلّها ، على الرّغم من إمكانيات دعائه للتواضع ، والجهود الفرديّة المبعثرة ، أمام إمكانيات التبشير الضّخمة من حيث مليارات الدولارات ، والتنظيم ، والدّعم الغربي الإعلامي .

إنّ قِدَمَ الحوار مع أبناء الشرائع الأخرى (أهل الكتاب) قِدَمَ الدّعوة الإسلاميّة نفسها ، بعد أن ضمن حرّية العقيدة لكلّ النّاس ، مع تسامح أوجبته تعاليمه ، وهذا ما لم يكن أيام بيزنطة وهي تحكم قلب العالم ، بلاد الشام ومصر وقسماً كبيراً من الشمال الإفريقي ، حينما اختلف المذهب ضمن الدّين الواحد ، فحلّ الاضطهاد والظلم ، وفرضت الضرائب المرهقة ، مع التّعسف في جبايتها .

الإسلام دين عالمي إنساني ، يقبل الآخرين في مجتمعه ، ولا يرفض الآخر ، ولا يصادر رأيه أو عقيدته ، لذلك ، جعل أسساً ثابتة من صلب العقيدة ، للتعامل مع الآخرين ، وآداباً للحوار معهم ، وتسامحاً في التّعامل معهم ، فالمواطن الشّريف له مالنا وعليه ما علينا ، حتّى ورد عن تقي الدّين أحمد بن تيمية أنّه رفض ترك الأسرى من غير المسلمين عند التّسار ، وأنقذهم مع المسلمين الأسرى ، لأنّهم ذمّة في أعناقنا .

☆ ☆ ☆

وثائق من الحوارات :

(الحوار) جهود علمية منطقية عقلية في نشر التعاليم ، وتقديم العقائد ، وعرض المبادئ ..

والمسلمون ينظرون ويرجون من يدخل في الإسلام اقتناعاً فكرياً خالصاً .

ومن أدلة (الحوار) منذ القرن الثامن الميلادي ، ما كتبه (القديس) يوحنا الدمشقي من الكتب التي ألفها في (الجدل) لقدنا بلجمات عن الحوار الذي دار بين أتباع الشرائع المختلفة ، وإن صياغة هذه الكتب ، أو الرسائل ، في قالب الحوار ، وكثرة التكرار في مثل قوله : « إذا قال لك العربي .. فأجبه » ، تعطينا فكرة - ولو ضئيلة - عن الحوار الذي اعتمده المسلمون في هذه الفترة في عرض تعاليم الإسلام ومبادئه .

وكذلك ما كتبه تلميذ يوحنا الدمشقي ، الأسقف تيودور أبو قرّة ، فيه حوارات أيضاً^(١) .

وكان البطريرق النسطوري طيماثاوس Timotheus يعقد مناظرات في المسائل الدينية بحضرة الخليفة الهادي^(٢) ، وهارون الرشيد^(٣) ، وجمع هذه المناظرات في كتاب ، ومع ذلك انتخب لكرسي البطريركية على الرغم من ذلك ، من قبل رجال الدين في كنيسة .

ووصلتنا وثيقة تدل على صورة واضحة من صور الدعوة إلى الإسلام بالحوار ، ترجع إلى عهد المأمون^(٤) ، وهي في صورة رسالة كتبها ابن عم الخليفة إلى عربي مسيحي

(١) الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس أرنولد ، ص : ١٠٣ .

(٢) الهادي (موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر للنصور) الخليفة العباسي الرابع : (١٤٤ - ١٧٠ هـ = ٧٦١ - ٧٨٦ م) .

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، الخليفة العباسي الخامس : (١٤٩ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨١٩ م) .

(٤) المأمون بن الرشيد : (١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م) .

كريم المحتد ، عظيم المنزلة في بلاط الخلافة ، وكان المأمون يحلّه من نفسه محلّ الاحترام والتقدير ، وفي هذه الرسالة يرجو لصديقه أن يدخل في الإسلام ، وكان رجاءه في لهجة نتم عن الودّ ، وفي لغة تصوّر بوضوح مسلك المسلمين السّبح تجاه الكنيسة المسيحيّة في ذلك العصر ، وتحتل هذه الرسالة في تاريخ الدّعوة الإسلاميّة المبكر مكاناً يكاد يكون فريداً في بابهِ^(١) .

وقبل إيراد فقرات من هذه الرسالة (الوثيقة) ، نذكر بأمرين اثنين :

١ - بالمناسبات التي دارت أيام المأمون ، حضرها زعماء جميع الطوائف الدينيّة في ذلك العصر ، وهي تثبت أنّ الحوار - برعاية الخلافة العباسيّة - كان سائداً ، فلا عجب ، بل حجّة ، ناهيك عن الرّسائل إلى ما وراء النّهر وفرغانة ، وقدوم زعيم المانويّة (يزدانبيخت) إلى حاضرة الخلافة بغداد ، وعقد مناظرة مع المتكلّمين المسلمين ، وألزم الحجّة فيها ، عندها حاول الخليفة المأمون أن يقنعه باعتناق الإسلام ، ولكن (يزدانبيخت) أبى ذلك ، وقال : نصيحتك يا أمير المؤمنين مسبوقة ، وقولك مقبول ، ولكنك ممن لا يجبر النّاس على ترك مذاهبهم ، فلم يسدّ الخليفة شيئاً من الاستياء لإخفاق محاولته ، ووكل به حفظة ، خوفاً من إنسان قد يسيء إليه ، بعد مكابرتة وقد قامت الحجّة عليه .

٢ - وبأبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاّني : [٢٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م] ومناظرتة في عاصمة الرّوم البيزنطيّين (القسطنطينيّة) مع علماء النّصرانيّة فيها ، وبين يدي ملكها .

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ١٠٤ ، وص : ٤٧٠ .

رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ،
يدعوه للإسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فقد افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك ،
والرحمة ، تشبهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ ، فإن ثقاتنا ذوي العدالة
عندنا ، الصادقين الناطقين بالحق ، الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السلام ، قد رويوا
لنا عنه أنّ هذه كانت عادته ، وأنه كان ﷺ إذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام
والرحمة في مخاطبته إياهم ، ولا يفرّق بين الذمي منهم والأُمّي ، ولا بين المؤمن
والمشرك ، وكان يقول إنّي بعثت بحسن الخلق إلى الناس كافة ، ولم أبعث بالغلظة
والفظاظة ، ويستشهد الله على ذلك ، إذ يقول ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾^(١) ،
وكذلك رأيت من حضرته من أئمتنا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين ، أنّهم كانوا
لفضل أديهم ، وشرف حسبهم ، ونبل همتهم ، وكرم أخلاقهم ، يتتبعون أثر
نبيهم ﷺ ، ولا يفرّقون في ذلك^(٢) ولا يفضلون فيه أحداً^(٣) ، فسلكت ذلك للنهج ،
واحتذيت تلك السبل ، وأخذت ذلك الأدب المأمود ، فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام
والرحمة ، لئلا ينكر عليّ منكر يقع إليه كتابي هذا .

والذي حملني وحثني على ذلك ؛ إذ كان سيدي ونبيي محمد ﷺ يقول بحبة القريب
ديانة وإيمان ، على أنّي كتبت إليك طاعة لرسول الله ﷺ ، ولما أوجبه لك عندنا حق
خدمتك لنا ، ونصحك إيانا ، وما أنت عليه من محبّتنا ، وتظهره من مودّتنا ، والليل
إلينا ، وما أرى أيضاً من إكرام سيدي وابن عمّي أمير المؤمنين أيّده الله لك ، وتقريسه
إياك ، وتقته بك ، وحسن قوله فيك ، فرأيت أن أرضى لك ما قد رضيته لنفسي

(١) ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (التوبة : ١٢٨/٩) .

(٢) كلّ ما هنا نقصاً .

(٣) وما هنا أيضاً نقص .

وأهلي وولدي مخلصاً لك النصيحة وبأذنها ، كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ، ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد ، والأمن من العقاب في المآب ، فرغبت لك فيما رغبت فيه لنفسي ، وشفقت^(١) عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك ، وبارع علمك ، وحسن تهذيبك ، وجميل مذهبك ، وشرف حسبك ، وتقديرك على الكثير من أهل ملتك ، أن تكون مقيماً على ما أنت عليه من ديانتك هذه ، فقلت : أكتشف له عما من الله به علينا ، وأعرفه ما نحن عليه بالذين القبول وأحسنه متبعاً في ذلك ما أذن الله به ، إذ يأمرني ويقول جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٢) ، فلست أجادلك إلا بالجميل من الكلام ، والحسن في القول ، واللين من اللفظ ، لعلك تنتهي وترجع إلى الحق ، وترغب فيما أتلوه عليك من كلام الله جل جلاله ..

وأنت الرجل - عافاك الله من جهل الكفر ، وفتح قلبك لنور الإيمان - تعلم أنني رجل أتت عليّ سنون كثيرة ، وقد تبخّرت في عامة الأديان ، وامتحنتها ، وقرأت كثيراً من كتب أهلها ، وخاصة كتبكم معشر النصارى^(٣) ... فأنا الآن - متّع الله بك - أدعوك بهذه المعرفة كلّها مني بدينك الذي أنت عليه ، ويطول المحبة إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وأرضيه لنفسي ، ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً ، والأمن من النار ، وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يتخذ له صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحد ...^(٤)

(١) هكذا هي في النص .

(٢) العنكبوت : ٤٥/٣٩ .

(٣) وهنا يعدّد الأسفار الهامة من العهدين القديم والجديد ، وكيف درس الفرق المسيحية المختلفة ، وإقياء جماعة من الرهبان ، وزياراته للأديرة ...

(٤) ثم يمتدّ تعاليم الإسلام المختلفة وأركانها .

فقد نصحت لك يا هذا وأدّيتُ إليك حقَّ الموَدَّةِ وخالص المحبَّة .. ورجوت أن تكون بتوفيق الله إِيَّاكَ من المؤمنين ، الَّذِينَ رضي الله عنهم ورضوا عنه ، هم خير البريَّة ، ورجوت أن تكون من هذه الأُمَّة الَّتِي هي خير أُمَّة أخرجت للنَّاس ، فإن أبيت إلا الظُلَاطْأَ ولجأً وجهلاً وتمادياً في كفرِكَ وطغيانِكَ الَّذِي أنت فيه ، ورددت علينا قولنا ، ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا ، حيث لم تُرد منك على ذلك جزاءً ولا شكرًا ، فاكتب بما عندك من أمر دينك ، وَالَّذِي صَحَّ في يدك منه ، وما قامت به الحجَّة عندك ، منا مطمئنًا^(١) ، غير مقصِّر في حجَّتِكَ ، ولا مُكَاثِم لما أنت معتقده ، ولا فَرِيق ولا وِجِل ، فليس عندي إلا الاستتاع للحجَّة منك ، والصَّبْر والإقرار بما يلزمني منه طائماً غير منكر ، ولا جاحد ولا هائب ، حتَّى تقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ، ونجمعه إلى ما في أيدينا ، ثم نخبرك بعد ذلك ، على أن تشرح لنا علَّته ، وتسدع الاعتلال علينا بقولك إن الفرع حجبتك وقطعك عن بلوغ الحجَّة ، واحتجت أن تقبض لسانك ، ولا تبسطه لنا ببيان الحجَّة ، فقد أطلقناك وحجَّتكَ ، لئلا تنسبنا إلى الكبرياء ، وتدَّعي علينا الجور ، والحيف ، فإن ذلك غير شبيه بنا .

فاحتجَّ عافاك الله بما شئت ، وتكلَّم بما أحببت ، وانبسط في كلِّ ما تظن أنه يؤدِّيك إلى من يوثق حجَّتكَ ، فإنك في أوسع الأمان ، ولنا عليك أصلحك الله ، إذ أطلقناك هذا الإطلاق ، وبسطنا لسانك هذا البسط ، أن تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجر ، ولا يحيف في حكمه وقضائه ، ولا يميل إلى غير الحقِّ إذا ما تجنَّب دولة الهوى ؛ وهو العقل الَّذِي يأخذ به الله عزَّ وجلَّ ويعطي ، فإتنا أنصفناك في القول وأوسعناك في الأمان ، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا إذ كان ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [البقرة : ٢٥٧/٢] ، وما دعوناك إلا طوعاً وترغيباً في ما عندنا ، وعرفناك ما أنت عليه ، والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته^(٢) .

(١) خلل في النص .

(٢) الدَّعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٠ .

ويعلق السير توماس أرنولد على هذه الوثيقة قائلاً : « ويمكن أن يكون هنالك قليل جداً من الشك في أمر واحد فيما يتعلق بهذه الوثيقة ، وهو أنها قد وصلت إلينا في حالة ناقصة ، وأنها لقيت على أيدي النساخ المسيحيين تشويهاً وتحريفاً ، وإن ما نكاد نراه من عدم وجود ما يدحض تلك العقائد المسيحية الحاسمة دحضاً تاماً ، كعقيدة الثالوث المقدس ، وما نجده من الإشارات إلى أمثال تلك الهجمات في رد الكندي على هذه الرسالة ، ليدل بالتأكيد على إسقاط تلك العبارات التي قد تكون آلت للقراء المسيحيين » ^(١) .

كما عقد في مدينة مرو مع مطلع القرن الثالث الهجري الهجري (حوار أديان) ، من غير محاملات أو مداخلات ، جمع هذا الحوار الجاثليقي كبير النصارى ، ورأس الجالوت زعيم اليهود ، والمهرّب الأكبر ممثّل الزرادشتية ، وعمران الصّابي قطب الصّابئة ، والفيلسوف قسطاس الرّومي ، وجمع من المتكلمين .

حاورهم علي بن موسى الرضا ، حواراً يعكس أجواء الحرّية والتسامح التي أمر بها الإسلام ، ويعلن المأمون افتتاح الحوار بقوله : يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد فاطمة بنت نبيّنا عليه السّلام ، وابن علي بن أبي طالب ، فأحبّ أن تكلمه وتحاجه وتنصفه .

الجاثليق : يا أمير المؤمنين ، كيف أحاج رجلاً يحتجّ عليّ بكتاب أنا أنكره ، ونبيّ لا أؤمن به ؟

فقال الرضا : يا نصراني ، فإن احتججت عليك بإنجيلك ، أقر به ؟
أجاب الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ، نعم والله أقدر به على الرّغم من أنفي .

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٦ .

ودار الحوار شيئاً ممتعاً ، ومما قاله علي بن موسى الرضا للجاثليق : يا نصراني ، والله
إننا لنؤمن بعيسى ، وما ننقم عليه شيئاً ، إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته !
قال الجاثليق : أفسدتَ والله عملك ، وضعفتَ أمرك ، وما كنت ظننت إلا أنك
أعلم أهل الإسلام .

الرضا : وكيف ذلك ؟

الجاثليق : من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصوم والصلاة ، ومما أفطر عيسى
يوماً ، ومما نام بليل قط ، وما زال صائماً قائماً الليل .

الرضا : فلمن كان يصلي ويصوم ؟

وانتبه الجاثليق إلى الاستدراج الذي وقع فيه ، والتناقض الذي حصل في كلامه ،
فلم يجر جواباً ، ثم استدل على ربوبية عيسى بأنه أحيا الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ،
فهو بذلك ربٌ مستحق لأن يُعبد .

فأجابه الرضا : إن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى ، ومشى على الماء ، وأبرأ
الأكمه والأبرص ، فلم تتخذهُ أمة رباً ، ولم يعبدهُ أحد من دون الله ، ولقد صنع حزقيل
مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل بعد موتهم .

ثم دار حوار حول الإنجيل المنزل ، إنجيل عيسى ، الإنجيل الواحد أين هو ؟

وسأل الرضا رأس الجالوت : ما الحجّة على أن موسى ثبتت نبوّته ؟

رأس الجالوت : إنه جاء بما لم يجر به أحد من الأنبياء قبله .

الرضا : مثل ماذا ؟

رأس الجالوت : مثل فلق البحر ، وقلبه العصا حيّة تسمى ، وضربه الحجر فانتفجر
منه العيون ، وإخراجه يده يبيض للنّاظرين ، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها .

الرضا : صدقت في أنها كانت حجّة على نبوّته ، وأنه جاء بما لا يقدر الخلق على

مثله ، أفليس كلُّ ما ادَّعى أنَّه نبيٌّ وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟

رأس الجالوت : لا ، لأنَّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربِّه ، وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوَّة من ادَّعاهَا ، حتَّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء .

الرُّضا : فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر ؟ ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ؟ ولم يقبلوا العصا حيَّة تسعى ؟

رأس الجالوت : قد أخبرتك أنَّه متى جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤوا بمثل ما لم يجيء به موسى ، أو كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم .

الرُّضا : يا رأس الجالوت ، فما يمنعك من الإقرار بعيسى ابن مريم ، وكان يجي المولى ، ويبرئ الأكمة والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ياذن الله ؟!

رأس الجالوت : إنَّه فعل ذلك ، ولم نشهده .

الرُّضا : رأيت ما جاء به موسى من الآيات أو شاهدته ؟ أليس إنَّما جاءت الأخبار عن ثقات أصحاب موسى أنَّه فعل ذلك ؟

رأس الجالوت : بلى .

الرُّضا : كذلك أيضاً أتتكم الأخبار للتواترة بما فعل عيسى ابن مريم ، فكيف صدقتم موسى ، ولم تصدقوا بعيسى ، وكذلك أمر محمد وما جاء به ؟

وهكذا يستمر (الحوار) مع بقية زعماء الأديان وللمعتقدات بكلِّ حرِّية وموضوعية وانفتاح .

حوار مع مُستشرق

وليس كلُّ خلافٍ جاءَ معتبراً
إلاَّ خلافاً له خطٌّ من الظنِّ

أثناء العام الدّراسي الجامعي ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م ، زارني طالب من طلابي في السّنة الثالثة (كُليّة الشريعة - جامعة دمشق) ، وقال لي : يحضر في دروسك (التّاريخ الإسلامي) عدد من المستشرقين الألمان ، ويسجلون محاضراتك ، واليوم حينما تكلمت عن (صلح الحديبية ، الفتح للبين) ، وعن حرص رسول الله ﷺ على وضع الحرب مع قريش ، ليتفرّغ للدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعد أن جعل قريشاً على الحياد ، وألزمها بينود صلح أمّلت نصّها بعناد .

لقد وقف أحد هؤلاء المستشرقين الألمان ، وقال لي ولعدد من الطّلاب بلغة عربيّة فصيحة : ليس كل ما يقرّره الدكتور شوقي في هذه القاعة صحيحاً سليماً ، فقلت للمستشرق عجيباً على الفور : لقد عوّدنا الدكتور شوقي التّوثيق ، وكلّ معلوماته التي يقدّمها يذكر توثيقها دون طلب منا ، ومكتبته قريب جداً من هذه القاعة ، أفلا نذهب إليه نحاوره بما قال وقرّر ، والحقيقة ، والتّوثيق ، والعقل فيصل بيننا ؟

اعتذر المستشرق بلباقة ، وقال لي : سيكون ذلك ، ولكن بعد أسابيع ، بعد ساعي محاضرات أخرى تشكّل عندي فكرة أعمق وأشمل عن فكر الدكتور ومنهجه .

قلت لهذا الطّالب : أحسنت ، فأنا مع الحقيقة ، والخبر المؤثّق ، تقف أمامه باحترام ، ملتزمين به دون هوى ، لا تقطع صلتك مع كلّ المستشرقين بشكل عام ، ومع هذا للمستشرق بشكل خاص ، وأوصيك باللّطف وسعة الصدر والاحترام .

وبعد أسابيع ، في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٣ م ، زارني هذا المستشرق في مكنتي ، وبدأ حوار بيننا كنت في بدايته عنيفاً عن قصد ، وبعد لأي رحّتْ ألطف الجوّ شيئاً فشيئاً ، عندما لمست دماثة خلق هذا المستشرق ولطفه وتواضعه .

كنت عنيفاً عندما طلبت منه بعض التصويبات ، فتردّد وراح يعلّل بعض مواقف الاستشراق من الإسلام والمسلمين .

قلت له : لقد وضع الاستشراق كلّ بحوثه ودراساته في خدمة التبشير ، ومن ثمّ في خدمة الاستعمار ، وهذا لا يعني أنّه ليس هناك عسدد من المستشرقين للنصفين الإيجابيين ، ولكنني أسألك : مانسبة الملتزمين بدينهم في بلدك الألمانية بخاصّة وفي أوربة بعامة ؟

لم يتردّد المستشرق وقال : خمسة بالمائة فقط .

حينها قلت : بيوت إيمانكم خاوية ، وقلوبكم مبتعدة عن الإيمان ، وعوراتكم مكشوفة ، أليس من المفروض ، ببدل إتفاق ملايين الدولارات للتبشير في العالم الإسلامي ، أن توجّهوا طاقاتكم لإعمار بيوتكم ، وستر عوراتكم ببدل التوجّه إلى العالم الإسلامي المؤمن بالله تعالى ؟

قال : صح ، ومعك حق .

وبعد هذا الاعتراف ، بدأت ألطف من لهجتي ، ثمّ سألته من رسم لك صورة الإسلام في عقلك ؟ قال : الكنيسة ورجالها ، قلت : لماذا لا تتعرّف على الإسلام من أهله ؟ قال : لا مانع أبداً ، ولكنني ملحد ، قلت له : أحترم رأيك إن كوّنته عن دراسة ، واستمرت لقاءات محدودة بيني وبين هذا المستشرق تركت أثراً طيباً في نفسه .

وفي الوقت ذاته ، اتّصل بي زميل لي ، وطلب موعداً في داري ، وقال : سيكون معي مستشرق ألماني يعدّ رسالته في دمشق ، وفي الموعد المحدّد ، زارني زميلي وبصحبته

عدد من الزملاء والأصدقاء ومعهم المستشرق ، ومن توفيق الله تعالى ، أن اللقاءات دامت وتكررت ، حتى صارت لقاءً يُن في كل أسبوع ، وسُجّلت اللقاءات كلها على أشرطة ، أحتفظ أنا بنسخة كاملة منها ، ويحتفظ المستشرق بنسخة كاملة أخرى .

اللقاء الأول :

كان اللقاء الأول يسوم الأربعاء ١٢/١/١٩٩٤ م ، وبدأت الجلسة بتقديمي للمستشرق ، وتقديم المستشرق لي .

اسمه : روديفر براون ، يحضر رسالة بعنوان : (الحوار الإسلامي - للمسيحي) ، بروتستنتي ، ملتزم بكنيسة (بورتنيكين) ، أي الولادة الجديدة .

قلت للسيد روديفر : أولاً ، أرجو أن تحو من فكرك كل ما فيه عن الإسلام ، لتتعرف عليه من أهله كما يعتقدونه ، كما أرجو أن أسمع منك المسيحية كما تعتقدها أنت .

ثانياً : نتعاهد أن تقدم الحقيقة كما عرفناها من أهلها ، وخصوصاً ونحن نسجل وسنسجل كل كلمة أقولها ، وكل كلمة تقولها أنت .

ثالثاً : لا حوار بيننا وبينكم في رأيي ، لا حوار بين المسلمين والمسيحيين إلا بشروط ثلاثة :

١ - أن تعترفوا بنا ، أن تعترفوا بالإسلام ديناً ، فالمسلمون يعترفون بالمسيحيين على أنهم من (أهل الكتاب) ، فلكي نجلس على مائدة حوار على قدم المساواة ، اعترفوا بنا كما نعترف بكم ، وهذه الخطوة بدأها البابا بولس السادس بعد اطلاعه على بعض مخطوطات البحر الميت ، المكتشفة في مغاور (قران) شمالي البحر الميت ، ومن هذه المخطوطات المكتشفة (سفر إشعيا) الصحيح بكامله ، على حين أن المنشور في التوراة هو جزء منه ، ولكنها خطوة واحدة ، كان يفترض أن تتبعها خطوات .

ففي سفر إشعيا المكتشف جاء حرفياً : « بعد المسيح يأتي نبي عربي من بلاد فاران ـ بلاد إسماعيل ـ [وفاران باللغة الآرامية هي بلاد الحجاز] ، وعلى اليهود أن يتبعوه ، وعلامته أنه إن نجا من القتل ، فإنه النبي المنتظر ، لأنه يفلت من السيف المسلول على رقبتة ، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قدّيس » .

لقد أصدر البابا بولس السادس عام ١٩٦٥ م وثيقة هامة ، كانت بمثابة اعتراف رسمي مسيحي بالدين الإسلامي ، ولأول مرة ، جاء فيها : « إنَّ كلَّ من آمن بعد اليوم بالله الخالق السموات والأرض ، وربِّ إبراهيم وموسى ، فهو ناج عند الله ، وداخل في سلامه ، وفي مقدّمتهم : المسلمون » .

وبدعوة رسميَّة سافر وفد إسلامي إلى الفاتيكان ، واجتمع بالكاردينال (بيونولي) وزير الدَّولة في حكومة الفاتيكان فيما يتعلَّق بالعلاقات ما بين الإسلام والمسيحيَّة ، وبدأ الحوار على الرغم من طلب السَّفير (الإسرائيلي) في روما وقف الحوار ، وبعد انتهاء اللِّقاءات المتعدِّدة بين عدد من العلماء للمسلمين وكبار مسؤولي الفاتيكان ، وقف الكاردينال (بيونولي) مخاطباً العلماء : في هذا اليوم أوقف التَّنصير الكاثوليكي في العالم الإسلامي ، ثم قرأ بشارة (سفر إشعيا) التي تنطبق تماماً على الواقع .

ولكن مع الأسف ، فإن هذا البابا لم يلبث أن توفي في ظروف لاندريةا ، كما توفي من بعده بقليل الكاردينال (بيونولي) في ظروف غامضة ، وبوفاتها توقَّف الحوار بين الإسلام - وللمسيحيَّة^(١) .

(١) وقت هنا وأحضرت له توثيق هذه المعلومات : الصفحة الخامسة من (العالم الإسلامي) ، العدد ١٢٢٩ ، الإثنين ١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ م ، وعنوان الصفحة : (الدكتور محمد معروف البدوايني - السني كان عضواً في الحوار - يروي قصة الحوار بين الإسلام والمسيحيَّة ، كيف بدأ وغلَّام انتهى) ، فطلب السيد روديفر صورة عنها ، فقلت له : هي لك ، عندي منها صور عديدة .

فيا سيد رودينغر ، لتعترف كنيسةكم البروتستانتية بنا ، مع إحياء اعتراف القاتليكان الذي طوي بموت البابا بولس السادس ، وبموت الكاردينال بيونوللي ، حينئذ نجلس للحوار على قدم المساواة ، وحينذاك تظهر بوادر حسن النية ، وليوقف التبشير أيضاً بالعالم الإسلامي كما أوقفه البابا بولس السادس .

٢ - تحديد الهدف من الحوار ، لماذا الحوار ؟

٣ - وما المراجع التي نعتمدها لتكون الفاصل بيننا حين نختلف ؟

ثم قدّمت للسيد رودينغر ذكريات الشرق الإسلامي عن أفعال الأوربيين - باسم الكنيسة ومباركتها - في حروبهم الصليبية ، وفي كشفهم الجغرافية (الوحشية) ، وفي استعمارهم الذي خلف الفقر والجهل والمرض ، مع مقارنة بين آثار الفتح الإسلامي ونتائجها ، وبين آثار الكشف الاستعماريّة ونتائجها .

- رودينغر : على كلّ حال أنا موافق على كلامك مئة بالمئة ، أريد أن أشير فقط إلى نقطة هامة حول الحوار ، يجب علينا أن نفصل في الحوار بين العالم الغربي ، والمجتمع الغربي ، وبين المسيحية بكتبها ومقدساتها ، كثيراً ما تقع نحن في الغرب بخطأ ، عندما نأخذ الإسلام عن طريق عمل إرهابي ، أو أي ظاهرة سلبية تثير نفوسنا ، نأخذها من خلال (الصورة المشوهة) ، ولكن أنا معك مئة بالمئة ، لا بدّ أن نعالج هذه الظاهرة سوية بروح إنسانية ، وأعطيك مثلاً :

نحن نقول : الإسلام انتشر بالسيف ، هذا بعيد عن الحقيقة ، وحينما تقارن بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية ، نرى دماء غزيرة ، أكثر بكثير ، لا تقاس بانتشار الإسلام ، حقيقة ، فعلاً إن البلدان ، المجتمعات ، قبلت الإسلام واعتنقته بلا إكراه . وأريد أن أشير إلى قضية هامة ، لا يمكن مقارنة التاريخ الإسلامي في فتوحاته في القرن السابع الميلادي ، بالغزوات التي قام بها شارلمان ضد السكسون ، قتاله ، حربه ، فضائح سطرها بعد ثمان مئة سنة من بدء المسيحية .

إذا عالجنا للمسيحية لا يمكننا أن نخلط بين المجتمع المسيحي والمسيحية ، الإسلام انطلاقاً من اجتماع الدولة والدين ، لا يفصل بينهما أبداً ، الإسلام ظاهرة شاملة لكل نواحي الحياة ، المسيحية شيء آخر ، من يهتم بالمسيحية - في الغرب - اليوم ؟ لأحد ، الذين حسب سلم الأولويات في المرحلة السابعة أو الثامنة أو التاسعة .. فضائح .. كل دقيقة تغتصب فتاة في الغرب ، بل أكثر ، في كل دقيقة يغتصب عشرين نساء ... لكن لا نستطيع القول إن هذه هي المسيحية البحتة ، نزيل أولاً هذه النواحي السيئة ، ثم نتحدث عن الدين ، من خلال عدة قضايا : الشالوث الأقدس ، الصلب ، هل صلب السيد المسيح أم لا ؟

أنا أعرف كثيراً من الأصدقاء المسلمين المستعدين للحوار ، بعد أن تفصل بين الفضائح التي ارتكبتها المجتمع الغربي للمسيحي ، وبين المسيحية ، حوار على المستوى الديني ، وكثيراً ما أشير إلى هذا ، مثلاً أحمد ديدات ، أشعر أنه يريد ويجب أن ينشر الإسلام ، إنه داعية قوي ، وهذا من حقه ، ولكن ، أظن ليس من حقه ، ولا يحق له أن يقول أشياء لا تتعلق بصميم المسيحية ، هذه مشكلة ، والمشكلة الأكبر عندنا نحن حيناً لا نعترف بحقيقة الإسلام ، ولا نصل إلى حقيقة الإسلام ، يجب أن نستدل بقول محمد [ﷺ] ، لا بقول لأحد الحكام المتأخرين ، يجب علينا أن نقول وننطلق من الإسلام الأصل ، من معينه ، وهكذا في الوقت ذاته في المسيحية ننتقدها ، وأنا أفرح بمثل هذا الحوار وأسر .

قلت : لي تعليق ، إنك تقول : إذا أردنا أن نبدأ حواراً ، علينا أن نفصل بين اللاهوت وأعمال للمسيحيين الأوربيين ، أي نحاو الكنيسة .

ياسيد روديفر ، الكنيسة في أوربة لا تريد الحوار ، ولا تؤمن به ، لأن هذا الحوار ، إذا كان ميزانه العقل والعلم فلن يكون - بقناعتي - إلى جانبها ، أو لصالحها ، وأنت تعلم أن الكنيسة في أوربة تبيع الكثير من أماكن العبادة ، في الوقت الذي تنفق

فيه مليارات الدولارات لتنصير المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي ، وخصوصاً في إفريقية وجنوب شرقي آسيا .

الذين في أوربة اليوم في الدرجة التاسعة أو الثامنة ، ونسبة الذين يرتادون الكنيسة أيام الأحاد خمسة بالمئة فقط من الشعب كله ، فإن كان هدف الكنيسة في تبشيرها إقناذ الشعوب بتعريفها على الله ، فلتعرف شعبها الأوربي أولاً ، ولترمم بيئتها الإيماني الحزب وتسترعوراتها ثانياً .

وكما أنني لا أقبل أن يقال عن الإسلام مالميس فيه ، ومالميس منه ، كذلك لا أقول عن تصريف فرنسا في الجزائر ، أو بريطانيا في مصر والهند ، أو إسبانية والبرتغال في أمريكا الوسطى والجنوبية ، إنه يأمر به يسوع ، ولكن أقول إن الكنيسة الأوربية باركت ماجرى ، بل ارتكبت باسمها ، والبابا له حق التشريع والتغيير والتعديل .. وهذا غير موجود في الإسلام ، فلا يقبل من مفت فتواه إلا بدليل من الكتاب والسنة ، بينما البابا يشرع ويبرز هؤلاء أعمالهم الوحشية .

شيء آخر ، لو قرأت تاريخ أحمد ديدات لعذرته ، ولما لته .

أحمد ديدات ، رجل هندي الأصل ، يعيش في جنوبي إفريقية ، عمل في الخياطة ، وليس في ذهنه ، ولا في حسابه الدعوة إلى الإسلام ، ولكن التبشير دق بابيه بالحاح ، وطرح المبشرون عليه - على عاداتهم - شبهات معروفة متكررة عن الإسلام ، ونبي الإسلام ، فراح ديدات يفتش عن إجابات عنها ، فوجد ضالته في كتاب (إظهار الحق) لرحمة^(١) الله بن خليل الرحمن الكثيرانوي العثماني الهندي ، ولتأليف هذا الكتاب قصة :

(١) غالباً ماتكتب : رحمت الله .

وُلِدَ رحمة الله في قرية كَيرانة التابعة لمدينة دلهي في ٩ آذار (مارس) سنة ١٨١٨ م ، نشأ في كنف أسرة واسعة الثراء والجاه ، وبدأ تعلمه في بلدته على يد والده وكبار أفراد أسرته المشهورين بالعلم والفضل والدين ، وكان قد أتمَّ حِفْظ القرآن الكريم في الثانية عشرة من عمره ، وأتقن اللُّغات الثلاث (العربية والفارسيَّة والأردِيَّة) ، ثمَّ ارتحل إلى دلهي لطلب التَّعليم العالي ، ثمَّ سافر إلى (كنساو) ودرس الطب والرياضيات والهندسة . ولما رجع إلى كَيرانة تَصَدَّر مجالس العلوم الشرعيَّة والإفتاء ، وأسس مدرسة شرعيَّة ، تخرَّج منها كبار المدرِّسين والمؤلِّفين ومؤسَّسي المدارس في أرجاء الهند .

تنبَّه الشيخ رحمة الله لأخطار التَّنصير المحدقة بمسلي الهند ، ولضخامة الجهود الَّتِي يبذلها المنصِّرون بمساعدة الاستعمار الإنكليزي ، ترك وظيفته في التَّدريس وتفرَّغ لمقارعة المنصِّرين والرَّدَّ عليهم بالقلم واللِّسان ، فدرس التَّنصيريَّة ، في مصادرها الأصليَّة ، حتَّى فاق علماءها للتخصُّصين فيها ، ثمَّ بدأ يؤلِّف كتبه للرَّدَّ على المنصِّرين ، ولذلك تركَّزت معظم مؤلِّفاته في هذا المجال ، ولما تمتاز به مؤلِّفاته من تحقيق علمي وتدقيق لم يسبق إليه ، كان الشَّيخ رحمة الله في عصره أستاذ الهند بلامنازع في علم مقارنة الأديان والرَّدَّ على التَّنصاري .

ومن مناظراته الكثيرة ، مناظرته في نيسان (إبريل) ١٨٥٤ م مع القسيسين فنذر وفرنج في أكرا ، وكانت المناظرة في يومين متتاليين في موضوعي النسخ والتَّحريف ، ولقد اعترف فنذر وفرنج بتحريف كتب أهل الكتاب في سبعة أو ثمانية مواضع أصليَّة ، وبوجود ٤٠ ألف اختلاف عبارة .

واشترك الشَّيخ رحمة الله في الثُّورة على الاستعمار الإنكليزي في الهند سنة ١٨٥٧ م ، ولما فشلت الثُّورة ، وأخذها الإنكليز بوحشيَّة بالغة نصبوا أعواد المشانق للعلماء ، وجعلوا مكافأة ألف روبيَّة لمن يدلهم على الشَّيخ رحمة الله ، وصادروا أملاكه وباعوها

ب (١٤٢٠) رويّة ، وحظروا بيع كتبه أو طبعها ، فاضطر للهجرة من الهند متخفياً حتى وصل إلى مكّة سنة ١٨٦٢ م .

وفي مكّة المكرّمة حصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام ، وسجّل اسمه في السّجل الرّسمي لعلّماء الحَرَم ، وأُسّس أوّل مدرسة في مكّة المكرّمة والحجاز ، والتي سُمّيت المدرسة الصّولتيّة ، نسبة إلى الإمراة الهنديّة للتبرّعة ببنائها واسمها (صولت النساء) ، وبقي الشّيخ مديراً ومدرّساً فيها إلى وفاته في ٢٢ رمضان سنة ١٣٠٨ هـ . الموافق ١٨٩١/٥/١ م .

بعد هزيمة فندر في المناظرة وتعريّة كتاباته ، واعترافه العلني بوقوع النّسخ والتّحريف في كتب العهدين القديم والجديد ، وهذا يوصل إلى العجب أن يقع التّحريف في الكتاب ولا يقع تقصص ما ، أغلق فندر باب المناظرة في مسائل باقية ، فلامه الإنكليز وعنفوه ، ونظروا إليه نظرهم إلى مَنْ جرّ على الكنيسة خزيّاً وعاراً كبيراً ، فلم يستطع البقاء في الهند ، فسافر إلى ألمانيا وسويسرة وبريطانية ، ثمّ اختارته الإرساليّة الكنسيّة في لندن منصراً في مقرّ الخلافة الإسلاميّة في إسطنبول ، فسافر إليها سنة ١٨٥٨ م .

واتّصل فندر بالسلطان عبد العزيز خان ، وزوّر أخبار المناظرة ، وزعم أنّ الغلبة فيها كانت له ، ثمّ دعّا مسلي آسية الصّغرى^(١) إلى الاقتداء بإخوانهم مسلي الهند ، حيث زعم أنّهم تحوّلوا إلى النّصرانيّة ، وأنّ المساجد أصبحت كنائس ، وأخذ يتجوّل في أرجاء آسية الصّغرى يشيع أخبار هذه المناظرة بطريقته الخاصّة معتمداً على الكذب وتزوير الحقائق ، لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكنّ السلطان عبد العزيز خان أصيب بغمّ شديد لسماعه أخبار فندر ، وخشي أن تؤثر هذه الإشاعات في أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجّاج الأتراك أنّ الشّيخ رحمة

(١) تركية حالياً .

الله موجود في مكة المكرمة ، فعجل بالأمر إلى أمير مكة الشريف عبد الله بن عون إرسال الشيخ رحمه الله إلى دار الخلافة لينظر فندر في إسطنبول .

ولما حلَّ الشيخ ضيفاً رسمياً في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك ، فرَّ هارباً من آسية الصغرى ، ولم يترثث لمقابلة الشيخ رحمه الله ، وقد أوعز السلطان العثماني بترحيل المنصرين عن آسية الصغرى ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

وقد حاول القس بركة الله صاحب كتاب (لواء الصليب) تزوير الحقائق ، فزعم أنَّ السلطان عبد العزيز خان طلب الشيخ رحمه الله لينظر فندر في إسطنبول ، لكن فندر توفي قبل وصول الشيخ إلى إسطنبول .

وردَّ على هذا الزعم إمداد صابري ، فبيَّن أنَّ وصول الشيخ رحمه الله إلى إسطنبول كان في أواخر كانون الأول لعام ١٨٦٣ م ، وأن فندر توفي في أوائل كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٥ م ، وهذا يدل على أنه غادر إسطنبول حياً في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٦٤ م بعد وصول الشيخ إليها بقليل ، خوفاً من مقابلته وانكشاف كذبه وقضاائه ، وكانت وفاته بعد حوالي سنتين من فراره من إسطنبول .

وبعد وصول الشيخ رحمه الله إلى إسطنبول استضافه السلطان في القصر ، ودعا العلماء والوزراء وكبار رجال الدولة ، وطلب من الشيخ أن يقصَّ خبر المناظرة ، فلما استبان للسلطان طول باع الشيخ في هذه الموضوعات وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللغة العربية يضمُّ مسائل المناظرة ، فعقد الشيخ العزم على تأليف كتاب يكون سداً منيعاً في وجه المنصرين واقتراءاتهم على الإسلام ورسوله ﷺ ، وليكون مرجعاً لطلاب العلم والباحثين عن الحقِّ وللتخصّصين في هذا الفن .

بدأ الشيخ وهو في إسطنبول تأليف هذا الكتاب (إظهار الحق) بتاريخ ١٦ رجب ١٢٨٠ هـ ، أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٣ م ، وانتهى منه أواخر ذي الحجة ١٢٨٠ هـ ، حزيران (يونيو) ١٨٦٤ م .

طبع إظهار الحق في عهد السلطان عبد العزيز خان في إسطنبول ، وذلك في أوائل المحرم سنة ١٢٨٤ هـ ، أيار (مايو) ١٨٦٧ م ، ثم توالى الطباعات ، وأمر السلطان عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي ، وفعلاً تُرجم إلى سبع لغات أجنبية ، منها : الألمانية والفرنسية والإنكليزية ، وأصبحت لا تكاد تخلو مكتبة في الشرق والغرب من نسخة لهذا الكتاب .

ظهر كتاب (إظهار الحق) في وقت كانت الحاجة إليه ماسة ، حيث كان سلطان النصارى غالباً على معظم أنحاء العالم ، وكان النصارى يؤلفون الكتب التي يتجهّمون فيها على الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ ، ويشوّهون جميع العقائد الإسلامية والحقائق التاريخية ، وكانت هذه الكتب تُطبع بجميع اللغات العالمية .

وكتاب (إظهار الحق) يُعدُّ من خير ما ألف للردّ على النصارى وكشف زيف مزاعم المنصرين ومطاعنهم ، مع خلّوه من الشتائم واللغو ، وتقريره الحقائق الدنيّة والتاريخيّة بأسهل الطرق وأقربها ، واعتماده في ذلك على ما في كتب العهدين المسلّمة عند فرق النصارى ، ولذلك لا عجب أن يحدث ظهور هذا الكتاب بعدّة لغات أوروبية صدى عجبياً في الأوساط النصرانيّة والإسلاميّة ، أمّا النصارى فقد غاظهم صدور هذا الكتاب وترجمة الحكومة العثمانيّة له ونشره ، فأخذوا يشترون هذا الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته ، ويجمعونها ثم يتلفونها بالحرق قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالميّة ، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامّة والنصارى خاصّة ، وقد علّقت صحيفة التايمز اللندنيّة على هذه العمليّة الخاقدة بقولها : « لودام الناس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدّم المسيحيّة في العالم » ، ولكن وقوف الحكومة العثمانيّة آنذاك وراء ترجمة هذا الكتاب وطباعته ساعد على ظهوره وانتشاره على الرُغم من الجهود المبذولة لطمسه .

وأما في الأوساط الإسلاميّة فقد أخذ الطلاب والعلماء الباحثون عن الحق يتلقفون

طبعت هذا الكتاب للدراسة والاستفادة منه ، وأقبل الناس على شراء طبعته وترجماته المختلفة إقبالاً منقطع النظر ، وقد أثنى عليه عدد كبير من العلماء ونقلوا منه ، وعدّوه من المراجع الهامة في علم مقارنة الأديان ، وأوصوا باقتنائه وإعادة طباعته^(١) .

روديجر : هذا الكتاب موجود ؟

- نعم وتطبعه عدد من دور النشر ، وأحمد ديدات هضم هذا الكتاب ، فأحياه من جديد حينما أعطاه شيئاً من روحه ، فكل ما قدّمه ديدات في مناظراته ومحاضراته مقتبس من (إظهار الحق) .

لقد دفع المبشرون ديدات إلى موقفه اليوم ، طرّقوا عليه الباب بالأسس ، وهو يطرق عليهم الأبواب اليوم ، فلا تستغرب أن يقف هذا للدوقف ، بعد أن تحدّوه في عقيدته بافتراءات وشبهات باطلة .

- روديجر : أعرف المناظرة بينه وبين سويغارت .

هذه المناظرة من عشرات المناظرات ، وسويغارت رجل غير أخلاقي ، فضائحه الجنسيّة ، ملأت صحف أمريكا ، هنالك مناظرات أقوى وأجود ، سويغارت ممثّل ، الوثائق التي نُشرت عن فضائحه الجنسيّة أبكته على شاشة التلفاز .

الحوار المحدّد الأهداف ، مع آداب المناظرة ، تنطلق منها ضمن أسس ، ومن قاعدة متينة سليمة ، ما للصدر الذي تقترحه للعودة إليه عند الاختلاف في مسألة ما ؟ ولتكن الحقيقة هي الهدف ، ونحن نلتزم بها .

- روديجر : ما رأيك بمؤلفات متداولة بين أيدي المسيحيين ، ككتب الأب

حداد ؟

(١) رويت للسيد روديجر القصة السابقة بخطوطها الرئيسيّة ، وهنا أخذت للتوثيق من طبعة : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض = ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي .

- كتب رخيصة سهل تقضها ، كتب الأب حداد ، وكتب سلسلة (الحقيقة الصعبة) التي كتب على غلافها تأليف أبو موسى الحريري ، والمؤلف الحقيقي هو الأب ج. قزي ، نحن نعلم من أين يستقيها ، وكتابه (قس ونبي) أسألك سؤالاً واحداً فينهار مضمونه كله ، القس هو ورقة بن نوفل ، وأين ورقة من الأحداث التي تمت بعد الهجرة النبوية الشريفة ؟ كان ميتاً ، فأين هو من بدر وأحد والخنديق والحديبية وفتح مكة وتبوك ؟ ..

وهنا انتهت الجلسة الأولى ، وختمها السيد روديفر بشكري على ما قدمت من معلومات ، وخصوصاً تصويب رأيه حول ديدات ، ثم سألتني عشرة أسئلة هي :

١ - أرجو معرفة أسماء عدد من أعلام الحوار في الوقت الحاضر ، مسلمين ومسيحيين ؟

٢ - مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين ؟

٣ - إلى أي حد تؤثر الحملات الصليبية على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٤ - أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟

٥ - ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطلاع على المسيحية ؟

٦ - الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين ؟

٧ - ظاهرة التبشير المسيحي الغربي وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٨ - نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي - المسيحي ؟

٩ - مستقبل المسيحية في المنطقة ؟

١٠ - الهوية الإسلامية ضمن العروبة ؟

وسألت السيد روديفر ثمانية أسئلة هي :

١ - ماذا عن التثليث ؟ وكيف تفسّر وجوده في العقائد القديمة الوثنية السابقة

للمسيحية ؟

- ٢ - وماذا عن الصَّلب ؟ وكيف تفسَّر وجود الصَّلب في العقائد الوثنيَّة السَّابقة للمسيحيَّة ؟
- ٣ - وماذا عن الفداء وغفران خطايا البشر ؟
- ٤ - موثوقيَّة الأناجيل ، عددها ، متى كُتبت ، التَّنَاقُض والاختلافات بينها ؟
- ٥ - دور بولس (شاول) في العقيدة المسيحيَّة ؟
- ٦ - دور العقل ، ودور العلم والتَّسليم دون حوار في بعض أسس العقيدة المسيحيَّة ؟
- ٧ - ماموقفك من المكتشفات الأخيرة : لفائف مفاور قران عند البحر الميت ؟
- وأناجيل (قنّا) في صعيد مصر ؟
- ٨ - دور الكنيسة في التبشير في العالم الإسلامي ، وترك أوربة ملحدة في خواء روحي ؟



اللقاء الثاني :

حضر هذا اللقاء عدد من الزُّملاء الجُدد ، تعرَّفوا على السيد روديفر براون لأوَّل مرة ، فبدأت اللقاء بحديث عن لقائنا الأوَّل ، ومادار بيني وبينه من حديث هام في السيَّارة ، فقلت^(١) :

زارني المستشرق روديفر براون ، وعلمت منه أن رسالتيه^(٢) الحوار بين المسلمين والمسيحيين ، وفهمت منه أنه يبحث عن الحقيقة لتصويب للفاهيم التي بثَّتها الكنيسة في أوربة حول الإسلام ، وقلت له : يطرح الاستشراق على رأس كلِّ جيل ، من خلال وسائل إعلام واسعة الانتشار شبهاتٍ عن الإسلام ، وقلت له أيضاً : ولم يسأتِ الاستشراق بجديد منذ عشرات السنين ، إنه يكرِّر ذاته .

(١) وهذا بداية شريط التَّسجيل الثَّاني .

(٢) كان السيد روديفر منشغلاً في إعداد رسالة لنيل درجة علميَّة في جامعة ألمانيَّة .

وأعجبني من السيد روديفر موقفه الإنساني وللوضوعي بشأن البوسنة والمهرسك ، وقال : موقف الغرب موقف ظالم لإنسانية فيه ، وفي الإنسانية توقع العرائض من قبل كبار العلماء والأساتذة والوجهاء ، تطالب الحكومة الألمانية بالتدخل لإقناذ ما يمكن إقناذه في البوسنة والمهرسك .

وسررتني صراحته ، عندما قال ، الذين في أوربة في سلم الأولويات في الدرجة السابعة أو الثامنة... فقلت له : على الرغم من ذلك ، ينفق الغرب مئات مئات الملايين للتبشير في العالم الإسلامي ، مع أنها تبيع عدداً من كنائسها لخوانها من المصلين ، كما هي الحال في بريطانيا ، وهنا تبسم مسلم بريطاني اسمه مجتبي غياث ميرزا وأوماً برأسه مؤيداً لي ، ثم تابعت قائلاً : فمن باب أولى أن تهتم الكنيسة بداخلها قبل الانطلاق للتبشير في شعوب مؤمنة بالله خالقاً بارئاً رحماً قيوم السموات والأرض .

إن الاستشراق والتبشير والاستعمار حلقات في سلسلة واحدة ، وهذا الرأي قابل للحوار ، ورأي الآخر إذا تشكل عنده عن دراسة وقناعة وعلم ، وإن خالف رأينا نحترمه ، في الوقت الذي لا نحترم فيه للتقليد ، حيث الضحالة والجهل ، ولو كان على رأينا .

وسألني السيد روديفر عن رأيي في الحوار ، وأعلمته أن الحوار غير مجدي ، ولا يمكن أن يتم بشكل سليم ، إلا إذا انطلقنا من قاعدة سليمة ، حيث اعتراف الطرف الآخر بنا ، فنحن نعتز عقيدة بالشرائع الأخرى ، بدليل بقائها في مجتمعاتنا الإسلامية ، وعلى الرغم من الحرب الطويلة بيننا وبين العدو الصهيوني ، لم نهدم كنيساً ، ولم نمنع يهودياً من ممارسة شعائر دينه ، والمسيحي مكرم منذ الفتح حتى يومنا هذا^(١) ، وما زال حتى اليوم يصل إلى عمله الوظيفي الساعة العاشرة يوم الأحد ، وفي الوقت نفسه

(١) للتوسع في هذا البحث ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم .

يستفيد من دوام شهر رمضان المبارك ، فيتأخر ساعة صباحاً ، فهو يكسب بتكريمه
أيّام الأحاد طوال العام ، مع استفادته في رمضان المبارك .

الحوار المنتج ، كما بدأه البابا بولس السادس ، بدأ بالاعتراف بالإسلام ، اعترف
بالآخر ، حينها تجلس معاً للحوار ، أمّا إذا عددتني لأملك ديناً سماوياً ، فأنا إن
جلست معك ، لا أجلس بنديّة ومساواة ، أنا أعترف بك ، فاعترف بي وأنت للنسادي
للحوار ، في عقيدتي أن كتابك حُرّف وشوّه ، ولكن في عقيدتي أيضاً أن أعترف بك
أنك من أهل الكتاب .

وأنا أقول : إنّ الحوار سيكون ضرورة في أواخر هذا القرن ، ومع مطلع القرن
القادم ، لأنّ الحروب يجب أن تنتهي ، ويجب أن تصرف مؤسسات لليسارات من
الدولارات على قوت الإنسان وصحته ، بدل التسليح الذي لم يجلب أمناً أو سعادة
للشريّة ، وأذكر هنا (صموئيل بيكت) ، صاحب مسرحيّة (في انتظار غودوت) ،
التي نال عليها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٩ م ، قدّمها بعد انتهاء الحرب العالميّة
الثانية ١٩٤٥ م ، بعد أن عاش الدمار ، وأشلأ ملايين القتلى ، مع ملايين الجرحى
والشوّهين ، وماذا يجبى المستقبل ، وكانت مسرحيّة (في انتظار غودوت) حواراً بين
اثنين يمثّلان التّساؤم والقلق والضياع والخوف من المستقبل ، لقد فكّرا في الانتحار ،
ولكنهما أقلعا عنه إملاً بمجيء (غودوت) ، المخلص ، للنقذ ، إن قساعتي - ولا ألزم
الآخرين بها - أنه لا يمكن لأوربة التي تفتّش عن عقيدة فيها روح أن تجد عقيدة فيها
هذه الرّوح للتوازنة مع المادّة ، فضلاً عن التّسامح والإنسانيّة والأخوة والعقل ... هذه
العقيدة الإنسانيّة المتوازنة لن يجدها الغرب إلّا في الإسلام .

أنا قلت : هذه العقيدة التي تفتّش عنها أوربة ، إنسانيّة الأهداف وللرامي ،
متوازنة ، لا تطفئ فيها المادّة على الرّوح ، ولا تغفل الرّوح المادّة .

هذه العقيدة تخاطب العقل ، وليس فيها رموز أو أسرار ، وليس فيها أطع وأنت

أعنى ، بل فيها الرضا كل الرضا عن أولي النهى ، وأولي الألباب ، وأولي العقول الذين يتدبرون ويتفكرون ، وأنا أعتقد أن أوربة لن تجد ضالتها إلا في الإسلام .

وهناك بواذر :

رجا (روجيه) غارودي ، وكتابه : الإسلام دين المستقبل .
والدكتور مراد هوفمان سفير ألمانية في المغرب ، وكتابه : الإسلام كبديل .
والدكتور موريس بوكاي وكتابه : دراسات في الكتب المقدسة .
وجان دوانبورت وكتابه : اعتذار لعمد القرآن .
والكونت هنري دي كاستري وكتابه : الإسلام خواطر وسوانح ...

هذه الصيحات ، وهذه الدراسات الجادة ليست عبثاً ، إنها من شريحة متعلمة (أكاديمية) ، لها باعها الطويل في علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وهذه العقول ليست عادية ، مع احترامنا لكل الناس ، إنها تدل على منافذ الخلاص ، والإسلام السمع ، المحاور ، الإنساني ، للتعريف بالآخرين دون مصادرة لأرائهم .

قال السيد روديفر بالأمس : لقد أثار أحمد ديدات ردود فعل في أوربة بما قدم من مناظرات ، فشرحت له موقف ديدات ، فكان من النقاط البارزة في حوارنا بالأمس ، أنه يعذر ديدات ، وذكر للحضور قناعته بأن السيف لم يكن لفرض عقيدة ، وأن الدماء التي سفكت في أوربة أغزر بكثير مما سفكت في الفتح الإسلامي ، فقلت : السيف يعني الإكراه والدمار ، والفتح الإسلامي حضارة ، أينما وصل قضى على الجهل وانتشر العلم ، مع ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ لم نكره أحداً على الإسلام كما أكرهت أوربة شعوباً بأسرها ، والبديل عندنا الحوار ، فالممكن من عقيدته ، القناع بسلامتها ، لا يخاف الحوار حيث (المحك العلمي) ، فنحن ياسيد روديفر معك في بحثك ، ومع الحوار بشروطه ، والذي أريد إضافته اليوم قبل الإجابة عن أسئلتك أقول لك - وهذا شيء

جديد بالنسبة لك - عندكم في البدء كانت الكلمة ، وعندنا في البدء كان الحوار ، قبل أن يخلق الله آدم ، كان الحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته .

ففي البدء كان الحوار ، وأريد منك أن تأخذ الآيات الكثيرة التي فيها حوار مع أهل الكتاب ، حتى مع الكافرين ، فالمسلم مأمور أن يحاور أخاه المسلم بطريقة حسنة ، ولكنه مأمور أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، لا بالحسن ، بل بالتي هي أحسن .

وأنت وعدتني أن تكتب بموضوعية ، وتنشر هذه الحقائق ، بل انشر قناعاتك ، والشعب الأوربي كما نسمع يعيش الحقيقة ، وتقديم الحقيقة واجب إنساني علمي ، تقدم كما عرفته من أهله ، لا كما رؤيت له الكنيسة .

الحوار أولاً ودائماً ، وفي البدء كان الحوار ، واذكر حوار أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع نفسه تعليماً لقومه ، ومع أبيه وأبناء قريته ، ومع سلطان البلد في عصره ، وحوار النبي الكريم مع قومه ، دليل أن مرد القناعات للعقل ، والحجة هي الأساس ، ولا يمكن فرض العقيدة بالعنف .

وأريد أن أسمع من السيد روديفر شيئاً عن آفاق الإسلام في أوربة ، وخصوصاً في بلده ألمانية ، بعد أن أثارت دار النشر (دير شبيكل) ضجة حول كتاب (الإسلام كبديل) ، كما أريد تعليقك على كلامي مصوباً ومصححاً ، فأنا أقول : كل ما يخالف الفطرة الإنسانية لابد أن ينهار ، وأقول : العقيدة التي لا تحتكم إلى العقل ، ولا تتشكل عن قناعة فكرية ستنهار مع مطلع القرن القادم ، وللعطيات حسب قناعاتي بعضها ظاهر ، وبعضها لم يصلنا بعد ، فأوربة إن رفضت الإسلام تعصباً وحقداً وصلبيّة ، فإنها ستجد نفسها في أحضانه ضرورة وحاجة ملحة مع مطلع القرن القادم ، فالسويد عام ١٩٨٥ م جعل رئيس وزرائها (أولفا بالما) هذا العام للتعريف بالإسلام عقيدة

وحضارة وإنسانية ، لقد كانت السويد تفتش في الإسلام عن الجانب الروحي ، عن الطمأنينة ، عن سلامة المجتمع بسلامة اللبنة الأولى (الأسرة) .

أريد أن أسمع منك ...

روديفر : أولاً تعليقاً على كلامك : أنا معجب جداً ، بمنهجك العظيم ، وأتني أن يكون كل المشتركين في الحوار بين الأديان وبين المجتمعات ينطلقون من القناعة نفسها ، ومن منطلق الدكتور شوقي أبو خليل نفسه ، وأنا ليس عندي أي نقد ، أو أي شيء ، أنا مئة بالمئة موافق على كلامك ومنهجك .

أما بالنسبة لمستقبل الإسلام في أوربة ، فأنا أظن أننا ننظر إلى قضية مراد هوثمان نجد اتجاهين ، الأول : متكوّن بغير معرفة ، يهاجم الكتب التي ألّفت من قبل مراد هوثمان ، والثاني : اتجاه يريد الحوار على الأسس التي ذكرتها الآن .

وعلى الصعيد العقلي ، أنا أظن أننا يتعلق بمستقبل الإسلام ، أنه سيواجه مع مرور الأيام أبواباً مفتوحة أكثر ، وهذا رأيي ، وكلما تقدّمنا تاريخياً تقدّمنا إلى التسامح ، إلى الانفتاح ، ولا أرى مستقبلاً مشرقاً للإسلام ، ولكن الدوافع إلى هذا الاتجاه - على ما أظن - هو فتح أبواب للحوار .

المشكلة هي أن المجتمع الغربي ليس لديه القناعة الثابتة المتينة مثل ما نجد في الإسلام ، لهذا السبب ، الشخص الذي يواجه شيئاً قوياً بغير القوة ، يبحث عن افتراءات ، ومزاعم باطلة ، ويريد أن يبطل الشيء الآخر بكل طاقاته ، يبحث عن طرق ما ، حتى ولو كانت غير إنسانية أبداً ، هذه الظاهرة التي نجدها الآن في أوربة ، في ألمانية وإنكلترة ... الإسلام القديم الذي فهم من وجهة نظر صليبيّة ، دون معرفة عميقة عن الإسلام ، أو صحيحة ، وأنا أضيف يجب علينا ، على المجتمع الغربي أن يتعرف على الإسلام كما هو ، وكما يفهمه أهله ، ولهذا السبب أقول : طالما يدرس الإسلام من قبل المدرسين الأساتذة المسيحيين ، لا نستطيع أن نعرف الإسلام كما هو ، بل إسلاماً

مشوِّهاً ، وهذا لا يفيدنا ، ولا يفيد الشعب المسيحي ، الشعب الغربي ، كيف نبني الحوار على الأسس الإنسانية ؟ عندما نكافح عدوًّا لا وجود له في الواقع .

نحن نحارب الإسلام ، وهذا ربِّما يسبب الخجل ، لا بُدَّ أن نواجه الإسلام كما هو ، لا بُدَّ من مواجهة الحقيقة ، إذا كنَّا نوذُّ حواراً صادقاً ، ولهذا السَّبب أظنُّ على الاستشراق في ألمانيا عندما يدرس الإسلام - وهذا رأيي - توجد اتجاهات تدفع الاستشراق في ألمانيا إلى هذه القضية ، أي أن الإسلام يُدرَّس من قبل المسلمين .

المشكلة التي أراها ، مَنْ يدرِّس الإسلام ، السُّنة أم الشيعة ؟ وهذه قضية ليست كبيرة جداً ، أنا أستطيع أن أتجاوز هذه الفروقات ، هذه الاختلافات دون مشكلة ، اللهم أن تتفق على منهج قويٍّ وسليم .

هذه إحدى النقاط المهمة ، أن الإسلام لا يدرَّس من قِبَل المسيحيين ، مثلاً أنا عندما أدرِّس الإسلام في ألمانيا ، اللهم أنِّي حينما أجلس لأدرِّس الإسلام ، هل أعرف عن محمد رسول الله ، عن القرآن الكريم .. لا بُدَّ أن أضع أصدقائي المسلمين ، وأقول من فضلك أتعذري ، وصوب لي ، لأنَّه ما الفائدة من كلِّ هذه الخطبة التي أُلقيها تجاه الآخرين السائلين ، وحينما أقدم الصورة التي لا توجد في الحقيقة ، أقول الإسلام باختصار من زاوية سلبية ، وهذا هو الإسلام كما هو ، إننا نحتاج إلى معرفة عميقة ، وأن نكون مستعدين لمواجهة الحقيقة ، لمواجهة الإسلام كما هو ، لا بُدَّ أن أقول حينما أوْمن بالله ، أقوم بهذه الخطوة وأسلم ، ولا أريد أن أقول شيئاً من تلقاء نفسي ، ولا أبحث عن وسائل لمهاجمة هذا العدو ، ولكن أنا أظن أن البذور موجودة ، والخلايا جيّدة ، وموجودة للقيام بالحوار .

إذا كنَّا نطلق من نقاط الانطلاق التي ذكرها الدكتور شوقي أبو خليل ، وأظنُّ هذا رأيي ، أولاً : يجب أن يعرف بعضنا بعضاً كما نحن فعلاً ، لا كما نريد أن نرى الآخر ، نريد أن نرى الآخر لا يعرف شيئاً ، بعض الأشخاص يظنُّون أنَّ العربيَّ يركب

الجِمال ، كيف نبني حواراً عالمياً حينما نتوهم توهمات باطلة ، إنَّ الخبرات التي أخذتها من هنا في سورِيَّة ، نتيجتها أنَّ المسلم أكثر استعداداً للحوار من المسيحي نوعاً ما ، ولهذا السَّبب على الكنيسة والمسيحيَّة في الغرب أن تراجع نفسها ، وتعيد حساباتها ، وتختار الطريق السَّليم ، كلُّ هذه الفضائح التي ارتكبتها ، إذا راجعت هذه الفضائح ، وهذه الخطايا ، تقول : آنا الأوان ، وقبل كلِّ شيء تتوب ، وتقول : نحن نرمم بيتنا أولاً ، ولا نفرض أنفسنا على الآخرين ، عندها سنواجه إنسانية مقبولة .

وبعد أن انتهى السيد روديفر مما سبق ، قلت معلّقاً :

المستشرقة التي قدّمت لكتاب (الإسلام كبديل) ، وهي الأستاذة الدكتور أناماري شمل - وهي على رأي الدكتور مراد هوقمان - ترى أنَّ الإسلام الموجود في رؤوس الأوربيين هو الإسلام الذي رسمته الكنيسة في عقولهم ، وليس الإسلام الصَّحيح ، وليس الإسلام كما هو ، الإسلام شيء ، وما وضعته الكنيسة الأوربيَّة في عقول الغربيين شيء آخر ، وأنا أرى أنَّ هذا خطوة جيّدة ، لقد وضعنا أيدينا على الخطأ ، لننطلق إلى التَّصويب ، إنَّ هذا شيء رائع .

☆ ☆ ☆

اللقاء الثالث :

بدأ اللقاء الثالث بإجابة السيد روديفر براون عن سؤال الثالوث الأقدس ، فقال :

الثالوث الأقدس يقول : المسيح وُجِدَ في ناسوته .

فقلت : هل وُجِدَ السيّد المسيح منذ الأزل مع الله ؟

روديفر : المسيح وُجِدَ مع الأزل .

- المسيح المصلوب متى وُجِدَ ؟ هل المسيح المولود من مريم أزلّي ؟

روديفر : منذ ١٩٩٤ سنة ، كلمة ، كان فيه كلمة .

- الكلمة كُن فيكون ، أي بإرادة الله ، للمسيح المصلوب عمره ١٩٩٤ سنة ، فكيف صار واحداً من ثلاثة ؟

روديغر : الله كان الكلمة ، كان دائماً ناطقاً ، الله كان أزلياً ولكن في ذاته ، ثلاث ذاتيات منذ الأزل ، أنا لا أتكلّم عن مادّيات ، الجوهر كان دائماً واحداً ، لا تحدث عن الجواهر المخلوقة ، الجوهر يعني غير قابل للعرض ، أراد الله أن يُعرَف^(١) ، فأرسل شخصاً اسمه المسيح ، جعله المثال الناطق ، الذي يتكلّم ليس المذيع ، المتكلّم هو المسيح ، للمسيح يسأل والمحيب هو الله .

- في الأناجيل الأربعة لا نجد فيها موطناً واحداً يقول فيه السيّد للمسيح : أنا الله .

روديغر : صحيح ، تلامذته قالوا .

- بل (شاول) هو الذي غيّر وبدّل ، لقد بقي التوحيد حتّى مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م ، في اللاهوت المسيحي بحوث وافية كافية ، فيها آراء النسطورية ، والأبنيوتية ، والأريوسية .. هل كانت الأريوسية موحّدة ؟

روديغر : نعم موحّدة .

- مادام الأساس هو التوحيد ، لماذا قضي عليه ، ووضعنا فلسفة خاصّة يصعب الاقتناع بها ؟ لماذا كلُّ هذه الشروحات ، عدّ إلى (قصة الحضارة) لول ديورانت مثلاً ، أو إلى نيتشه .. نيتشه غير ملحد ، إنّه ملحد بإله الكنيسة البشري فقط .

روديغر : كان مجنوناً .

- نيتشه مؤمن بالله ، وكافر بالمسيحية ، يقول نيتشه : « الله كما خلقه بولس ، هو إنكار لله ، وديانة كالمسيحية لا تمس الواقع في أية نقطة ، وتفتّت حالاً يدخل الواقع

(١) ويتساءل المرء هنا : هل كان الله غير معروف منذ آدم وحتى سنة ٣٠ م ؟ حيث تعبد السيد المسيح .

فيها من أيّ قطعة .. » ، ويستغرب ويسخر من القول : « الله على الصليب ؟! » ، ويقول أيضاً : « حارب الصليبيون شيئاً كان الأجدر بهم أن ينبطحوا بذلّ أمامه ، حضارة يمكن لقرننا التاسع عشر أن يعتقد أنّه فقير جداً ، ومتأخّر جداً بالمقارنة معها »^(١) .

رود يغر : صحيح .

- أريد أن أغرس في ذهنك : لماذا بعد سنة ٢٢٥م تغيّرت للمسيحية ؟ .

رود يغر : هذا غير صحيح تماماً .

- لماذا عقيدت المجامع إذن ؟

رود يغر : المجامع صحيحة .

- إنها خالفت العقيدة في جوهرها ، في صلبها .

رود يغر : بعد ثلاثة قرون بدأت هذه المهرطقة ، فكان لا بُدّ أن تقول الكنيسة

كلمتها ، وأنا أسألك : ماذا كان يجري في القرون الأولى في المسيحية ؟

- الجواب الفيصل عندي : كانت الوثنية تقحم بالمسيحية على يد (شاول) ، وإذا

كان صدرك رحباً ، أوضح لك ذلك بالتفصيل ، وهذا الموضوع أشرحه لك دون

الرجوع إلى كتاب لمؤلف عربي أو مسلم ، بل أشرحه لك من مصادر غريبة ، ومع ذلك

أقدم لك كتابين لن أعتدهما في إجابتي عن سؤالك : (ينابيع المسيحية) لخوجة

كال الدين ، و (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) لمحمد طاهر التّشير ، شريطة أن

تقرأ باستيعاب ، وتناقش المضمون .

رود يغر : أنا أتعلّم .

(١) أقوال نيتشه في كتابه (عدو المسيح) على التّوالي الفقرات : ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٠ .

- هذه اللقاءات في اعتقادي مفيدة لنا جميعاً ، من منطلق أن نتعرف على العقيدة من أصحابها ، من الأتباع أنفسهم ، ونحن من الذين يحاورون بهدوء ، لاجلعلك مسلماً ، فالمسلمون اليوم مليار وأكثر ، فأنا من أصحاب نظرية تقول : أن لنا أن نزن العقول ، ولا نعد الرؤوس ، لا يهمني العدد ، بل يهمني العقول الراجعة ، الفاهمة ، الواقعية ، يهمني النوعية .

روديغر : إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ النَّصَارَى مُؤْمِنٌ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ۖ ﴾ [البقرة : ٦٢/٢] .
- ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، أي من آمن من هذه الطوائف إيماناً صادقاً ، فصدق بالله ، لا بالوهية عيسى عليه السلام .

روديغر : القرآن لم يحارب مرة واحدة في آياته الثالوث الأقدس ، حارب التثليثات الخاطئة .

- بل حارب التثليث وعده كفرة ، وهل تعلم أن التثليث موجود في العقائد الوثنية القديمة التي سبقت المسيحية ؟
روديغر : طبعاً أعرف .

- والمسيحية التي نزلت على عيسى عليه السلام لا تثليث فيها ، والتثليث في المسيحية مقتبس دخيل من العقائد الوثنية القديمة .

روديغر : أنا أظن ، أننا نتسرع حيناً نقول : إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يحارب المسيحية التي نحن عليها .

- النبي ﷺ لم يحارب المسيحية ، بدليل وجود المسيحيين بيننا ، للمسلمون لا يحاربون أحداً لفرض عقيدتهم عليه .

روديغر : الزواج مثلاً ، لماذا لا يمنع القرآن زواج المسلم من مسيحية ؟ إنه يسمح بذلك .

- هذا له جواب .

روديغر : لأنها ليست مشركة .

- لا ، لأنها من أهل الكتاب .

روديغر : حاشا للنبي أن يسمح للمؤمنين المسلمين الزواج بمشركة .

- لأنَّ عندها رادعاً مهما كانت عقيدتها مشوهة ، يبقى عندها رادع في نفسها ، فلامانع من أن تكون زوجة ولو شابة إيمانها ماشابه .

ياسيد روديغر ، لقد كان من المفروض على الكنيسة ، بسدل الاقتراءات والشبهات ، أن تطبع القرآن الكريم مع الإنجيل ، طبعوا التوراة ولم تذكر السيّد المسيح وأمه الطاهرة البتول ولو مرة واحدة ، وأمّا القرآن الكريم ففيه السور الطسوال عن المسيح وأمه .

قال رجا غارودي : « لم يسدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة ، حتّى في الجامعات الغربية ، ورئياً كان هذا مقصوداً مع الأسف » .

مع أن التسامح الديني كان مطلقاً في دور ازدهار الحضارة الإسلامية : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

وعلى الرغم من ذلك كلّهُ ، تذكر إذاعة لندن صباح يوم الأربعاء ١٩٩٤/١/١٩ م ، الساعة ٧،٤٠ بتوقيت دمشق ، كلاماً عن الدكتور كيلى ، يتحدث فيه عن حقوق الإنسان والتسامح بشأن السودان ، وكذلك يذيع تصريحاً للبارونة شوكر ، وذلك ضمن مناقشة الشؤون السودانية في مجلس العموم البريطاني ، مع أن البابا عندما زار الخرطوم في الشهر الأول من العام الماضي (١٩٩٣ م) لم يتحدث كلمة واحدة عن حقوق

الإنسان ، ولا عن التسامح ، لأنَّ حقوق الإنسان مصونة ، والتسامح متوافر في أبعد مدى ، والمسيحيون لا يشكلون سوى ٧٪ في الجنوب ، ويريدون التَّحكُّم بسياسة الدولة ، وبمصر الأكثرية المسلمة ، أين الديمقراطية ؟ إذا عَمَّنا أن كلَّ أقلية لم يعجبها أمر تطالب بالانفصال أو تنقاد الأكثرية لأمرهم ، شيء محجل حقاً .

أمَّا التسامح ، فعيب على أوربة أن تتحدَّث عنه ، لأنها لم تعرفه على مرَّ تاريخها في وقت من الأوقات .



اللقاء الرابع :

كان اللقاء الرابع يوم الأربعاء ١٩٩٤/١/٢٦ م ، ولقد صادف هذا التاريخ ١٤ شعبان ١٤١٤ هـ ، ليلة النصف من شهر شعبان ، فبدأت الجلسة بدعاء النصف من شعبان ثم قلت :

وعدت السيّد روديفر في لقاء الأسبوع الماضي أن أعمالج موضوعاً واحداً فقط : كيف طرأت الوثنية على الديانة المسيحية الموحدة ؟ وقلت في حينه : إنني لن أعود إلى مصدر إسلامي ، أو مرجع مؤلف مسلم ، كي لا يقال في مثل هذا الموقف للثلث للعروف : كلُّ فتاة بأبيها معجبة ، فاجتناباً لأيّ تحامل أو زيادة أو نقصان في مثل هذا الموضوع ، عدت إلى قصة الحضارة لول ديورانت ، الجزء الحادي عشر ، الصفحة ٢٠٢ وما بعدها ، الباب السادس والعشرين ، وعنوانه : عيسى أو يسوع [٤ ق.م - ٣٠ م] ، أنا لم أت بشيء من عندي ، وإذا أردت شرحاً لمُحَت ، وإذا أردت تعليقاً سأقول ، سأذكر ذلك للأمانة العلمية ، وللتوثيق .

يبدأ الفصل الأول من الباب السادس والعشرين بالسؤال التالي : هل وُجد المسيح حقاً ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثرة أحزان البشرية ، وخيالها ، وأمالها أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا ، وأوزيريس ، وأدونيس ، ومثراس .. ؟

لقد كان (بولنجبرك) وللمتفنون حوله ، وهم جماعة ارتناع لأفكارها (قلتير) نفسه ، يقولون في مجالسهم الخاصة : إنَّ المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق ، وجهر (قلني Volney) بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره في عام ١٧٩١ م ، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ م (بفيلاند Wieland) العالم الألماني ، لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب ، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح ؟

ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثراً ميدان النقد الأعلى للكتاب المقدس ، التَّهْجُمُ الشَّدِيد على صحَّته وصدق روايته ، تقابله جهود قويَّة لإثبات صحة الأسس التاريخية للذين المسيحي .

(هرمان ريمارس) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (همبرغ) ، ترك بعد وفاته عام ١٧٦٨ م مخطوطاً عن حياة المسيح يشتمل على ١٤٠٠ صفحة ، نُشِرت فصول منه ، يقول : إنَّ يسوع لا يمكن أن يُعَدَّ مؤسس المسيحية .. كان يفكر في تهديمه الناس لاستقبال دمار العالم .

وفي عام ١٨٩٦ م أشار (هرذر) إلى ما بين مسيح متى ، ومرقس ، ولوقا ، ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

ثمَّ جاء (دافيد استروس) عام ١٨٣٦ م ، وقَدَّم كتابه عن حياة المسيح ، وهو كتاب عظيم الأثر في التاريخ ، فرفض التوفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية ، وقال : إنَّ ما في الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافية ، وإن حياة المسيح الحقيقية يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تُحذف منها هذه العناصر أياً كانت صورها .

وفي عام ١٨٣٦ م أيضاً هاجم (فردناند كرستيان بور) رسائل بولس ، وقال : إنها كلّها مدسوسة عليه ، عدا رسائله إلى أهل غلاطية ، وكورنثوس ، ورومة .

وفي عام ١٨٤٠م بدأ (برونو بور) سلسلة من الكتب الجدليّة الحماسيّة ينبغي بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير .

وفي عام ١٨٦٣م أخرج (إيرنست رينان) كتاباً اسمه (حياة يسوع) ، جمع فيه نتائج النّقد الألماني ، وعرض مشكلة الأنجيل على العالم للثّقف كلّه .

وبلغت المدرسة الفلسفيّة صاحبة البحوث الدّينيّة ذروتها في أواخر القرن الثّاسع عشر على يد الأب (لوازي Loisy) الذي حلّل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصّرامة حدّاً اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكيّة إلى إصدار قرار بحرمانه ، هو وغيره من (المحدثين) .

وفي المدرسة الهولنديّة ، مدرسة (بيرسن) و (نابز) و (متناس) ، وبعد بحوث مضنية ، أنكرت حقيقة المسيح التاريخيّة ، وفي ألمانيا عرض (آرثر دروز) هذه النتيجة السّالبة عرضاً واضحاً محدّداً عام ١٩٠٦م .

وفي إنكلترة أدلى (سمث) و (ربرتن) بحجج من هذا النّوع ، أنكر فيها وجود المسيح .

إنّ أقدم إشارة غير مسيحيّة إلى وجود المسيح هي التي وردت في كتاب قدّمه اليهود ليوسفوس عام ٩٣م ، وللمسيحيّون يشككون في هذا الكتاب - أو هذه الرسالة - لوجود ثناء عظيم على المسيح ، واليهود يناصبون المسيحيّة العداء ، ممّا بعث الرّيبة بهذه الرّسالة ، ولذلك يرفضها علماء المسيحيّة .

وأقدم إشارات إلى المسيح في أدب الوثنيّين ما ورد في خطاب كتبه (بلني الأصغر) حوالي عام ١١٠م ، يستشير فيه (تراجان) ممّا يعامل به المسيحيّين ، وبعد خمس سنين من ذلك الوقت وصف (ناستس) اضطهاد (نيرون) للمسيحيّين في رومة .

هذا ما كان من أمر المسيح نفسه ، أمّا الأنجيل فليس أمرها بهذه السّهولة ، ذلك

أن أربعة الأناجيل التي وصلت إلينا ، هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً ، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني ، واللفظ الدال على الإنجيل Godspel ، أي أخبار طيبة ، ترجمة للفظ اليوناني Euangelion ، الذي يبدأ به إنجيل مرقس ومعناه (أخبار سارة) ، هي أن للمسيح قد جاء ، وأن ملكوت الله قريب المنال ، وأناجيل متى ومرقس ولوقا كتبت باللغة اليونانية الدارجة ، أكسبها حتى في صورتها الأصلية الفجة جمالاً فذاً ، زاده قوة في العالم الإنكليزي الترجمة العظيمة البعيدة كل البعد عن الدقة ، والتي وضعت للملك جيس .

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠ و ١٢٠ م ، ولعلها تعرضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراه به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتهي إليها الناسخ أو أغراضها .

ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م إلا في كتابات (بيباس Papias) الذي كتب في عام ١٢٥ م يقول : إن يوحنا الأكبر - وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها - قال : إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس .

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ، وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول ، يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح ، والتوفيق بينها ، فهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس كما يقتبس من متى .

ولا يدعي الإنجيل الرابع أنه ترجمة ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنتقد البشرية ، وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح ، وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرابع (يوحنا) بأواخر القرن الأول .

وملاك القول أنَّ ثمة تناقضاً كثيراً بين الأناجيل بعضها من بعض ، وأن فيها إشارات تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وكثيراً من القصص الباعثة على الرّيبة والشّبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، ويسدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرّضت لما تعرّض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النّساخ من أخطاء ، أو (تصحيح) .

ويعمد المخترعون للفقّون إلى إخفاء كثير من الحادثات :

كتنافس الرّسل على للنازل العليا في ملكوت الله .

وفرارهم بعد القبض على يسوع .

وإنكار بطرس .

وعجز المسيح عن إتيان المعجزات في الجليل .

وإعترافه بأنّه مجهل أمر المستقبل .

وما كان يمزّ به من لحظات يمتلئ قلبه فيها حقداً على أعدائه .

وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصّليب .

ويختتم ول ديورانت هذا الفصل بقوله : « إنّ الخطوط الرّئيسيّة في سيرة المسيح ، وأخلاقه ، وتعاليمه ، لتبقى بعد قرنين من النّقْد الشديد واضحة معقولة ، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيين وأعظمها فتنة للألباب » ، [قصة الحضارة ١١/٢١١] .

نشأة عيسى : يحدد متى ولوقا ميلاد المسيح في الأيّام التي كان فيها (هيرودس) ملكاً على فلسطين ، ولوقا يقول عن يسوع أنّه كان حوالي الثلاثين من عمره حين عمّده يوحنا في السّنة الخامسة عشرة من حكم (تيبيريوس) ، أي في عام ٢٨ - ٢٩ م ، وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢ - ١ ق م .

واختلف في تاريخ ولادته : ١٧ نيسان (إبريل) ، أم ١٠ أيار (مايو) ؟ أم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ؟ أم ٦ كانون الثاني (يناير) ؟ وفي عام ٣٥٤ م احتفلت

الكنائس الغربية بمولده في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ظناً منها أنه يوم الانقلاب الشتوي الذي تبدأ الأيام بعده تطول . وهو عيد مثير - أي مولد الشمس التي لا تقهر ، واستسكت الكنائس الشرقية بتاريخ ٦ كانون الثاني (يناير) ، واتهمت أخواتها الغربية بالوثنية ، وعبادة الشمس ، وما اختتم القرن الرابع حتى اتخذ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) عيداً للميلاد .

وُلِدَ المسيح - كما في متى ولوقا - في بيت لحم ، ثم انتقلت أسرته إلى الناصرة ، ولم يذكر لماذا هذا الانتقال .

وفي مرقس لا ذكر لبيت لحم ، ولا ذكر للمسيح إلا باسم (يسوع الناصري) ، ويقول الناقدون إنَّ متى ولوقا قد اختارا بيت لحم ليقوّيا بذلك الادّعاء بأن يسوع هو المسيح ، وأنّه من نسل داود كما تتطلب تلك النبوءة اليهودية ، وذلك لأنَّ أسرة داود كانت تقيم في بيت لحم ، ولكننا لا نجد ما يؤيّد هذا الظن .

ولا يذكر بولس ويوحنا شيئاً عن مولده من عذراء ، وأمّا متى ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف ، بسلاسل أنساب متعارضة ، ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخر عن الاعتقاد بأنّه من نسل داود .

ولا يذكر أصحاب الأناجيل شيئاً - إلا القليل خطأ - عن شباب المسيح .

١ وتوضيحاً أقول هنا : بل لا نعرف شيئاً عن حياة المسيح وعمره ما بين ١٢ سنة إلى ٣٠ سنة ، فترة مجهولة تماماً ، لذلك يتكلم المفكرون في الغرب عن السنين الضائعة من حياة المسيح [١٩] .

عُدَّ يوحنا المعمدان المسيح في نهر الأردن وعمره ٣٠ سنة ، ويروي مرقس ومتى بعدها قصة سالوم ابنة هوردياس التي فتنت هيرودس برقصها أمامه حتى عرض عليها

أن يقدم لها آية مكافأة تطلبها ، فطلبت رأس يوحنا بتحريض من أمها ، وإن الحكام أجابها لطلبها ، وليس في الأناجيل شيء عن حبّ سالوم ليوحنا .

الرسالة : ولما سَجِنَ يوحنا أخذ عيسى يقوم بعمل العمدان ، ويخطب في الناس مبشراً بملكوت الله ، ولما عَرَفَ أَنَّ يوحنا قد قُتِلَ ، وَأَنَّ أَتباعه كانوا يبحثون عن زعيم جديد ، تحمّل يسوع العبء ، وما يستتبعه من خطر .

المعجزات : عزاها للمسيح نفسه إلى (إيمان) من يشفيهم .

وابنة (بايروس) قال عنها المسيح بصراحة : إِنَّ البنت لم تمت ، بل كانت نائمة .

وظلّ المسيح زمناً طويلاً لا يرى في نفسه إلاّ أنه أحد اليهود ، ويؤمن بأفكار الأنبياء ، يرسل رسله إلى المدن اليهوديّة فقط : « إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا » ، « لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضّالة » ، وقال للأبرص الذي شفاه من علته : « اذهب وأر نفسك للكاهن ، وقدم قربان الذي أمر به موسى » ، « لا تظنوا أنني جئت لأتقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأتقض بل لأكمل » .

ثم قبض (بيلاطس) على المسيح ، وبعد الصلب - كما يعتقد المسيحيون - : « أنّ المسيح ظهر في ذلك اليوم نفسه إلى تلميذَيْن من تلاميذه في الطريق الموصل إلى عمواس ، وتحدث إليهم ، وأكل معهم ... وعرفاه ، ثم اختفى عنها .

(لذلك في الأناجيل المكتشفة في قنا (في صعيد مصر) : كان شخص آخر هو الذي شرب المرارة والخل ، لم أكن أنا كان آخر ، (سيمون) هو الذي حمل الصليب على كتفه ، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء ، أضحك لجهلهم .

إنّ الذي رأيته سعيداً يضحك ، هو يسوع الحيّ ، لكن من يُدْخِلُون المسامير في

يديه وقدميه .. فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشَّبيه ، انظر إليه وانظر إليّ .
(مجلة المجلة العدد ٧١٢ ، تاريخ ١٩٩٣/١٠/٣) ، وقدّمتُ صورةً عن التَّحقيق الَّذي
تناول الأناجيل المكتشفة في قنا للسَّيد رودىغر ، وفيه النُّصان السَّابقان .

الرُّسُل : [٣٠ - ٩٥ م] :

بطرس : نشأت للمسيحية من الإيحاء الغامض العجيب بحلول اللُّكوت ، واستمدت
دوافعها من شخصيّة المسيح نفسه وتخيّلاته ، كما استمدت قوّتها من عقيدة البعث
والحساب ، والوعد بحياة الخلود ، وأتخذت صورة العقائد الثَّابتة في لاهوت بولس ، ثم
نمت باستيعابها العقائد والطُّقوس الوثنيّة

ولما كثر عدد المهتدين ، وكثر ما تحت أيدي الرُّسل من الأموال ، عيّنوا سبعة من
شامسة الكنيسة للإشراف على شؤون هذه الجماعة ، وظلّ رؤساء اليهود فترة من الزَّمن
لا يعارضون قيام هذه الفئة لصغرها ، وانتفاء الأذى من وجودها ، فلما تضاعف عدد
النَّصارى ، استولى الرُّعب على قلب الكهنة ، فقبض على بطرس وغيره للمحاكمة ، وكان
شاول يساعد في الهجوم ، وانتقل من بيت إلى بيت في أورشليم ، يقبض على أتباع
الكنيسة ، ويزجهم في السَّجن .

ورحَّب المسيحيُّون بتدمير الهيكل على يد (تيطس) ، وأتقدت نار الحقد في قلوب
أتباع كلا الدَّيْنَيْنِ ، وأخذت المسيحية اليهوديّة من ذلك الوقت يقل عدد أتباعها
وتضعف قوتها ، وتترك الدَّين الجديد للعقليّة اليونانيّة تشكُّله وتصبغه بصبغتها .

وكانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهوديّة ، ثمَّ أصبحت في تعاليم بولس
نصف يونانيّة ، وأصبحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانيّة ، ثمَّ عاد إليها العنصر
اليهودي والقوّة اليهوديّة حين دخلها المذهب البروتستنتي .

بولس : وُلِدَ واضح اللاهوت المسيحي في طَرَسُوس من أعمال كيليكيا ، حوالي
السَّنة العاشرة من التَّاريخ الميلادي ، ومن حقِّنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدِّينيّة

والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس ، وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع لعقائد كثيرة منها الحفي ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره ، هذه العقائد الغامضة الحفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان ، بعد أن اعتقد أنه ملهم يوحى إليه أنه قادر على فعل المعجزات ، وبدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية ، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح ، لقد تزعم الاضطهاد الأول للمسيحيين في اورشليم ، ولما سمع أن الذين الجديد أصبح له في دمشق أتباع كثيرون ، سار إليها ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتاً قائلاً له : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدينى ؟ فقال : من أنت يا سيّد ؟ فقال الربّ (وفي الأصل الإنكليزي : فقال الصوت) : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، انقلاب مفاجئ أساسي في طبيعة الرجل ، وسقطت قشور عن عينيه ، فأبصر وتناول الطعام ، وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت ، دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها : إن عيسى ابن الله .

ولما عاد إلى اورشليم عفا عنه بطرس ، ولكن كان معظم الرسل يرتابون فيه ، فأرسل إلى طرسوس ، وظلّ في مسقط رأسه ثماني سنين لا يعرف عنه التاريخ شيئاً .

والراجح أن بولس قام برحلته التبشيرية الثانية في عام ٥٠ م ، وسار إلى مقدونية . وسالونيك ، ثم إلى أثينا ، ثم إلى كورنث ، ثم إلى اورشليم عام ٥٣ م . ثم بدأ رحلته الثالثة إلى أنطاكية وآسية الصغرى ، ثم إلى اليونان ، ومن هنا كتب رسالة إلى أهل غلاطية ، وأعلن فيها أن الناس لا ينجون لاستساكهم بشريعة موسى ، بل بإيمانهم القوي بالمسيح المنقذ ابن الله ، ثم سافر إلى اورشليم عام ٥٧ م ، ثم أرسل إلى إيطالية ليحاكم أمام القيصر (نيرون) ، وسمح له نيرون بإقامة جبرية ، وسمح لمن شاء زيارته ، وكان المسيحيون في رومة يفضلون المسيحية التي جاءت إليهم من اورشليم ، فقابلوا بولس بفتور ، فكتب من رومة رسائل طويلة إلى أتباعه البعيدين ، لم تلبث أن

دخلت في أخصّ خصائص اللاهوت المسيحي ، ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح ، أهمها : إن كلّ ابن أنثى يرث خطيئة آدم ، وأن لا شيء ينجيّه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفّر بموته عن خطيئته ، وهذه عادة يهوديّة كنعانيّة بابليّة وثنيّة ، أي التّضحّيّة بطفل محبوب لاسترضاء السّماء الغضبي ، إنّها فكرة وثنيّة معروفة في مصر وآسيّة الصّغرى وبلاد اليونان (أوزريس ، وأتيس ، وديونيشس) ماتوا ليفتدوا بموتهم بني الإنسان ، ولقب (سوتر) بالمتقذ والمنجّي (اليوثيريوس) تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ (كريوس Kyrios) أي (الرّب) الذي تسمّى به بولس المسيح ، هو اللفظ الذي تطلقه الطّقوس اليونانيّة - السّوريّة على (ديونيشس) الميث المفتدي .

وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت أن المسيح هو (حكمة الله) ، و (ابن الله الأوّل) ، يكرّر كلّ خليقة ، هو (الكلمة) الذي سينجي النّاس كلّهم بموته ، وكتب إلى أهل (قلبي) : « ننتظر مخلصاً هو الرّب يسوع المسيح .. الرّب القريب » .

وقتل بطرس في رومة سنة ٦٧ م .

ويتابع ديورانت قائلاً : إنّ للمسيحيّة لم تقض على الوثنيّة ، ذلك أنّ العقل اليوناني المتنصّر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللّغة اليونانيّة التي ظلّت قروناً عدة صاحبة السّلطان على السّياسة أداة الآداب ، والطّقوس للمسيحيّة ، وانتقلت الطّقوس اليونانيّة الخفيّة إلى طقوس القدّاس الخفيّة الرّهيبية ، وساعدت عدّة مظاهر أخرى من الثّقافة اليونانيّة على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر بآراء الثّالوث للقدّس ، ويوم الحساب ، وأبدنيّة الثّواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك ، ومنها جاءت عبادة أم الطّفل ، والاتّصال الصّوفي بالله ، ذلك الاتّصال الذي أوجد الأفلاطونيّة الحديثة والأأدريّة ، وطمس معالم العقيدة للمسيحيّة .

ومن فريجييا جاءت عبادة الأم العظمى .

ومن سورثة أخذت تمثيلية بعث أوتيس .

وربما كانت تراقيا هي التي بعثت للمسيحية بطقوس (ديونيشس) ، وموت الإله ونجاته .

ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام ، وعصور الأرض واللهيب الأخير الذي سيحرقها ، وثنائية الشيطان والله والظلمة والنور ، فن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً « يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه » ، ولقد بلغ التشابه بين الطقوس (المراسية) والقربان المقدس في القداس حداً جعل الآباء المسيحيين يتهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه ليضل به ضعاف العقول .

وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم .

قسطنطين والمسيحية : ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت عليها حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب .

احتال واستخدم مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدنيوية .

لقد كانت للمسيحية عنده وسيلة لا غاية ، لذلك ظلّ يستخدم ألفاظاً توحيدية يستطيع أن يقبلها كل وثني ، وقام في خلال السنين الأولى من سلطانه المفرد في صير وأناة بجميع المراسم التي يتطلبها منه منصب الكاهن الأكبر ، والتي تحتها عليه الطقوس التقليدية ، وحدد بناء الهياكل الوثنية ، وأمر بممارسة أساليب العرافة ، واستخدم في تدشين القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معاً ، واستعمل رُق سحرية وثنية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض .

غير أن سحبا كدّرت صفو ذلك اليوم الذي لاسحاب فيه ، تلك هي انشقاق الأديرة :

- أتباع (دوناتس) الذين عارضوا أيّ تقص في احترام الشهداء ، وتطالب بإعادة تعميد من ينضمون إليها من أتباع الكنيسة الكاثوليكية .

- وأريوس الإسكندري الذي أنكر ألوهية المسيح ، « المسيح والأب ليسا من مادة واحدة » ، ولا يمكن للابن أن يكون متفقاً مع وجود الأب في الزمن .

ونتيجة هذه المشكلات أضحى الذين المسيحي موضوع السخرية الدنسة من الوثنيين .

ورأت الكنيسة أنه إذا لم يكن المسيح إلهاً ، فإنّ كيان العقيدة المسيحية كلها يبدأ في التصدّع ، وإذا ما سمحت باختلاف الرأي في هذا الموضوع ، فإنّ فوضى العقائد قد تقضي على وحدة الكنيسة وسلطانها ، ومن ثمّ على ما لها من قيمة بوصفها عوناً للدولة ، ولما انتشر الجدل في هذه المسألة ، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشرق اليوناني ، اعترم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أول مجلس عام للكنيسة ، ولهذا عقد مجلساً من الأساقفة عام ٣٢٥م في نيقية ، حضره ٣١٨ يصحبهم رجال دين دونهم درجة ، وأرسل البابا سلفستر الأول بعض القساوسة لأن المرض حال بينه وبين حضور الاجتماع بنفسه .

واجتمع المجلس في بهو أحد القصور الإمبراطورية تحت رئاسة قسطنطين ، وافتتح هو المناقشات بدعوة الأساقفة جميعاً أن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها ، وشارك في المنافسات ، وأكد (أريوس) من جديد رأيه القائل بأن المسيح مخلوق ، لا يرقى إلى منزلة الأب .

وأوضح (أثناسيوس) رئيس الشمامسة البليغ : إذا لم يكن المسيح والروح القدس كلاهما من مادة الأب ، فإنّ الشرك لا بدّ أن ينتصر ، وقد سلّم بما في تصوير أشخاص

ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة ، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فيه
الثالث من خفاء وغموض .

قرار الجمع : « نحن نؤمن بـإله واحد ، وهو الأب القادر على كل شيء ، خالق
الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن ، وبسيد واحد هو المسيح ابن الله ، المولود .. غير
المخلوق من جوهر الأب نفسه ، وبأنه من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل نجاتنا نزل
وتجسّد وصار إنساناً ، وتعذّب ، وقام مرّة ثانية في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ،
وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات » ، وحكّم على من عارض وهم سبعة عشر أسقفاً ،
ثم نزل الرّم إلى خمسة ، ثم إلى اثنين مع أريوس باللعنة والحرمان ، ونفاهم الإمبراطور
من البلاد ، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب أريوس جميعها ، ويجعل
إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام .

وبذلك استبدل قسطنطين المسيحية بالوثنية ، وجعلها للظهر الدّيني ، والعضد
القوي للإمبراطورية الرومانية ، وفي عام ٣٢٧ م اشتد المرض على قسطنطين ، فاستدعى
قساً ليجري له مراسم التّعميد المقدّس .

والمسيحية هي التي أدّت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية « الحضارة العظيمة
لا يُقضى عليها من الخارج إلّا بعد أن تقضي هي على نفسها من الدّاخل ، وشاهد ذلك
أنّا نجد الأسباب الجوهرية لسقوط رومة في شعب رومة نفسه .. » ، [قصة الحضارة
٤٠٤/١١] .

المسيحية قضت على رومة عام ٤٧٦ م عندما ناصبت التّصافاة القديّة العداء ،
فصاربت العلم والفلسفة ، والأدب ، والفن ، وحوّلت أفكار النّاس عن واجبات هذا
العالم ووجهتهم إلى الاستعداد لاستقبال كارثة عالميّة ، وهو استعداد مضعف للعزيمة ،
وأغرّتهم بالجري وراء النّجاة الفرديّة عن طريق الزّهد والصّلاة ، بدل السّعي للنّجاة
الجماعيّة بالإخلاص للدولة والتّفاني في الدّفاع .

ولم يضع مجمع نيقية ٣٢٥م حداً للنقاش الحاد الذي احتدم أواره بين أثناسيوس وأريوس ، بل ظلّ كثير من الأساقفة - كانوا هم الكثرة الغالبة في الشرق - يناصرون أريوس سرّاً وجهراً ، ولم يستنكف قسطنطين نفسه ، بعد أن قبل قرار المجمع وطرده أريوس من البلاد ، أن يدعوه إلى اجتماع شخصي معه ٣٢١م ، وأوصى بأن تُردّ إلى أريوس وأتباعه كنائسهم ، واحتج أثناسيوس على ذلك ، فاجتمع في (صور) مجلس من أساقفة الشرق ، وقرّر خلع من كرسي الإسكندرية عام ٣٢٥م ، وظلّ عامين طريداً في (غاله = فرنسا) ، أمّا أريوس فقد زار قسطنطين مرّة أخرى ، وأعلن قبوله للعقيدة التي قرّرها مجمع نيقية ، بعد أن أضاف إليها تحفّظات دقيقة لا ينتظر من الإمبراطور أن يفهمها ، وأمن قسطنطين بأقواله ، وأمر الإسكندر بطرق القسطنطينية أن يقبله في العشاء الربّاني .

وعنى قسطنطينيوس بن قسطنطين بشؤون الدّين ، واعتنق مذهب أريوس ، وطرده أثناسيوس من كرسي الإسكندرية مرّة ثانية عام ٣٣٩م ، وكان قد عاد إليه بعد موت قسطنطين ، وأخرج الكهنة الذين استسكوا بعقائد مجمع نيقية من كنائسهم ، وأتى على المسيحية نصف قرن من الزّمان لاح فيه أنّها ستؤمن بالتّوحيد وتتخلّى عن عقيدة ألوهية المسيح ، وظلّ أثناسيوس الذي فرّ من كرسيه هيم على وجهه في البلاد الأجنبية حتّى عام ٣٧٣م ، لم تلن له قناة بعد أن ضعف البابا (ليبريوس) واستسلم ، وإليه يرجع معظم الفضل في استمساك الكنيسة بعقيدة التّثليث ، وقامت فتنة في القسطنطينية ، سببها قسطنطينيوس حينما أمر أن يستبدل ببولس مقدونيوس الأريوسي ، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون جنود الإمبراطور ، وقتل في الاضطرابات التي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة آلاف شخص ، وأكبر الظنّ أنّ الذين قتلوا من المسيحيّين بأيدي المسيحيّين في هذين العامين (٣٤٢ و ٣٤٣م) ، يزيد عددهم على من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيّين للمسيحيّين في تاريخ رومة كلّ .

وقنسطنطيوس هو الذي أمر بإغلاق جميع المياكل الوثنيّة في الدّولة ، ومنع جميع الطّقوس الوثنيّة ، وأُنذر من يعصي أمره بقتله ، ومصادرة أملاكه .

ولكن يوليان عام ٣٦١م أعلن إلى العالم اعتناقه للوثنيّة ، وبعد موته - وهو في الثانية والثلاثين من عمره - حوّل خلفه جوفيان تأييده من المياكل الوثنيّة إلى الكنيسة المسيحيّة .

ثمّ مرّت الكنيسة بفترة اضطراب ، عقائد وعقائد : اليونوميون ، الأنوميون ، الأبليناريون ، السبليّون ، الساليّون ، النوفانيّون ، البرسليانيّون .. وفي شمالي إفريقيا أنكر (دوناتوس) - أسقف قرطاجة - مالعشاء الرّبّاني الذي يقّده التساوسة من أثر في الخطيئة ، وانتشرت هذه العقيدة انتشاراً سريعاً في شمالي إفريقيا ، فرافقها ثورة اجتماعيّة ، وسرعان ما تألّفت عصابات (مسيحيّة - شيوعيّة) في آن واحد ، وسُمّيت باسم (الجوّابين) ، وأخذت تنذّد بالفقر والاسترقاق .

وكان (هلاجيوس) في هذه الأثناء يثير قارات ثلاثاً بهجومه على عقيدة الخطيئة الأولى .

كما كان نسطوريوس يطلب الاستشهاد بما يجهر به من شكوك في أمّ المسيح ، وهو تليذ (يثودور المبوستياني) الذي ابتدع النّقد الأعلى للكتاب المقدّس ، وقال : سفر أيّوب إن هو إلا قصيدة مأخوذة بتعديل من مصادر وثنيّة ، وإنّ نشيد الإنشاد إن هو إلا إحدى أغاني الفُرس ذات معنى شهواني صريح .. ووصل نسطوريوس إلى كرسي الأسقفية في القسطنطينية .

وألقى (سيريل) كبير أساقفة الإسكندريّة عام ٤٣٩م كلمة أعلن فيها أن مريم ليست أمّ الله الحق ، بل هي أمّ كلمة الله ، المشتلة على طبيعتي المسيح الإلهية والبشريّة معاً ، واستشاط البابا (سلسطين الأوّل) غضباً إثر رسالة تلقاها من (سيريل) ، فعقد مجلساً في رومة عام ٤٣٠م ، وطالب بأن يرجع نسطوريوس عن آرائه ، أو يعزل من

منصبه ، فلما رفض نسطوريوس ، عُزل وحُرم من الكنيسة المسيحية ، ونُفي إلى أنطاكية ، ومن ثم إلى واحة في صحراء ليبيا ، ومات هناك حوالي عام ٤٥١ م ، وانتقل أتباعه من بعده إلى شرقي سورية ، وشادوا لهم كنائس ، وأنشؤوا مدرسة لتعليم مذهبهم في الرها ، ثم في نصيبين ، ومنهم جماعات في بلخ وسمرقند ، وفي الهند والصين .

وآخر الشيع الطوائف التي أنشأها (أوتيكيس) رئيس دير قريب من القسطنطينية ، وكان يقول : إنَّ المسيح ليست له طبيعتان بشرية وإلهية ، بل إنَّ له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية ، فحُرم ، ثم بُرئ في مجمع (إفسوس) عام ٤٤٩ م ، ثم سُخط عليه مجمع (خلقيدونية) عام ٤٥١ م .

وزاد الاضطراب وبلغ ذروته حين رفضت كثرة المسيحيين في سورية ومصر عقيدة الطبيعتين في شخص المسيح المفرد ، وظلَّ رهبان سورية يعلمون الناس عقائد اليعقوبيين ، فاليعقوبية من ذلك الحين الدّين القومي لمصر وإثيوبية ، ولها الغلبة في غربي سورية وأرمينية ، بينما انتشرت النسطورية فيما بين النهرين وشرقي سورية .

ويختتم ول ديورانت [١٥٢/١٢] بقوله :

وهكذا حلّت عبادة القديسين المخلصة الواثقة محلَّ شعائر الآلهة الوثنية .

وبدل اسمًا تماثيل إيزيس وحورس ، باسمي مريم وعيسى .

وأصبح عيد اللوبركاليا وتطهير إيزيس عيد مولد المسيح .

واستبدلت بحفلات السّاترناليا حفلات عيد الميلاد .

وبحفلات عيد الزهور حفلات عيد العنصرة .

وبعيد قديم للأموات عيد جميع القديسين .

وبيعث أتيس ، بعث المسيح .

وأعيد تكريس للذابيح الوثنية للأبطال للمسيحيين .

وأدخل في طقوس الكنيسة ما كان يفتبط به الناس في الشعائر القديمة من بخور ،
وأنوار ، وأزهار ، ومواكب ، وملابس ، وترانيم ، وتسامت العادة القديمة ، عادة ذبح
الضحية الحية ، فكانت هي التضحية الروحية في العشاء الرباني .

وهكذا : « يتبين الصبح لسذي عيني » ، وأحب أن أقول قبل أن أختتم هذا
البحث : ما أوردته عن ول ديورانت لأتبعه كله .

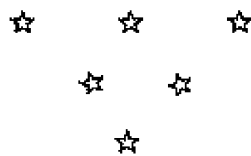
فالمسيح في عقيدتي لأشك في وجوده تاريخياً أبداً ، فن صلب عقيدة كل مسلم أن
للمسيح وجد ، وأن أمه طاهرة بتول ، حملت بكلمة الله (كن) فكان من غير واسطة
أب ولقاء ، و (روح منه) أي ذو روح مبتدأة من الله ، وهو أثر نفخة جبريل عليه
السلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النفخة بعيسى .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :
١٧/١٩] أي جبريل .

وجاء ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا .. ﴾ [التحريم : ١٢/١٦] روحاً من خلقنا
بلا واسطة أب .

وبحق آدم ﴿ فَإِذَا سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر :
٢٧/١٥] ، وجاء بحقه أيضاً : ﴿ فَإِذَا سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي .. ﴾ ، وهكذا
ونحن أبناء آدم ، كلنا من روح الله تعالى .

واللقاء القادم سيكون عن معجزة الإسلام الخالدة ، القرآن الكريم .



اللقاء الخامس :

أبدأ بقولي تمهيداً للإعجاز في القرآن الكريم : أنا أومن بإنجيل عيسى ، كما أومن بتوراة موسى ، ولكن أين إنجيل عيسى ، أنا لا أريد إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا .. ولا أريد التوراة التي كُتبت في السبي البابلي ويعدده حيث الاقتباس الجلي من آداب بلاد الرافدين ، وبلاد الشام .

كلمة الله الموحى بها لا تتغير ولا تبدل مع مرور الزمن ، ولا ينقض بعضها بعضاً ، وما يذكر ، لو أحرقنا كل توراة ، وكل إنجيل ، وكل قرآن في العالم كله ، ولم نبق على نسخة واحدة منها ، ثم قلنا لأتباع الشرائع الثلاث : أعيدوا كتابة كتبكم ، القرآن الكريم هو الوحيد الذي لن يختلف نسخه ، لأنه يتلقى عن ظهر قلب - غيباً - من جيل إلى جيل ، إن القرآن الذي يكتب في أندونيسية ، والذي يكتب في المغرب ، واحد حيث التطابق التام .

أمّا الأناجيل ، والتوراة ، فليس هناك من يحفظها عن ظهر قلب ، لذلك لن يكون هنالك تطابق أبداً .

القرآن محفوظ في الصدور من جيل إلى جيل .

إنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، على ما فيها من اختلاف وتنقض هذه أناجيل هؤلاء ، أين إنجيل السيّد المسيح عليه السلام ؟

ونحن ، على الرغم من افتراءات الكنيسة وأكاذيبها بحق الإسلام والمسلمين ، سنبقى على حبنا وتقديرنا واحترامنا للسيّد المسيح عليه السلام ، إنه في مكانة سامقة في أعماق النفس ، لأن ذلك جزء من عقيدتنا .

واليوم قنوات الإعجاز خمس : لغويّة ، وعدديّة ، وعلميّة ، وغيبيّة ، وتشريعيّة .

أبدأ بالإعجاز اللغوي ، وأنت ياسيد روديفر أصبحت تتقن اللغة العربيّة وتذوقها بشكل جيّد والحمد لله .

الإعجاز اللغوي :

يقول علماء العربيّة :

القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة في آياته وسوره كلّها ، وعلى اختلاف المعاني التي جاءت في هذه السّور والآيات ، وهو معلوم في تاريخ الأدب العربي أن لكلّ شاعر من شعراء العربيّة ضرباً من المعاني هو عليه أقدر ، وبيانه عنه أعلى ، ولهم في هذا أقوال في طائفة من الشعراء جرى بعضها مجرى الأمثال ، وقالوا :

أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب .

والنابغة إذا رهب .

والأعشى إذا طرب .

وزهير إذا رغب .

وهكذا أتت في كلّ شاعر استغرقه ضرب من المعاني ، وامتازت عبارته عنه ضرباً من الامتياز ، إلا كتاب الله .

قال تعالى في الترغيب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧/٣٢] .

وفي التهريب : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِّن وَّرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥/١٤ - ١٧] .

البلاغة في الترغيب ، كالبلاغة في التهريب .

ومثال آخر : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبْذَلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، يَوْمَ تَقُولُ لِمَنْهُمْ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق : ٢٨/٥٠ - ٢٩] ، هذا ترهيب ، بعده مباشرة ترغيب ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٢٩/٥٠ - ٣٥] .

الأسلوب البلاغي لم يتغير ، والزجر والوعظ أيضاً ، بمستوى رفيع لا مثيل له ، لأمة تباهي ببلاغتها ، وتفخر بفصاحتها .

وللقرآن موسيقاه الخاصة به ، ونغمته المتميزة ، ووقعه الخاص ، مع أسلوب غريب في المطالع وللقاطع والفواصل ، والعرب - أصحاب اللغة - أدرى به .

ويترأى لقارئه من خلال آياته ذات إلهية عادلة ، حكيمة ، جبارة ، خالقة ، بارئة ، مصورة ، لا تضعف في مواطن الرحمة .

والقرآن ليس بنثر ، كما أنه ليس بشعر ، إنه قرآن .

ليس نثراً لأن له قيوده الخاصة ، ولا توجد بغيره .

وليس شعراً لأنه غير مقيد بقيود الشعر وتفعيلاته .

لذلك سلمت العرب ببلاغته وفصاحته ، ويذكر هنا أنه بعد انتهاء حروب الردة ، قدم وفد من بني حنيفة إلى المدينة المنورة ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأفراد الوفد : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلة ، فقالوا : أوتعفينا يا خليفة رسول الله ؟ فقال : لا بد من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يا ضِفْدَعُ بنت ضفدعين ، لحسن ما تتقنقين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكسرين ، أمكثي في الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریشاً قوم

يعتدون ، [الاكتفا ١٦/٢ ، الكامل في التاريخ ٢٤٤/٢ ، البداية والنهاية ٣٢٦/٦ ،
الطبري ٢٨٤/٢] .

وكان يقول : والبذرَات زُرْعاً ، والحاصدَات حَصْدُاً ، والسَّارِيَات قَحْحاً ،
والطَّاحِنَات طَحْنُاً ، والحَابِزَات حُبْزاً ، والشارِدَات ثُرْدُاً ، والأَلْقَات لَقْماً ، إهالة
وسمناً ..

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ، أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال :
ويحكم ، أي كلام هذا .

لقد استرجع أبو بكر رضي الله عنه ، إذن هنالك وفاة ، من مات ؟ لقد مات
ذوقهم الأدبي ، وماتت فصاحتهم ، لذلك قال : « ويحكم أي كلام هذا ؟ » .

وبعد هذا كله ، أقدم لسيادتكم لمحات من الإعجاز اللغوي :

١ - من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى أنه (غفور رحيم) ، وقد وردت هاتان
الصفتان في القرآن الكريم كثيراً على هذا الترتيب ، بتقديم كلمة (غفور) على كلمة
(رحيم) ، مثل :

﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة :
١٧٢/٢] .

﴿ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٢/٢] .

﴿ نَبِئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ١٥/٤٩] .

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [الفرقان : ٧٠/٢٥] .

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٨/١٦] .

إلا في سورة سبأ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿١﴾ ، فتقدّمت (الرَّحِيم) على كلمة (الغفور) خلافاً للمألوف في جميع السُّور الأخرى ، فما السُّرُّ والحكمة في ذلك ؟

بدأت الآية (يعلم) ، وانتهت بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ ، فتقدّمت كلمة (الرَّحِيم) على كلمة (الغفور) لتقتن الرّحة بالعلم ، انسجاماً مع ربط الرّحة بالعلم ، وإلاّ انقلب (العلم) إلى وحشية وظلم وفساد وضياع : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾ [غافر : ٧/٤٠] ، ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢/٧] ، وهكذا ربطت الآيات بين العلم والرّحة ، وإن لم يكن العلم رحة قواد العلم العالم للتدمير لا للتعمير ، العلم بلارحة قنابل ، دمار ، خراب ، قتل جماعي^(١) .

لقد اقتن العلم في الإسلام بالرّحة .

٢ - كلمتا (الأموال) و (الأنفس) إذا اجتمعتا في آية واحدة ، تقدّمت (الأموال) على كلمة (الأنفس) :

﴿ تَبْلُغُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٦/٣] .
﴿ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الصف : ١١٦/٦] .
﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [النساء : ٩٥/٤] ،
فالإنسان يقدّم ماله وي بذله رخيصة ليحمي نفسه ، فتقدّم ذكر المال .

أما في سورة التوبة ، فقد ورد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ ، خلافاً للمألوف للمعتاد في كتاب الله تعالى ، فما السُّرُّ ؟

إنّ ثمره الجهاد في الآخرة هي الجنّة ، والنّفوس هي التي ستدخل الجنّة وتتمتع بها لا الأموال ، لذا وردت كلمة الجنّة هنا كعرض يقدّم للمجاهدين بعد أن قدّموا الأنفس

(١) للإعجاز اللغوي ، انظر : (قبس من الإعجاز) ، لفضيلة الأستاذ هشام عبد الرزاق المحصي .

والأموال في سبيل الله ، ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ ، فناسب أن تتقدّم كلمة (الأنفس) على كلمة (الأموال) ، لأنّ الأنفس أعلى من الأموال ، وهي التي ستنعم بالجنة للموعد بها في هذه الصّفقة الرَّابحة بين الله وعبّاده ، التي وردت بلفظ ﴿ اشترى ﴾ ، والإنسان في البيع والشراء يحرص على الأفضل والأعلى والأريح ، فإذا جاد الإنسان بنفسه ، ولم يضمن بها في سبيل الله ، استحق أن يفوز بسلعة الله الغالية وهي الجنة .

٣ - (الفاء) تفيد التّرتيب مع التّعقيب : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨/١٢] ، (فالفاء) هنا تشعرنا أنّه لا حارس ولا حاجب على باب يوسف ، فقد دخلوا عليه فور وصولهم ، وعرفهم فور دخولهم ، كلّ ذلك من مجرّد إيراد حرف (الفاء) .

(ثمّ) تفيد التّرتيب مع التراخي ، أي مع امتداد الزّمن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج : ٥/٢٢] ، فبين مرحلة النّطفة والعلقة أربعون يوماً ، وبين مرحلة العلقّة والمضغة أربعون يوماً ، (ثمّ) دلّت على هذا (الترتيب) مع هذا (التراخي) في الزّمن .

٤ - ﴿ وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٢٧/١١] ، والمؤمنون : [٢٧/٢٢] .

قال الكوفيّون : إن حرف الجرّ (في) تضمّن معنى (الباء) ، والمراد لا تخاطبني بمديث الذين ظلموا لأنّني قضيت فيهم بحكمي عليهم أن أهلكهم فأغرقهم جزاء لكفرهم وعنادهم .

وقال البصريّون : إنّ فعل تخاطبني قد تضمّن معنى تراجعني ، وفعل راجع يتطلّب حرف الجرّ (في) ، والمراد : ولا تراجعني في الذين ظلموا ، فتطلب منّي العفو عنهم ، ولو كان ولدك منهم ، فقد حقّ القول عليهم أن يغرقوا لإصرارهم على الكفر والطغيان .

٥ - ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥٧/٦] . وفي [المطففين: ٢٨/٨٢] : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ، فعل يشرب يتضمّن هنا يرتوي ويلتذ ، وهذه الأفعال تتطلب حرف الجر (الباء) ، فأخذت ما يناسبها ، والمراد يشربون مرتوين وملتذّين بها ، فليس المقصود مجرد الشرب ، بل المقصود التلذّذ والارتواء دون أذى أو إرهاق .

٦ - ﴿ يَهْبُءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبُءُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٧/٤٢] .

كلمة إناث قبل كلمة الذكور جبراً لحاطر الإناث ، وليحبّب الوالدين بهن .

وقدّم الإناث على الذكور ، لأنّ العرب كانوا يستأثرون من الإناث ، وجاء الإسلام لينقذ الأنثى من هذا الموقف غير السليم ، فقدّم الإناث على الذكور ، فلا تشاؤم بهن ، إنهن هبة الله ، لقد قدّم الإناث في مجتمع كان يكره الإناث .

٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠/٤١] .

(تَتَنَزَّلُ) لا تنزل ، إن تشديد الزاي يدل على أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين مرّة بعد مرّة .

وفي سورة [الحج: ٢٧/٢٢] : ﴿ وَلِيُوقُوا نَذْرَهُمْ وَيُطِيعُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ، وليطوّفوا ، لا يطوفوا ، فالتشديد في (وليطوّفوا) يفيد أن المراد أكثر من شوط .

وفي سورة [البقرة: ٦/٥] : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ ، والتشديد في (فاطَّهَّرُوا) دليل المبالغة في التطهّر .

٨ - وفي سورة [التوبة: ٤٧/٩] ، بحقّ للناسقين : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا

خيالاً ﴿ لو خرجوا فيكم ، لا خرجوا معكم ، لأن (معكم) هنا تفيد التكريم بهذه المعية ، بينما المراد هنا أنهم مندسئون منسقون ، فجاء النص ﴿ لو خرجوا فيكم ﴾ ، فأعطت (فيكم) المعنى المراد والمناسب للمناقضين .

٩ - ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩/٤٩] .
طائفتان : مثني ، اقتتلوا : جمع ، بينهما : مثني ، فلم يرد (اقتتلتا) لتبقى الآية كلها مثني ، لماذا ؟

عند التحسام الطائفتين تصبحا (جمعاً) من الأفراد المتقاتلين ، فجاءت (اقتتلوا) ، فإذا مالوا إلى الصلح وكفوا أيديهم ، عادوا طائفتين (مثني) .

١٠ - ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأمرأ : ٨٥/٧ ، ومود : ٨٥/١١ ، الشراء : ١٨٢/٢٦] . (أشياءهم) ، لا حقوقهم ، لأن حقوقهم تشمل الناحية المادية ، بينما (أشياءهم) تشمل الناحيتين المادية والمعنوية معاً .

١١ - تقول قاعدة في اللغة العربية : كلُّ صفة اختصت بها المرأة تذكر ولا تؤنث ، لذلك تقول : هذه امرأة حامل ، مُرضع ، حائض ، ثيب ..

بينما في سورة [الحج : ٢/٢٢] : ﴿ يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ ، لا كلُّ مريض ، لم يرد هنا الصفة ، إنما أراد (الفعل) ، أي المرأة التي ترضعها في فم طفلها التي تحنو عليه في حجرها ، هذه تذهل عن طفلها عند زلزلة الساعة .

١٢ - ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ، وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ [النساء : ٥/٤] .

(فيها) ، لا (منها) ، لأنَّ منها تعني تأكلها وتقصها ، وبالتالي نهايتها ، أما (فيها) فتعني من تثيرها ، ومن ريعها وأرباحها .

الإعجاز اللغوي فيه الكثير الكثير ، نكتفي بما سبق ، لننتقل إلى إعجاز من نوع

آخر ، ولكننا نذكر بآيتين كريمتين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [يونس : ٢٨/١٠] ، وفي [الطور : ٢٢/٥٢ و ٢٤] : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ .

لقد سكت العرب عن المعارضة ، وقد صكَّ التحدي ألسانهم بالحاح وشدة .

إنَّ القوم قد أدركوا مفارقة نظم القرآن الكريم لما ألقوه من وجوه نظمهم في بلاغاتهم ، وأحسوا بعجزهم التام عن الإتيان بمثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، فسكتوا إشاراً للسلامة :

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا - وَلَنْ تَفْعَلُوا - فاسأَلُوا النَّاسَ الَّذِي وَعَدَهَا النَّاسَ وَالْحَجَارَةَ ﴾ [البقرة : ٢٤/٢] .

الإعجاز العددي :

لقد نزل القرآن الكريم منجماً ، آيات تتلوها آيات على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فلم يكن بين يدي رسول الله ﷺ كاملاً مع بدء البعثة ، ليقوم - على أميته - بترتيب بعض الكلمات ، لتكون إعجازاً عددياً في قدامات القرون .

من الإعجاز العددي :

كلمة الدنيا في القرآن الكريم وردت ١١٥ مرة ، وبالرقم ذاته وردت كلمة الآخرة ١١٥ مرة أيضاً .

الملائكة ورد لفظها ٨٨ مرة ، وكذلك لفظ شياطين ٨٨ مرة .

الحياة ومشتقاتها ١٤٥ مرة ، وكذلك للوثة ومشتقاته ١٤٥ مرة .

الجنة وورد ذكرها ٧٧ مرة ، والنار ٧٧ مرة .

الحر ٤ مرات ، والبرد ٤ مرات .

كلمة (يوم) مفردة : ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة الشمسية .

وكلمة (شهر) : ١٢ مرة بعدد أشهر السنة .
ولفظ (يوم) مثنى ومجموع : ٣٠ مرة بعدد أيام الشهر .
ولفظ (ساعة) مسبوقة بحرف : ٢٤ مرة بعدد ساعات اليوم .
كلمة (المرأة) مفردة ٢٤ مرة ، وكذلك (الرجل) مفردة ٢٤ مرة .
أقم أو أقيموا مقترنة بالصلاة ١٧ مرة ، وهي عدد الركعات اليومية المفروضة على كل مسلم .
أولوا العزم من الرسل خمسة هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وكلمة (عزم) وردت في كتاب الله المجيد خمس مرات ، بعدد الأنبياء أولي العزم .

ومن الإعجاز العددي التناسق العددي في ذكر أسماء أعضاء الإنسان وحواسه :
للإنسان جبهة واحدة ، وردت (جباههم) مرة واحدة في القرآن الكريم ،
[التوبة : ٣٥/١] .
وللإنسان (فم) واحد ، وردت كلمة (فاه) مفردة واحدة فقط في { الرعد :
[١٤/١٢] .

والنُّعاس ورد مرتين : [الأنفال : ١١/٨] ، و [آل عمران : ١٥٤/٣] ، بعدد العينين ،
و (عينان) مثناة وردت مرتين فقط بعدد العينين ، وذلك في [الرحمن : ٥٠/٥٥] ،
و [الرحمن : ٦٦/٥٥] ، وكذلك (الدَّمْع) ورد مرتين فقط وذلك في [اللائدة : ٨٣/٥] ،
[التوبة : ٢٩/١] ، بتطابق مع العينين والنُّعاس .

الدَّمَاغ ورد مرة واحدة [الأنبياء : ١٨/٢١] : ﴿ بل تَصْدَفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .
اللحية ورد ذكرها مرة واحدة [طه : ١٤/٢٠] : ﴿ قَالَ يَا ابْنِ أُمِّ لَآتِ أَخْذِ بِلِحْيَتِي
وَلَا بِرَأْسِي ﴾ .

البلع (البلموم) ورد مرة واحدة [هود : ٤٤/١١] : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي ﴾ .

(الشفتان) ، وردت مرة واحدة مثناه كما هي في الإنسان : ﴿ أَلَمْ نجعل له عينين ، ولساناً وشفَتين ﴾ (البلد : ٩/١٠) .

الجيد (رقة الإنسان) ، ورد ذكره مرة واحدة [السد : ٥/١١] : ﴿ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ ، وللإنسان جيد (رقة) واحدة .

وللإنسان (عَضْدَان) ، وكلمة عضد وردت مرتين [الكهف : ٥٧/١٨] ، و [القصص : ٢٥/٢٨] .

و (كَفَّاء) وردت مرتين مثناه [الرعد : ١٤/١٣] ، و [الكهف : ٤٢/١٨] ، ﴿ كَبَّاسُطُ كَفِيهِ ﴾ ، ﴿ يَقلب كَفِيهِ ﴾ ، وللإنسان كَفَّان ليس غير ، تطابق عجيب ، أن ترد (كَفَّاه) مرتين ومثناة .

وللإنسان (قبضتان) ، وكلمة قبضة وردت مرتين [طه : ١٦٢/٢٠] ، و [الزمر : ٦٧/٢٩] .

وللإنسان (بَدَنٌ) واحد ، وكلمة بَدَنٌ وردت مرة واحدة في القرآن الكريم : ﴿ فاليوم نجيبك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ [يونس : ١٢/١٠] .

ونوع آخر من الإحصاء العددي :

في مطلع سورة الرعد : ا ن م ر ، وبإحصاء هذه الحروف في سورة الرعد نجد أن :

ا وردت ٦٢٥ مرة .

ثم ل وردت ٤٧٩ مرة .

ثم م وردت ٢٤٠ مرة .

ثم ر وردت ١٣٥ مرة ، ترتيب تنازلي كما ورد في مطلع السورة الكريمة .

وفي سورة البقرة : ا ل م ، ويأحصاء هذه الحروف في السورة للذكورة نجد أيضاً
أن :

ا وردت ٤٥٩٢ مرة ..

ثم ل وردت ٣٢٠٤ مرة .

ثم م وردت ٢١٩٥ مرة ، ترتيب تناسلي ، ونجد هذا أيضاً في آل عمران ،
والعنكبوت ، والرُّوم .

القرآن الكريم ، معجزة خالدة باقية ، تشهد بصدقه الإلهي ، لقد طلب العرب
المعجزات الخارقة ، والآيات المخالفة لقوانين الطبيعة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ
مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٠/٢٩
و ٥١] .

طلبوا المعجزات ، فكان ردُّ القرآن الكريم : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ .

☆ ☆ ☆

اللقاء السادس :

سنتابع في لقائنا اليوم الحديث عن إعجاز القرآن الكريم ، ونمهد بالتالي : ليس
الهدف من الحوار الانتصار والفوز ، أو إدانة الآخر ، بل الهدف هو البحث عن
الحقيقة ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، والتَّعَرُّفُ على ما عند الآخر
بموضوعية ، دون تعصُّب ، وبلا مواقف مسبقة ، وخلفية حاكمة .

إنَّ مصادرة رأي الآخرين مرفوضة في عقيدتنا ، وندع الزُّهرات كُلَّها تتفتَّح ،
وندع كلَّ الشُّرائع تطرح ما عندها ، ولكن بمنطق وعقل وعلم ، فلا عقيدة سليمة
بغوامض وأسرار وخرافات ، ولا نهج صحيح بلا تحكيم عقل ، أو بخوف من الحوار .

وقبل البدء بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أذكر لسيادتكم أن الشَّيْخَ أحمد

ديدات طلب من البابا عقد حوار بينها في بث مباشر ، وبعد تكرار الطلب وافق البابا جون بول الثاني على جلسة سرّية في مكتبه .

وسبب طلب هذا الحوار مع البابا ، ما نشرته صحيفة الغارديان يوم ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م ومفادها أن الفاتيكان شكّلت لجنة علميّة دينيّة برئاسة البابا لورّد اعتبار (غاليلو) ، وتصحيح موقف الكنيسة بشأن مضي عليه خمسة سنة ، واعتذرت الفاتيكان ، وصدر تقرير اللجنة يقول : (غاليلو) كان على صواب حينما قال : الأرض هي التي تدور حول الشّمس ، لا العكس ، والكنيسة كانت على خطأ عندما رفضت هذه الحقيقة العلميّة ، وأجبرته على التراجع ، وإلا أعدمته .

وعلق ديدات على قرار اللجنة قائلاً : هذه حسنة ، ولكن هناك ما هو أكبر من هذا الأمر ، إن رجلاً اسمه محمد ، له أتباع تجاوزوا للليار مسلم ، لعلمكم غطشون في موقفكم منه ، تعالوا إلى حوار بيننا وبينكم لتتعرف على الحقيقة ، والسؤال الوحيد الذي سأطرحه : القرآن أم الإنجيل الذي بين أيدينا كتاب الله المنزل ؟

وسأقدم لك ياسيد روديفر صورة عن هذا الخبر كما أوردته صحيفة (المسلمون) مدعياً بصور الوثائق المتبادلة بين البابا وديدات .

الإعجاز العلمي :

١ - في سورة [يس : ٢٨/٣٦] : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ، آية (علميّة) ، ما فيها من صلب عقيدة المسلم ، يتعبّد بها بصلواته ، وهي حقيقة علميّة ، فالشمس تجري نحو نجم عملاق ، اسمه (ممسك الأعنة) بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية الواحدة ، مصحوبة بكواكبها ، وأقمار كواكبها .

٢ - وفي سورة [النور : ٤٠/٢٤] : ﴿ أَوْ كظلماتٍ في بَحْرِ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفٍ مَوْجٌ مِنْ قَوْفٍ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

إنَّ المركبة الفضائية المشتركة (السوفييتية - الأمريكية) اكتشفت أن أمواجاً هائلة في قاع المحيطات حيث الظلام الدَّامس ، وكانت أبحاث هذه المركبة وتقديم النتائج برئاسة الدكتور فاروق الباز .

ظلمات في قاع بحر عميق تتردَّد أمواجه ، من فوقه موج على السطح ، من فوقه سحب ..

٢ - في سورة [الحج : ٢٢/٢٧] ﴿ وَأَنَّ فِي النَّاسِ فِي الْحَيِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

أولاً : كلمة (عميق) لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، في هذه الآية فقط .

ثانياً : كان من الممكن أن يكون بدلاً منها كلمة (بعيد) ، فلماذا اختيار كلمة (عميق) التي لم ترد في القرآن الكريم إلا هنا ؟

الْعَمِيقُ وَالْعَمَقُ : البعد إلى أسفل ، كما في [اللسان : عمق] فأينما اتَّجه الإنسان في أسفاره على سطح الأرض ، رسم قوساً في مسيره ، هو انحناء الكرة الأرضية ، لذلك كان اختيار كلمة (عميق) التي تنفي بالحقيقة العلمية ، ونعني بها كروية الأرض .

٤ - كلما ورد لفظ (القمر) ذُكر من بعده أنه (نور) ، أمّا إذا ذُكرت (الشمس) ذُكر من بعدها أنها (سراج) ، مثل : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٧٧١] ، وهذه حقيقة علمية ، القمر عاكس لنور الشمس ، أمّا الشمس فهي متوقّدة بذاتها ، كالسراج ، ومعلوم أن هذا التوقُّد ترافقه حرارة ، دفقة علمية : القمر نور ، والشمس سراج .

٥ - وفي [الذريات : ١٧/٥١] ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، وهذه حقيقة علمية أيضاً ، الكون يتمدّد ، ويتوسّع كما هو معلوم في علم الفلك .

٦ - وفي سورة [الأنبياء : ٢٠/٢١] : ﴿ أُولَٰمِ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۚ . الرَّتْقُ فِي [اللِّسَانِ] ضد القَتْق ، الرَّتْقُ : إلحام والتَّام ،
والفتق : فَتَقَهُ يَفْتُقُهُ وَيَفْتُقُهُ فَتَقًا : شَقَّهُ .

إنَّ كواكب المجموعة الشَّمسِيَّة كانت ملتحمة ملتئمة ، ثُمَّ انفَتَق بعضها من بعض ، ثُمَّ
تَبَرَّدت .

٧ - ﴿ يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ۚ ﴾ [المزمل : ٥٧/٥٨] .
والتكوير لغة : لفٌّ شيءٍ على آخر بشكل مستدير ، وهي استدارة الكرة
الأرضيَّة .

٨ - ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۚ ﴾ [النازعات : ١٧/١٨] .
﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۚ ﴾ : إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجساد أيضاً ، ففي ذرات كلِّ
عنصر موجب وسالب ، مثل :

الهيليوم ٢ بروتون + (موجب) ، و ٢ بروتون - (سالب)

الكربون ٦ بروتون + ، و ٦ بروتون -

وأثقل المعادن اليورانيوم ٩٢ بروتون + ، و ٩٢ بروتون -

وفي قلب الذرة (نيوترونات) ، وفيها (نظير) النيوترون أيضاً .

٩ - وضرب القرآن الكريم مثلاً عن الوهن الذي هو الضَّعْف بيت العنكبوت لافي
خيطة ، لأنَّ خيط العنكبوت أقوى من خيط مثيل له من الحديد ، يماثلته من حيث
الطول والقطر ، الضَّعْف (الوهن) في بيت العنكبوت ، حيث لا تعيش الأنثى مع
الذكر ، وفي موسم التزاوج لو أدركته بعد التلقيح لقتلته وأكلته ، وبعد خروج الأولاد
من بيوضها ، لو لم يهربوا لقتلتهم .

إن الوهن في البيت ، لافي الخيط .

١٠ - وكما هو معروف أن النبيّ عاش في بيئة صحراوية ، ولم يركب البحر مطلقاً ، وقومه (قريش) لم يتجروا في البحر ، لقد كانت تجارتهم برّاً إلى الشام وإلى اليمن .

وإن أثر البيئة في الإنسان - في كلامه ، في كتبه - لا ينكر مطلقاً في عالم الأدب ، فشكسبير لم يصف البيئة العريضة : أطلال ، صحراء ، نجوم ، قمر .. وليبد لم يصف البيئة البريطانية : ثلوج ، ضباب ، غابات ..

بعد هذا نقول : كلمة البحر (معرّفة) وردت في القرآن الكريم ٣٢ مرّة .

وكلمة البر (معرّفة) وردت في القرآن الكريم ١٢ مرّة يضاف إليها كلمة (يابساً) التي قابلت البحر في سورة طه ، ولم تتكرّر (يابساً) في القرآن الكريم .

الأرض إما مياه ، وإما بر (يابسة) ولا ثالث لهما .

البحر ٣٢ + البر ١٢ = ٤٥ .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البحر ٣٢ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{١٠٠ \times ٣٢}{٤٥} = ٧١,١١١٪$ (بحار) .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البر ١٢ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{١٠٠ \times ١٢}{٤٥} = ٢٨,٨٨٨٪$ (البر = اليابسة) .

وهي النسبة التي ندرسها لطلابنا في مدارسنا : ٧١,١١١٪ بحار ، و ٢٨,٨٨٨٪

يابسة .

إنّه إعجاز علمي جغرافي .

١١ - في كلّ سور القرآن الكريم ، قبل وبعد سورة يوسف ، إذا ذكر حاكم مصر ،

يذكر (فرعون) ، إلا في سورة يوسف ما ذكر (فرعون) ، مع أنّ قصّة يوسف عليه

السّلام جرت أحداثها في مصر ، ومع ذلك جاء في سورة يوسف حاكم مصر باسم

(الملك) :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [الآية ٤٩] .
 ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتَوَلَّى بِهِ ﴾ [الآية ٥٠] ، و ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتَوَلَّى بِهِ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي ﴾ [الآية ٥٤] ، ﴿ قَالُوا تَفْقَهُ صَوَاعَ لِلْمَلِكِ ﴾ [الآية ٧٢] ، فما السرُّ في هذا ؟
 بقي هذا السرُّ المعجز حتَّى تمكَّن (شامبليون) سنة ١٨٢٢ م من قراءة الكتابة الهيروغليفية ، فاطَّلَعْنَا على تاريخ مصر مفصلاً ، فعلَّمْنَا أن يوسف عليه السَّلام لم يكن في شمالي مصر (منطقة الدلتا) في كنف الفراعنة الَّذِينَ انْخَسَرَحَ حُكْمُهُمْ إِلَى الْجَنُوبِ (منطقة الصَّعيد) ، بل كان في كنف (الملوك) الهيكسوس وخدمتهم ، فجاءت دقَّة العبارة معجزة تاريخية ، (ملك) لا (فرعون) .

١٢ - الإعجاز العلمي كثير كثير ، أختمه بهذه الآيات المباركات :

- ﴿ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا كَأَنَّهُ يَصْغَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥/٦] .
- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [التَّوْبَةِ : ٨٨/٢٧] .
- ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف = ٥٤/٧] .
- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرَّحْمَةِ : ٤١/١٢] .
- ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠/٣٦] ..

ففي الآية الأولى ﴿ يَصْغَدُ ﴾ في طبقات الجوِّ ، يضيق صدره بسبب نقص كميات الهواء في الطبقات العليا ، ثم تلاشيها ، وفي الآية الثانية : الجبال تمرُّ كما يمر السحاب ، دلالة على حركة الأرض ، والآية الثالثة : سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ٢٣٢٢ كيلومتراً في الساعة الواحدة ، والآية الرابعة : التعرية ، حركة مستمرة بطيئة ، والآية الخامسة : الشمس والقمر والكواكب كلها سابحة في أفلاكها في هذا الكون الرَّحْبَ الفسيح ..

الإعجاز الغيبي :

١ - من أوائل السور المنزلة في مكة المكرمة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَبُّ عَلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ .. ﴾ ، سمع أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) السورة ، وعاش بعد سماعه إياها عشر سنوات ، لو قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نفاقاً ورياءً بلسانه دون قلبه ، لشكك بالوحي وأبطله ، فالوحي لا يخطئ ولو مرة واحدة ، إنه معصوم عن الخطأ ، وبشكل مطلق ، فلو وقف أبو لهب في الحرم ، وقال : يا قریش ، مسلمها ووثنيها ، يقول محمد هذا القرآن الذي يتلوه علينا وحي من عند ربّه ، وهو يقول أيضاً من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ، اشهدوا عليّ قولي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأني موقف يسجله هنا أبو لهب !!

لو كان القرآن من عند محمد بن عبد الله ، لما قال أمراً غيبياً لا يدري ما سيكون شأنه في قادمات الأيام ، إنه من عند الله قطعاً ، وهو علام الغيوب ، لقد علم أن أبا لهب لن يقول الشهادة ولو رياءً ونفاقاً وكذباً ، ولن يخرج الدعوة ورسول الله أبداً .

٢ - منذ الأيام الأولى للإسلام والمسلمين ، كانوا متعاطفين مع أهل الكتاب ، مثلما كان المشركون متعاطفين مع عبدة النار ، لذلك فرح المشركون القرشيون بانتصار الفرس وهزيمة الروم ، وساء ذلك المسلمين ، وحينما أظهر المشركون شامتهم ، نزلت بدايات سورة الروم ، لاحظ يا سيّد روديغ هذا التكريم لكم ، سورة باسم الروم الذين كانوا يمثّلون أوربة كلّها آنذاك ، جاء في مطلعها : ﴿ عَلَيَّتِ الرُّومُ ، فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (من الآية ٢ وحق ٥) .

في هذه الآيات دلالة عظيمة لفتح القلوب لدراسة هذه العقيدة ، التي واكبت الأحداث ، فلا انزواء ولا قوقعة ، والتي بشرت بنصر قريب للروم في بضع سنين ،

والبضع من ثلاث إلى تسع ، وسيكون النصر ﴿ في أدنى الأرض ﴾ ، و (أدنى) لغة : أقرب ، وأخفض أيضاً كما في [اللسان] ، وتحقق المعنيان ، أقرب إلى الحجاز وأخفض ، في أرض فلسطين ، أقرب ما يكون لمهد الدعوة الإسلامية (الحجاز) ، وأخفض بقعة على سطح الأرض (البحر الميت - ٣٩٤ م) .

٣ - في [آل عمران : ١٧٢] : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ .. ﴾ ، وقد غلبوا .

٤ - وفي [الأنفال : ٧/٨] : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ .. ﴾ ، وعُدَّ عجيب بالنصر في بدر الكبرى ، والمسلمون قلة من حيث العدد ، وما خرجوا لقتال ، ومع ذلك ذكر النصر قبل المعركة ، وكان كما أخبر رسول الله ، وقد نسب الوعد إلى الله تعالى .

٥ - ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا - وَلَنْ تَفْعَلُوا - فَأْتُوا نَارَ اللَّهِ وَقُسُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ، [البقرة : ٢٣/٢٤] ، ولن تفسد الاستمرارية في المستقبل ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ، فما فعلوا في الأمس ، ولن يفعلوا اليوم وغداً .

٦ - وفي سورة [القمر : ٤٥/٥٤] ، وهي من السور المكيّة : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ ، على الرُّغم من الاضطهاد والتعذيب والتهمير في الفترة المكيّة ، جاءت هذه البُشرى ، وقد كانت محققة في بدر الكبرى .

٧ - ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، [الحجر : ٩/١٥] ، وهو محفوظ من التحريف والزيادة والنقصان ..

٨ - ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٧/٢٨ و ٨٨] ، وسورة [ص] مكيّة ، وما هي إلا سنوات حتى صار للإسلام نبؤة العظيم في العالم ، وهو اليوم شاغل العالم من اليابان حتى الولايات المتحدة .

٩ - ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [التوبة : ٢٨٧] ، وقد أغناهم .

١٠ - وأخيراً في [النساء : ١٥٧/٤] في معرض الحديث عن السيّد المسيح عليه السلام : ﴿ .. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ، وفي نهاية الآية ذاتها : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ، والأنجيل القبطيّة المكتشفة في (نجع حمّادي) تذكر بوضوح أنّ المسيح لم يُصلَّب ، وإنَّما صَلَّبَ شبيهه له ، وهذه الأنجيل غيرت تاريخ السنوات الأولى للمسيحيّة . لأن بعضها كإنجيل توماس مثلاً يرجع إلى منتصف القرن الميلادي الأول ، أي أنّه يسبق أوّل الأنجيل المعروفة بعشر سنوات على الأقل .

جاء في أحد هذه الأنجيل المكتشفة ، وهو إنجيل بطرس ، كما قدّمته منظمة اليونسكو ١٩٧٠ م ، وكما قدّمته لجنة تكوّنت في الولايات المتحدة لترجمة النصوص تحت رعاية (جيمس روبنسون) عالم الدراسات اللاهوتيّة الأمريكي ، وتمّ الانتهاء من الترجمة الإنكليزيّة عام ١٩٧٥ م ، ثمّ تُرجمت بعد ذلك إلى الفرنسيّة والألمانيّة ، جاء في أحد هذه الأنجيل حرفياً (وهو إنجيل بطرس) : « يقول المخلص : إنّ الذي رأيته سعيداً ويضحك هو يسوع الحيّ ، لكن من يدخلون للسامير في يديه وقدميه فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشّبيه ، انظر إليه ، وانظر لي » .

كما جاء في كتاب آخر يُسمى (كتاب سيت الأكبر) : « كان شخص آخر هو الذي شرب المرارة والحل ، لم أكن أنا ، كان آخر ، سيون هو الذي حمل الصليب على كتفه ، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء أضحك لجهلهم » ، [المجلّة العدد ٧١٢ ، الجمعة ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ م ، ص ٥٦ وما بعدها] .



الإعجاز التشريعي :

ونعني به النظرة للتناسقة المنسجمة للكون والحياة والإنسان ، في القرآن الكريم ،
ناهيك عن التشريع المعجز في الفرائض ، وفي المعاملات ، وفي بناء الفرد والأسرة
والمجتمع ، وفي العلاقات الدولية .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم : ٣٠/٢٠] .

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الزُّمَر : ٧/١٢] ، لقد أسلم أناس من شعوب
العالم كلها ، ولم يشعر واحد منهم أن هذا التشريع الناظم لحياته غريب عنه ، بل يشعر
الجميع أن هذا التشريع مُنَزَّل إليه ، وهذا أمر طبيعي ، لأنه فطرة الله التي فطر الناس
عليها ، ولا تبديل لخلق الله .

(ألن بول) الباحثة الإنكليزية التي أشهرت إسلامها ، وتحولت إلى داعية ، أجرت
دراسة ميدانية على عشرين فتاة إنكليزية مسلمة ، خمس منهن اعتنقن الإسلام بسبب
المطالعة للمتعمقة في القرآن الكريم ، والباقيات بسبب زواج من مسلم ، أو التأثر بعالم
مسلم .

روديفر : ماسمعه خلال الجلستين اليوم والأسبوع الماضي ، شيء عجيب دون
شك ، لم نسمع به من قبل .

فقلت محبباً : وهل من مصلحة الكنيسة في أوربة إطلاعكم على هذا الإعجاز ، هذا
الإعجاز تسمعه من مسلم دارس باحث فقط ، الكنيسة عندكم مشغولة بالافتراءات
والتشويه وإثارة الشبهات حول الإسلام ونبهه الكريم ﷺ .

☆ ☆ ☆

ومما يذكر أنَّ الشَّريطين اللَّذين ضما تسجيل الإعجاز اللُّغوي والعديدي والعلمي والتَّشريعي ، أخذاً من السَّيِّد روديفر ، فجاءني إلى مكَّتي ، وبكلِّ أدب وتلطُّف قال لي : لا أكثرك ، إنَّ كلَّ شريط تسجيل سجلته كان يأخذه منِّي رجل دين في الكنيسة ألتي أتبعها ، وكان يعيد إليَّ الشَّريط الَّذي يأخذه في اليوم التَّالي ، ولكنه أخذ شريطي الإعجاز ولم يعدها إليَّ ، ثم قيل لي : إنه مسافر ولا ندري متى سيعود ، لذلك أرجو تسجيل الشَّريطين من مجموعتك ، فأنا حريص على إتمام مجموعتي .

سجَّلت للسَّيِّد روديفر الشَّريطين ، وحسَّنت ظنِّي بالَّذي أخذها منه ولم يعدها إليه ، وقلت : لعلَّه لم يتلفها كي لا تنتشر هذه الحقائق من الإعجاز ، وتغيَّت أن يكون قد أخذها لينتفع بها ، وحرصاً عليها .



اللقاء السَّابع :

رحبْتُ بالسَّيِّد روديفر في بداية اللقاء ، وقلت له : سأُهيي إجاباتي عن أسئلتك اليوم ، لأسمع منك إجاباتك عن أسئلتني في لقائنا القادم إن شاء الله .

١ - أعلام الحوار في الوقت الحاضر ، من قبل المسيحيين (صن مون) وهو مشبوه له علاقته الوثيقة بالصهيونية . ومن المسلمين الجاذين الشيخ أحمد حسين ديدات .

٢ - مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين .

نشأ الاستشراق وترعرع في أحضان وزارات المستعمرات ، هذا أمر معروف ، ورعته الكنيسة ووجهته ، فقم كبير تناول مصادرنا بهدف إدانتنا ، وطمس حضارتنا ، وإبراز ما يشوهها مع التَّضخيم والتَّهويل .

من المستشرقين المنصفين في تناول مصادرنا ، ضمن المنهج العلمي الموضوعي :
يوهان رايسكه الألماني : [١٧١٦ - ١٧٧٤ م] الذي اتهم بالزُندقة لمنهجه الإيجابي من
الإسلام .

ولورا فيشيا فاغليري الإيطالية ، مؤلفة كتاب : (دفاع عن الإسلام) .

وسلفستردى ساسي الفرنسي ، الذي يرجع إليه الفضل في جعل باريس مركزاً
للدراسات العربية .

وتوماس أرنولد البريطاني ، صاحب كتاب : (الدعوة إلى الإسلام) .

وزيغريد هونكه مؤلفة كتاب : (شمس العرب تسطع على الغرب) .

والدكتورة آنا ماري شمل التي قدّمت لكتاب الدكتور مراد هوفمان : (الإسلام

كبديل) .

ومن المستشرقين الذين ساروا على نهج الطعن والإدانة ، بكتابات حاكمة موظفة ،
بعيداً عن المنهج العلمي في تناول مصادرنا ، على سبيل المثال : جولدتسيهر (المجري
اليهودي) ، وتيودور نولدكه ، وفينسنك ، وميور ، ولوي ماسنيون ، ولامانس ،
ودافيد صموئيل مرجليوث ، وهلمتن جيب ، ونيكلسون ، وجوزيف شاخت ... منهمجهم
أقوال وأحكام بلا سند من تاريخ ، أو حجة من عقل تغني عن البيان والرّد ، إنهم
يبيّتون فكرة مسبقة ، ثم يلوون أعناق النصوص إليها ، مع إسقاطات ، ومع ذلك
أقول : إن الشاذ والغريب والضعيف لا يصمد أمام النقد والتوثيق .

ومع ذلك ، من حق الاستشراق أن يقول ولو تخيلات ، ومن حقنا الطبيعي
تناول أقواله بالدراسة والنقد والرّد ، لأنّ السكوت عنها يعني التسليم الضمني بها .

٣ - إلى أي حدّ تؤثر الحملات الصليبيّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

ذكريات الوحشية والعنف في الحروب الصليبيّة مؤلة ، يخفف منها اعتذار في عام

١٩٩٥ بمناسبة مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصليبية ، كما اعتذر من (غاليلو) .
الحملات الصليبية حقد ، ولا يستقيم الحوار مع الحقد ، وهو يستقيم مع السّاحة
والحب .

والحملات الصليبية لم تنته بعد ، فتصرّجات كبار السّاسة في أوربة عند استعمار
الجزائر ، وليبيا ، ومصر ، والسّودان ، وفلسطين ، وسورية ... تفوح بالصليبية ،
وكأنهم يريدونها صليبية إلى الأبد .

٤ - أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟
ذكرت أسماء بعضهم قبل قليل ، وأذكر هنا أيضاً : كارادي قو ، وكلود إتيان
سافاري ، وتوماس كارليل ، وتوينبي ، واللورد البريطاني (هيدلي) الذي أعلن
إسلامه في أواخر حياته .

٥ - ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطلاع على المسيحية ؟
من الكتب : (قصة الحضارة) لؤل ديورانت ، و (تاريخ العالم) للسير همرتن ،
و (تاريخ العصور الوسطى) ليفشر ، و (أسطورة تجسّد الإله في السيّد المسيح) الذي
أشرف على تحريره البروفيسور جون هيك ، أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام .
ويتّوج كتاب (إظهار الحق) هذه الكتب كلّها .
ومن الكتب المبسّطة السهلة المتناول (محاضرات في النصرانية) للشيخ محمد أبو
زهرة .

كتب كثيرة ياسيد روديفر أختها بكتاب (العقائد الوثنية في العقائد النصرانية)
لمحمد طاهر التّنير ، و (ينابيع المسيحية) لخوجه كمال الدين ، (دراسة الكتب المقدسة

في ضوء المعارف الحديثة) للدكتور موريس بوكاي ، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم ..

٦ - الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين ؟

الحاجز الأكبر الحقد الذي تحمله الكنيسة في أوربة على الإسلام والمسلمين . وإيمانهم تسليماً - لا عقلاً - بالتثليث ، والصليب ، والفداء . فلا لقاء بين توحيد خالص نقي لله تعالى ، وبين الثالوث المقدس .

٧ - ظاهرة التبشير المسيحي الغربي ، وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

لا بدّ هنا من تمهيد عن مؤتمرات التبشير التي عقدت في هذا القرن :

من أوّل المؤتمرات (مؤتمر القاهرة) سنة ١٩٠٦ م ، الذي عُقد في بيت الجهاد المسلم بيت أحمد عرابي ، بسبب اللوق ، الذي نفاه الإنكليز إلى سيلان ، دعا إليه (صموئيل زوير) ، وكان هدفه : نشر الإنجيل بين المسلمين .

مؤتمر أدنبره (باسكوتلانده) سنة ١٩١٠ م .

مؤتمر لكنو في الهند سنة ١٩١١ م برئاسة صموئيل زوير ، الذي ضرب ميدالية على وجهها الأوّل (تذكّار لكنو ١٩١١ م) ، وعلى وجهها الآخر : (اللهم يامن يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع ، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح » ، وأنا شخصياً لا أرى مخلصاً لأوربة إلا ترك المخلص ، والاستجابة لنداء التوحيد ، والعقل ، والإنسانية .

مؤتمر بيروت سنة ١٩١١ م أيضاً .

مؤتمر القدس سنة ١٩٢٤ م .

مؤتمر جاكرتا سنة ١٩٧٥ م ، حضره ٣٠٠٠ مبشر .

مؤتمر السويد سنة ١٩٨١ م .

وأخطر المؤتمرات (مؤتمر كولورادو) ، الذي انعقد في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧٨ م تحت اسم : (مؤتمر أمريكة الشماليّة لتنصير المسلمين) ، حضره ١٥٠ مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيريّة في العالم ، دامت اجتماعاتهم أسبوعين وبشكل مغلق ، ووضع (استراتيجيّة) بقيت سرّيّة لخطورتها ، مع وضع ميزانيّة لخطّتهم مقدارها مليار دولار ، وجُمع المبلغ وأودع في مصرف في أمريكة ، وأنشأ المؤتمر معهداً باسم (معهد صموئيل زويزر) ، وذلك في شمالي كاليفورنيا ، واختير (دون ماكري) مديراً له ، والمهدف الأوّل والأخير تنصير كل المسلمين .

ومن فقرات مؤتمر كولورادو التي تسرّبت : إيجاد أزمات معينة ، كي يعيش العالم الإسلامي خارج حالة التوازن ، حيث الفقر ، والمرض ، والحروب .

وبناء عشرات المخطّطات الإذاعيّة لتغطية الوطن العربي ، والعالم الإسلامي .
ومن الكلمات التي اعترفت بالعقبات في وجه التنصير ، والتي قيلت في مؤتمر كولورادو :

- الحقائق العلميّة صدمت معتقد المسيحي .
- المسلمون يفهمون النّصاريّة على حقيقتها .
- كيف يمكن للعقل السّليم أن يفهم الأقانيم الثلاثة ، الواحد في ثلاثة ، والثلاثة في واحد ؟
- الإسلام ليس حركة معادية للأديان .

- الإسلام هو أكثر النّظم الدّينيّة المتناسقة اجتماعيّاً وسياسيّاً ، مع البساطة والوضوح .

هذا .. وفي مدينة (بازل) بسويسرة ، عام ١٨٩٧ م ، وصل القس البروتستانتي (وليام هشر) إلى قاعة المؤتمر الصّهيووني بصحبة (هيرتزل) ، وخطب في المؤتمرين مطالباً بأن « استفيقوا يا أبناء إسرائيل ، فالربّ يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم في

فلسطين » ، لقد كان القس هشر من أوائل الدعاة للصهيونية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبعد ٨٨ عاماً ، وفي المدينة ذاتها (بازل) ، وفي القاعة نفسها ، انعقد في أواخر آب (أغسطس) ١٩٨٥ م أول مؤتمر صهيوني مسيحي دولي ، ضم أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحي ، وقد هتفوا بحياة (إسرائيل الكبرى) ، وصلّوا من أجل (عاصمتها الموحدة الأبدية) القدس .

ثم قرّروا الانتشار في الأرض ، تنظيماً وحركة وفكراً ، لخدمة المشروع الصهيوني وحمايته وتكاملته .

والسفارة المسيحية الدولية التي نظمت مؤتمر بازل الأخير ، ولدت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ م ، وأهدافها :

- ١ - الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي ، ودولة (إسرائيل) .
- ٢ - تذكير المسيحيين والكنائس وتشجيعهما للصلاة من أجل القدس وأرض (إسرائيل) ، وتحريض المسيحيين لممارسة التأثير في بلادهم لصالح (إسرائيل) .
- ٣ - إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية في (إسرائيل) .

ولقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظّمته بقوله : « إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم » .

وعن نشاطها وأغانيها لصهيون ، هذه صورة لك ياسيّد روديفر ، عن مقالة الدكتور يوسف الحسن في مجلة (العربي) ١٩٨٦ م .

تقول (واشنطن بوست) يوم ١٩٨٥/٨/٣١ م على لسان القس (ديفيد لويس) ، أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية : « ستشهد الكنائس العالمية في المرحلة القادمة أعظم نقاش شهده العالم المسيحي حول موقف الكنيسة من (إسرائيل) » .

ومن إعلان بازل الجديد :

١ - الضَّغْطُ بِاتِّجَاهِ مزيد من الاعتراف الدَّوْلِي (بِإِسْرَائِيل) كدولة لليهود ،
وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات إلى النيل ، تحقيقاً للنُّبوءات التَّوراتِيَّة .

٢ - مطالبة جميع الدُّول والمؤسَّسات الدَّوْلِيَّة الحُكُومِيَّة والخاصَّة فتح أبوابها كاملة
للمشاركة الإِسْرَائِيلِيَّة ، وعلى الدُّول الصَّدِيقَة الانسحاب من هذه التَّجمُّعات إذا
ما طُردت منها (إِسْرَائِيل) .

٣ - مطالبة جميع الدُّول بالاعتراف بالقدس عاصمة موحَّدة أَبَدِيَّة (لِإِسْرَائِيل) .

٤ - المطالبة بالامتناع عن تسليح العرب ، بما فيهم مصر .

٥ - إنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي في (امستردام) ، لدعم الصَّناعات
والسَّيَّاحَة في (إِسْرَائِيل) .

فما أثر التَّبشِير المسيحي الغربي على الحوار بين المسلمين والمسيحيين يَساسِدُ
رود يغر ؟

وأَيُّ حوارٍ والعالم الثَّالث يموت جوعاً ، وأوربة تتلف آلاف الأطنان من المواد
الغذائيَّة ، وتتلّف أمريكا آلاف آلاف الأطنان من القمح كي لا تنخفض الأسعار ، أين
الإنسانيَّة ؟ وأين تعاليم المسيحيَّة ؟

فأَيَّة مشاعر نحمل ، والنَّاس يموتون جوعاً في إفريقيا ، وجنوب شرقي آسيا إن لم
يتنصَّروا ؟ حتَّى قيل في أندونيسية لمن يقوم بعمل دون قناعة به : تنصَّر من أجل حفنة
أرز .

٨ - نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي - المسيحي ؟

نقطة الانطلاق المناسبة ، الاعتراف بالإسلام أولاً ديناً سماوياً ، ومع نبذ التَّعصُّب

والحقْد والعنف والمؤامرات والمكائِد ... نترَفَع عن الشَّتائم ، فكلّمة (أُصوليَّة) ترجمة دقيقة لكلّمة Fundamentalism الإنكليزيَّة ، وتعني : العودة إلى الماضي ، أو إلى الجذور والتَّشبُّث بها ، خاصّة في مجال الفكر ، بل في كلّ جوانب الحياة ، والأُصوليون : فئة تتمسَّك بفكرة أو مبادئ قديمة ، ويرفضون معه قبول ما يعارضهم من أفكار ومبادئ .

والأُصوليَّة الغربيَّة تعود إلى حركة محافظة من البروتستانت في الولايات المتّحدة ، ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقامت مبادئها على أن الإنجيل معصوم من كلّ خطأ ، وغير قابل للنقد ، وأنَّ المسيح إله مولود من مريم العذراء ولادة عذريَّة ، وأنَّه قد ضحى بحياته تكفيراً عن ذنوب جميع النَّاس ، وأنَّه سيبعث مرَّة أخرى .

ومن دوافع ظهورها ما ظهر على السَّاحة النَّصرانيَّة من دراسات تاريخيَّة تحليليَّة نقديَّة للإنجيل ، وفي سنة ١٩٠٩م بدأت الحركة الأُصوليَّة بطباعة اثني عشر كتاباً تحت عنوان (الأُصوليَّة) ، وُزِع منها مع خروج الكتاب الثَّاني عشر ثلاثة ملايين نسخة في الولايات المتّحدة وخارجها ، وفي هذا الوقت بدأت معاهد الإنجيل في لوس أنجلوس وشيكاغو في تدريس الأُصوليَّة من حيث مبادئها وعقائدها .

وفي ١٩٤٨م شكَّلت مجموعة أُصوليَّة دوليَّة مركزها استردام في هولنِدة ، اسمها : (المجلس الدَّولي للكنائس النَّصرانيَّة) ، وهي مدعومة من قبل خمس وأربعين طائفة من ثماني عشرة دولة .

الأُصوليَّة : مصطلح كنسي مرادف للتَّزمت والعناد والتَّفوق والعدوانية ورفض التَّطوُّر ، فضلاً عن أنَّه مفرق في الارتباط بمكان وزمان معيَّن لا ينفك عنها ، ولا يمكن لهذا المصطلح ، وبهذا المفهوم أن ينطبق على المسلمين ، أو على فئة منهم .

« كونوا معاصرين شرط أن تكونوا أصيلين . فالمعاصرة لا تعني أبداً انقطاع الجذور ، كما أن استيعابها لا يعني التَّفريط بتراثنا الثَّقافي العظيم » .

اكتسب هذا اللفظ مزيداً من الإيحاءات السلبية عبر ربطه بأحداث وظواهر معينة داخل البلاد الإسلامية توصف بالتطرف والغلو والعنف ومصادرة رأي الآخر ، فهو وسيلة للتهجّم على الإسلام ، ولا يَقُوم من يُطْلِق هذا اللفظ العمل إسلامياً ، أهو محظور أو مرخص به ، سياسي أم اجتهادي .

أمّا (شعب الله المختار) فادّعاء غير أصولي .

وتعبئة هواء القدس من قبل اليهود لبيعها في أوروبا وأمريكا ليستنشق هناك من عبوات بلاستيكية أنيقة ، ليس أصولية^(١) .

نقطة الانطلاق احترام الناس ، مع العمل الصادق في نطاق أخوة إنسانية .

٩ - مستقبل المسيحية في المنطقة ١٩

مستقبلها كاضياءها ، ما الجديد في أمرها ؟

١٠ - الهوية الإسلامية ضمن العروبة ؟

العروبة : جنس ، وعرق .

والإسلام : عقيدة ، وفكر .

أنت ياسيد روديفر جرمانى جنساً ، ومسيحي ديناً ومعتقداً ، فهل من تعارض أو تناقض ؟

العروبة علاقة انتاء إلى أمة بشطري تكوينها : الشعب والأرض .

(١) وما فعله الطبيب (ياروخ كولد شتاين) ، السفاح الذي قتل أكثر من خمسين شهيداً في الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ، صباح الجمعة ١٥ رمضان المبارك ١٤١٤ هـ الموافق ٢٥ شباط ١٩٩٤ م ، ليس أصولية ، وهو الذي ادّعى - كما كتب لزوجته - أنّه فعل فعلته الحقيرة باسم (إله إسرائيل) .

والإسلام علاقة انتاء إلى دين ، فلا يقوم لدينا سبب للخلط بين العروبة والإسلام .

وللإسلام والأمة العربيّة سمة خاصّة ، علاقة متميّزة ، في كنفها وُجد الإسلام ، وهي التي نشرته ، وبلغتها نزل ، لذلك لا يمكن تخيّل الأمة العربيّة دون حضارة الإسلام ، الذي نمت معه ، واكتملت أمة به ، والإسلام حمى الأمة العربيّة حين التجأت إليه .



اللقاء الثامن :

[يوم الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤١٤ هـ ، الموافق ٩ شباط ١٩٩٤ م] .

رحبت بالسيد روديفر مع بداية الجلسة ، وقلت له : يسعدنا أن نسمع منك اليوم إجابات أسئلتني ، أملين أن يكون العلم والمنطق ، وتحكيم العقل والحجّة رؤادنا دوماً في حواراتنا ، لأنّ الإسلام دين يمجّد العقل ويجعله في درجة رفيعة ، ويرفض التسليم دون حجّة من علم ، أو برهان من عقل .

عند ذاك أخرج السيّد روديفر براون ثمانين صفحة من قياس صغير ، مكتوب عليها بأحرف لاتينيّة ، فقرأ لنا نصفها تماماً ، ولما كان هذا اللقاء قبل شهر رمضان المبارك بيومين فقط ، فقد أجمّلت اللقاءات إلى ما بعد العيد ، ولكن الأعمال حالت دون لقاءات جديدة بعد عيد الفطر ، فقدّم لي السيد روديفر قبل سفره إلى ألمانيا :

- من صفحة ١ إلى صفحة ٤٠ بالعربيّة ويخط يده .
- ومن صفحة ٤٠ إلى صفحة ٨٠ بحروف لاتينيّة ويخط يده ، ولكنها ليست بالألمانيّة ، بل كتب الكلمة العربيّة بحروف لاتينيّة .
- وشريط بصوته ينطق بالعربيّة فيه ما في الصفحات من ٤٠ إلى ٨٠ .



روديغر براون : كما هو مكتوب ، ما لم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبّونه ، فأعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن الرّوح تفحص كلّ شيء حتى أعماق الله ، لأنّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه ، هكذا أيضاً أمور الله ، لا يعرفها أحد إلاّ روح الله ، ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الرّوح الذي من الله ، لنعرف الأشياء للوهوبة لنا من الله ، التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانيّة ، بل بما يعلمه الرّوح القدس قارنين الرّوحانيّات بالرّوحانيّات ، [كورنثوس ١/٢ - ١٣] .

تمهيد : لا نستطيع أن نفصل الثالوث الأقدس عن شخصيّة يسوع المسيح ، هو نفسه الذي أوقفنا بكلّ الجلاء أمام هذه الحقيقة التي تفوق مداركنا المحدودة ، والتي لا تدرك ، ولا بأيّ طريقة أخرى إلاّ بالمقابلة الشخصيّة مع يسوع ، المسيح نفسه .

قضيّة الثالوث الأقدس لا تتمتع في حياة المؤمن بنفس الأهميّة مثل الصليب ، لأنّها قضيّة لاهوتيّة بحتة ، والمؤمن العادي لا يهتم بشرحها ، لأنّها تمثّل له سرّ إيمانه الذي - مع أنّه - لا يستطيع أن يشرحه ، إلاّ أنّه يختبره في حياته مع الله بكلّ الجلاء ، وبكلّ البديهيّة .

محدودية العقل : يتمشّي إنسان على شاطئ البحر ، ويرى طفلاً يحفر حفرة ، ويستقي ماءً من المحيط لكي يملأ الحفرة في الرمال ، يسأل الرّجل : ماذا تفعل ؟ يقول الطّفل : أريد أن أثقل مياه المحيط إلى هذه الحفرة .

الثالوث الأقدس ليس سرّاً على المعرفة بشكل تام ، ولكن هو سرٌّ على الإحاطة به ، لذلك لا أجرب أن أحيط الثالوث الأقدس بعقلي المحدود ، بل أشير إلى بعض المؤشّرات التي أعطانا الله إياها في الكتاب المقدّس .

ننطلق من السّؤال الذي طرحه يسوع نفسه [متى ١٢/١٦] : « مَنْ يَقُولُ النَّاسُ

إنني أنا ابن الإنسان ، هذا السؤال لابد من الجواب عليه أولاً استناداً إلى الوثيقتين الأقدم^(١) : التوراة والإنجيل .

يسوع نفسه قال [يوحنا ٣٩/٥] : فَتَشُوا الْكِتَابَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً ، وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي وَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ .

هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير .

آيات كتابية : (٢)

[تكوين ١/١ - ٣] : « في البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور » .

الله في العبرية : Elohim (إلهيم) في صيغة الجمع ، ألوهية جامعة .

١ - الجمع التنظيمي في العبرية غير معروف Pluralis Mayestatis .

٢ - لأحد من الملوك (فرائين) حكام القدماء استعمل في الحديث عن نفسه جمع التعظيم [تكوين ٤١/٤١ ، دانيال ٦/٤] .

٣ - النظرية أن الإسرائيليين القدماء آمنوا أولاً بألهة عديدة (إلهيم) ، وهكذا دخلت هذه العبارة إلى التوراة ، لا تؤكد من قبل النقد العلمي الجذري (نظرية علمانية) .

الآية الثانية : روح الله .

الآية الثالثة : قال : « كلمة الله » .

(١) هذا لفظ السيد روديفر ، وصواب العبارة : استناداً إلى الوثيقتين القديمتين : التوراة والإنجيل .

(٢) يعني بها السيد استشهدات من العهد القديم (التوراة) ، وستره (شهادة العهد الجديد) مستقلة بعد صفحات .

الكلمة والروح مشتركان في عليّة الخلق ، نرى هنا ولو وراء الستار ، أول إشارة إلى ذات الله .

يتكلم الله في صيغة الجمع « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » ، « هلمّا نزل ونبلبل ألسنتهم » ، [برج بابل] .

من نسل يعقوب : « يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب .. » [عدد ١٧/٢٤] .

من سبط يهوذا : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشتري من بين رجله حتى يأتي شيكون وله يكون خضوع شعوب » [تكوين ١٠/٤٩] .

من جنس يسى : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله » [إشعياء ١١/١] .

من بيت داود : « ها أيّام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر » [إرميا ٥/٢٢] .

مولود في بيت لحم : « أمّا أنت يا بيت لحم أفراثة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيّام الأزل » [ميخا ٥/٢] .

معلن من بشير : « صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا » [إشعياء ٤٠/٣] .

مولود من عذراء : « ولكن يعطيكم السيّد نفسه آية ، هل العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل » - الذي تفسيره الله معنا - [إشعياء ٧/١٤] .

الوهية المسيح :

« لأنّ كلّ سلاح المتسلّح في الوغى وكلّ رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق »

مأكلاً للنار ، لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » [إشعياء ٥/٩ و ٦] .

بداية في جليل : « ولكن لا يكون ظلامٌ للتي عليها ضيق .. طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ، الشعب السالك في الظلمة أبصرَ نوراً عظيماً ، الجالسون في أرض ظلال للموت أشرق عليهم نورٌ » [إشعياء ١/٩ و ٢] .

مسحوح من الروح القدس : « وبُخِّلَ عليه روح الربِّ روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة وخافة الربِّ » [إشعياء ٢/١١] .

مُرافق من معجزات : « حينئذٍ تفتتح عيون العمي وأذان الصم تفتتح ، حينئذٍ يقفز الأعرج كالأيِّل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في البرية مياهٌ وأنهارٌ في القفر » [إشعياء ٥/٣٥] .

[مزامير ٢/٧٨] ، و [متى ٢٤/١٣] تكلم بأمثال : « قدّم لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيّداً في حقله ، وفيما الناس نيام جاء عدوّه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى ، فلما طلع الثّبات وضع ثمراً حينئذٍ ظهر الزّوان أيضاً .. » .

المجيء إلى الهيكل : « هأنذا أرسل ملاكي فيهيئُ الطريق أمامي ويسأقي بغتة إلى هيكله السيّد الذي تطلبونه^(١) وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال ربُّ الجنود » [ملاخي ١/٣] .

سقوط آدم :

« فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها » .

(١) هذا هو النص حرفياً ، بينما أورده السيّد روديفر : ويأتي بغتة إلى هيكله السيّد الرب .

﴿ فَأَزَلَّهَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦/٢] .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٨/٣] ، ألا يعني ذلك الجنس البشري كله ؟

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣/٧] .

تقرأ في التوراة بعد السقوط : « وصنع الربُّ الإله لآدم وامرأته أقصةً من جلدٍ وألبسها » ، [تكوين ٢٠/٣] .

نفذتم الذبيحة الأولى لكي تغطي عار آدم وحواء .
إشارة أن لتصفية الخطيئة وجب أن يُذبح حيوان بري .
لماذا لم تقبل ذبيحة كايين ؟ لأنه قدّم ذبيحة غير دموية .
لماذا قبلت ذبيحة هايل ؟ لأنه أدرك أنه لا يوجد غفران إلا بالدم .

المسيح : مولود من نسل المرأة : « وأضعُ عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يَشَقُّ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ » [تكوين ١٥/٣] .

« وظهر له الربُّ عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال يا سيّد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك » [تكوين ١٨/١ - ٤] .

« وقالوا له أين سارة امرأتك ، فقال ها هي في الخيمة ، فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنٌ » ، [تكوين ١٨/١ و ١٠] .

نرى الثلاثة والتوحيد في الوقت نفسه^(١) .

الثلاثة : « مَنْ صعد إلى السموات ونزل؟ مَنْ جمع الريح في حفنتيه ؟ مَنْ صَرَّ المياه في ثوبٍ ؟ مَنْ ثَبَّتَ جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ واسم ابنه إن عَرَفْتَ ؟ » [أمثال ٤/٣٠] .

تنبؤات عن المسيح : « ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض » [تكوين ١٨/٢٢] .

من نسل إسحق : « لأنه إسحق يُدعى لك نسل » [تكوين ١٢/٢١] .

راكب على حمار : « ابتهجي جداً يا بنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم ، هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » [زكريا ٩/٩] .

لل يهود عثرة : « الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية » [مزامير ٢٢/١١٨] .

يتألم من أجل معاصي البشر : « لكنْ أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلواً ، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوقاً لأجل آثامنا ... » [إشعياء ٥٣/٤] .

يُطعن أمام أنظار الناس : « وأفيض على بيت داود على سَكَّانِ أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيده له ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بكره » [زكريا ١٢/١٠] .

(١) استغربت واستغرب الجالسون هذه النتيجة ، قاطعت السيد روديفر وقلت له : لي تعليق على ماسدوت ، وعلى ما استنتجت ، وأسجل في نهاية ما سقّدم كلّ تعليقاتي .

تنبؤات نمت في يوم واحد :

- يُخَان لثلاثين درهم فضي [زكريا ١٢/١١] .
- يصمت أمام متهميه [إشعياء ٥٣/٧] .
- تقوب في يديه ورجليه [مزامير ١٧/٢٢] .
- مصلوب إلى جانب لصّين [إشعياء ٥٣/١٢] .
- تقسيم ثيابه والاقتراع عليها [مزامير ١٧/٢٢] .
- صرخة الوحشة [مزامير ٢/٢٢] .
- يحفظ جميع عظامه ، واحدٌ منها لا ينكسر [مزامير ٢٠/٢٤] .
- جثته للطعّون [زكريا ١٠/١٢] .
- قلبه المكسور [مزامير ١٤/٢٢ و ١٥] .

شهادة العهد الجديد :

« الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ، فإنّ الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا » ، [رسالة يوحنا الرسول الأولى ١/١ و ١٢] .

حسب قول المسيح : « طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه ، لأنّي أقول لكم إنّ أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » [لوقا ١٠/٢٣ و ٢٤] .

الشهادة الأولى : سمعان أمام الهيكل والطفل يسوع « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتَه قدام وجه جميع الشعوب » [لوقا ٢٩/٢ و ٣٠ و ٣١]^(١) .

(١) وذكر السيد روديغر أنّ هذه الفقرة باليونانية أوضح ، وكتبها لنا باليونانية ، وتعي : « أبصرتنا خلّصك » .

« أنا أنا الربُّ وليس غيري مُخَلَّصٌ » [إشعياء ٤٣/١١]^(١) .

« أنا والآبُ واحدٌ » [يوحنا ١٠/٣٠] ، وباليوناني Neutrum (محايد) لا ذكور (!) ، لا يتكلَّم إذن عن شخصٍ واحدٍ بل عن ذاتٍ واحدة ، أو طبيعةٍ واحدةٍ (ذكوري ← صيغة) (!)

« أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح » [يوحنا ٨/٥٦] .

« الحقُّ الحقُّ أقولُ لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ » [يوحنا ٨/٥٨] ، باليين المضاعف ، أو بالقسم الأقوى يطالب المسيح اسم الله المطلق غير الزماني ، واليهود عرفوا تماماً ماذا يقصد هنا ، إنَّه يجعل نفسه الله (إلهاً) .

وبدلاً من أن يعيد الأنبياء ، وأن يقول الربُّ يقول ، أو هكذا يقول الربُّ ، يقول يسوع : « الحقُّ الحقُّ أقول لكم .. » ، أو : « فيأني أقول لكم إنكم .. » [متى ٢٠/٥] .

وهو مشرَّع بقوة^(٢) : « السَّماءُ والأرضُ تزولان ولكنَّ كلامي لا يزول » [مرقس ١٣/٣١] ، كلامه أزلي أبدي ، فهو بذلك ليس بشراً عادياً .

« لا تضطرب قلوبكم ، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي » [يوحنا ١٤/١] ، يجعل نفسه موضع الإيمان .

ويقبل العبادة والسجود له : « واسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله » [متى ٢٣/١٤] ، « قال لها يسوع لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي ، ولكن انهيبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » [يوحنا ٢٠/١٧] ، « قال لهم

(١) عاد السيد روديفر هنا إلى العهد القديم (التوراة) .

(٢) في الأصل بخط السيد روديفر : يطالب قوة التشريع .

وأنتم من تقولون إنني أنا ، فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحيّ .
[متى ١٥/١٦ و ١٦] .. وإلى آخره .

يقول (أبي) لا الله : لم يقل مرّة واحدة : « أبونا » عندما تكلم مع تلاميذه ، بل قال : أبي أم أبوك ؟

واليهود أيضاً نادوا الله أباً ، ولكن استعملوا الكلمة Abkinn ، صيغة المخاطبة التي تتوجّه إلى إله رحيم رؤوف غفور ، الصيغة التي استعملها يسوع لاحتوي أي رجاء أو التماس الغفران أو للمغفرة ، كلمة لعلاقة وثيقة كل الوثوق مع الأب ، وجدير بالاعتبار : داود لم يقل أب ، بل : كما الأب يترأف [مزامير ١٣/١١٣]^(١) .

اليهود عرفوا فوراً ماذا يعني أو يقصد [يوحنا ١٨/٥] : « فن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنّه لم ينقض السبب فقط ، بل قال أيضاً إنّ الله أبوه معادلاً نفسه بالله » .

مطالبات غير مباشرة : [مرقس ٥/٢] : « فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بنيّ مغفور لك خطاياك » ، و [لوقا ٤٨/٧] : « ثمّ قال لها مغفور لك خطاياك » .

وفي [يوحنا ٦/١٤] لم يقل أنا أعرف الحياة ، بل أنا الحياة نفسها ، « قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتي إلى الأب إلاّ بي » ، وفي [متى ٢٧/١١] : « كل شيء قد دُفِع إليّ من أبي^(٢) وليس أحد يعرف الابن إلاّ الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » .

(١) « كما الأب يترأف » ليست في [مزامير ١٣/١١٣] ، فالزمور ١١٢ ثلث فقرات فقط ، في الزمور ١٣/٩٠ : « راجع يارب ، حتّى متى ، وترأف على عبيدك » ، وليس في الزامير كلّها (ترأف) إلاّ هنا ١٣/٩٠ .

(٢) هذه الجملة لم يذكرها السيد روديفر ، أضفتها أثناء ضبط الفقرات وتوثيقها .

وفي الحقيقة إن شهادة المسيح لنفسه ما كانت لتقوم لولا أنه (إله) ، وليس مجرد إنسان ، لأن الله وحده هو الذي يشهد لنفسه .

الثالوث في العهد الجديد (رموز) :

- عند الميلاد : الأب الذي أرسل الملك جبرائيل ، « هذا يكون عظيماً وابن العليّ يدعى » ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد^(١) ولا يكون ملكه نهاية » [لوقا ١/٢٢] .

الابن المولود ، الروح القدس الفاعل ، « الروح القدس يحلّ عليك وقوة العليّ تظلمك » [لوقا ١/٢٥] .

عند المعمودية : قال الأب : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » [متى ١٧/٣] .

الابن في ماء الأردن .

الروح القدس يستقر على رأس الابن مثل حمامة .. [متى ١٦/٣ ، ومرقس ١٠/١] .

ويسوع نفسه يقول : « إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي^(٢) ، وأنا - أي الابن^(٣) - أطلب من الأب - الأتوم الآخر^(٣) - - فيعطيك معزياً آخر - روح الحق ، الأتوم الثالث^(٣) - ليكنث معكم إلى الأبد » [يوحنا ١٤/١٥ و ١٦] .

« وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس » [متى ٢٨/١٨] ، لم يقل (بأسماء) ، بل مفرد (باسم) .

(١) ما بين القوسين لم يورده السيد روديفر .

(٢) لم يذكر السيد روديفر هذه الجملة « .. فاحفظوا وصاياي » لأنها تنص على حفظ وصايا لاهوته .

(٣) ما بين معترضتين من إضافات السيد روديفر .

البركة الرسوليّة : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » ، [رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٤/١٢] .
« فإنّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » [رسالة يوحنا الرسول الأولى ٧/٥] .

الرقم ٣ (ثلاثة) :

« انقض هذا الهيكل وفي ثلاثة أيّام أقيمه » ، (يسوع) .
طفولة المسيح : « وبعد ثلاثة أيّام وجدوا في الهيكل في وسط .. » .
بطرس : جعده ثلاث مرّات .
يسوع : سأله ثلاث مرّات : « هل تحبني » .
بلاطس : سأل ثلاث مرّات « أي شيء عمل هذا ؟ » .
الصلب ثمّ في الساعة الثالثة « وبعد ثلاث ساعات كانت ظلمة على كلّ الأرض »^(١) .

صفات إلهيّة :

السُّلطان « دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ » [متّى ١٨/٢٨] .
والوجود في كلّ مكان : « وليس أحدٌ صعد إلى السماء إلّا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء » [يوحنا ١٣/٣] ، « لأنّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » [متّى ٢٠/١٨] ، « وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدهر » [متّى ٢٠/٢٨] .

(١) الرقم ٣ (ثلاثة) أورد السيد روديفر فقراتها دون توثيق .

واضع الناموس ومكّله : « قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه بساطلاً يكون مستوجب الحكم .. » [متى ٢١/٥] .

عالم بأسرار القلوب : « فشعر يسوع بأفكارهم » [لوقا ٢٢/٥] ، « لكن يسوع لم يأتهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع » ، [يوحنا ٢٤/٢] .

سلطان على عناصر الطبيعة : « فخرّ العبد وسجد له قائلاً يا سيّد تمهل عليّ فأوفيك الجميع » [متى ٢٦/١٨]^(١) .

سلطان على الشياطين : « ولما صار المساء قدّموا إليه مجانين كثيرين ، فأخرج الأرواح بكلمة وجميع للرضى شفاهم » [متى ١٦/٨] .

سلطان على اللوث : « ثم تقدّم ولس النعش فوقف الحاملون ، فقال : أيّها الشاب لك أقول قم » [لوقا ١٤/٧] .

عالم بكل شيء : « الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد ، لهذا تؤمن أنك من الله خرجت » [يوحنا ٢٠/١٦] .

شهادة القرآن الكريم :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْبِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدْخِرُونَ فِي بَيْوتِكُمْ^(٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩/٣] .

(١) لا يصلح النص الذي اقتبسه شاهداً لما قال وأراد .

(٢) وهنا كتب السيد روديفر [بدون إذن الله] ، مع أنها كلها معطوفة على خلق الطير بإذن الله .

ولكن الأهم (بدون خطيئة) : « مَنْ مِنْكُمْ يُكْتَتِي عَلَى خَطِيئَةٍ ؟ » [يوحنا ٤٦/٨] .

شهادة القرآن الكريم والكتاب المقدس :

على سبيل المثال : ديدات يرفض الفضائح والخطايا المذكورة في العهد القديم عن الأنبياء ورجال الله ، وأنا أسأل : هل من الممكن أن نرفض كتاباً ككلام الله لمجرد أنه يُظهر الناس حتى أحسن الناس في أسوأ حالاتهم ؟

أذكر هنا أن هدف الكتاب المقدس مجد الله ، وليس المجد الزائف للإنسان .

تساوى جميع القصص التي أشار ديدات إليها معاً في شرّها ، ولكنه اختار بعناية أن لا يذكرها ، لماذا ؟ لأنّ القرآن أيضاً يذكرها في سورة [ص : ٢٤/٢٨ و ٢٥] : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَةٌ فاستغفرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ ﴾ ، ونسأل هنا : ماهي الفتنة - فتنة داود - التي تاب عنها^(١) ؟

لابدّ لنا من الرجوع إلى التّوّارة [صموئيل الثاني ٧/١٢ - ٩] : « .. قد قتلت أوريا الحيثيّ بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة » ، وبعد أن أناب داود قال في [مزامير ١٠/٥١ - ١٢] : « .. رُدّ لي بهجة خلاصك » .

شهادة القرآن الكريم واضحة كل الوضوح .

كلّ الأنبياء خطاة^(٢) ، لماذا هذا الخروج من الوضع البشري ، في [آل عمران : ٣٧/٢] ﴿ .. وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، تفسير

(١) في التفسير الكبير للإمام الرازي ١٨٩/٢٦ ، وفي تفسير أبي حيان الأندلسي البحر المحيط ٢٩٢/٧ ، وفي صفوة التفسير ٥٥/٣ الفتنة التي تاب عنها الظنّ بتسوّري المهراب من غير إذن ، فلما اتّضح له أنها جاءت لحكم في قضية استغفر من ذلك الظنّ وخّر ساجداً لله عزّ وجلّ .

(٢) حاشاهم صلاة الله عليهم وسلامه .

الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ : ما من بشر يولد إلا ويمسه الشَّيْطَانُ فيستهل صارخاً من مسَّة الشَّيْطَانِ
إِلَّا الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ .

وفي [الأنعام ١١٢/١] : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ
يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا .. ﴾ ، وفي [مريم : ١٦٧/١] : ﴿ قَالَ أَنَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبْ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ، وفي [الأنبياء : ٩١/١١] : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتَ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَ [مريم : ٢١/١٩] : ﴿ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

هنا أسأل : هل يصطفي بشر بكل هذه الميزات بجانب كونه كلمة الله وروحاً
منه ، وتكون مهمته محصورة فقط ؟ « ولكن يعطيكم السيّد نفسه آية » ، هل العذراء
تجبل وتلد ابناً .. » [إشعياء ١٤/٧] .

وفي [آل عمران : ٤٥/٢] : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، يقول الرازي في
التفسير الكبير : « معنى كلمة المسيح أنه مَسِيحٌ من الأوزار والآثام ، ومنه أنه كان
ممسوحاً برحم طاهر مبارك .. صوناً له من مسّ الشَّيْطَانِ » .

وفي البخاري : « كلُّ ابن آدم يطعنهُ الشَّيْطَانُ في جنبه بأصبعيه حين يولد غير
عيسى ابن مريم » .

﴿ وجيهاً في الدنيا ﴾ ، يقول الرازي : معناها مبراً من العيوب بسبب كثرة
صوابه وعلو درجته عند الله تعالى ، « في الدنيا » يُستجاب دُعاؤه وَيُحيى الموتى » ، وفي
الآخرة « بسبب يجعله شفيع أُمته ويقبل شفاعته (شفاعاته) فيهم » ، كلمة
(شفيع) ، من يستطيع أن يشفع إلا الله نفسه ، الله لا يقبل الشَّفاعَةَ من شخصٍ أدنى
منه ؟ (هو نفسه) يشفع فينا ^(١) .

(١) بل الشَّفاعَةُ لعظيم من دونه ، رجاء العفو منه والغفرة ، كما أنَّ الشَّفاعَةَ يَأْخُذُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

كلمة الله ، روح منه :

لقبان انفرد بهما المسيح^(١) عن سائر الأنبياء كلهم ﴿ ألقاهما إلى مريم ﴾ ، هل نستطيع أن نستنتج أنَّ الكلمة إذن موجودة قبل أن تُلقى إلى مريم ؟ لا أحد سيقول إنَّ الله كان أخرس قبل خلق العالم ، حاشا لله ، كان ناطقاً عاقلاً منذ الأزل ، أسأل : هذا النطق ، وهذا الروح من ذات الله ؟

إن أجبت لا ، نستنتج أنَّه يوجد شريك مع الله ، حاشا لله .

وإن كان روح الله وكلمته مخلوقين ، لأزليين منذ الأزل ، أسأل : ألا يناقض هذا الكلام اعتقادنا أنَّ الله هو الكائن الأزلي الحي الناطق ؟!

استعراض تاريخ الفكر المسيحي :

ما هو جواب آباء الكنيسة عن السؤال : من يقولون إنِّي أنا ؟

تهيد : تعليق على (قصة الحضارة) لؤل ديورانت : يقول : إنَّ طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ مجزأ أقساماً منفصلة بعضها عن بعض ، وإنَّ التاريخ يجب أن يكتب عن كلِّ هذه الجوانب مجتمعة .

أقدر هدفه تقديراً خاصاً عندما يقول : « سيدهشنا أن نعلم كم اكتشافاً ضرورياً لحياتنا اليومية .. وما لنا من فلسفة ودين مرده إلى مصر والشرق » .

وأقدر إنصافه عندما يعلق قائللاً : « إنَّ التعصُّب الإقليمي .. لم يحدِّد مجرد غلطة علمية ، بل ربُّها كان إخفاقاً ذريعاً في تصوير الواقع ، وتقصاً فاضحاً في ذكائه » .

بالرغم من ذلك كله ، أشكُّ أن تأليف هذا الكتاب الذي يستبي ول ديورانت نفسه مغامرة يستطيع أن يلبي كلَّ المتطلبات العلمية التي تفرض عادة على مختص بموضوع واحد .

(١) كلا ، آدم من روح الله ، ولنا تعليق مفصل بعد الانتهاء من تقديم كل ما كتبه أو قاله السيد روديغر .

نحن نعرف أن ول ديورانت استهدف تبسيط التاريخ والفلسفة^(١) ، وأراد أن يؤلف كتاباً موضوعاً لمستوى مستعمي محاضراته التي ألقاها في أمريكا ، والتي كان معظم مستمعيها من العمال والنساء^(٢) الذين يطلبون أن تكون المائدة التاريخية واضحة كل الوضوح ، في مثل هذه الحال ، لابد من الوقوع إلى بعض الأخطاء أولي أن تكلم بلسان ول ديورانت « إلى الأخطاء الكثيرة التي ليس عنها يحصى في هذا المشروع » ، خاصة في مجالات معقدة كتاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى^(٣) .

إنه من اللافت للنظر أننا نجد هذه الأعمال الجبارة ، مثل قصة الحضارة ، أو قصة الفلسفة في أغلب الوقت بين الأمريكيين .

مجلد (المسيح والقيصر) كتب سنة ١٩٤٤ م ، في الوقت الذي كان فيه - خاصة في أمريكا - كثيرون من المفكرين متأثرون بمؤلفات القرن التاسع عشر اللاهوتية ، مثل : Raimarius ، Venturini ، Schleiermacher ، Baur ، وبشكل خاص Dániel Friedrich Straub ١٨٢٥ م ، و Renan ١٨٤٩ م الذي كتب كتابه عن (حياة المسيح) هنا في سورية ، واستناداً إلى أن العلم يتجدد الآن كل خمس سنوات^(٤) ، أراه من المحتمل أنه توجد مصادر أدق وأكثر علماً في نطاق موضوعنا .

(١) إن صح هذا ، التبسيط فإنه لا يعني تقديم الخطأ ، وجانب الحقيقة ، ومع ذلك في مقدمة المجلد الأول من (قصة الحضارة) أساء من راجع وضوب من ذوي الاختصاص ، وجاء حرفياً : « سننهمز هذه الفرصة لندخل كل ما عساه نلقاه من تصحيحات يقدمها النقاد والأخصائيون والقراء » ، ثم أورد قولاً نصه : « لو كنت لأنتظر الكمال لما فرغت من كتابي إلى الأبد » .

(٢) لاندري من أين جاء بها السيد رودينغر ، وعلى الرغم من ذلك من العمال والنساء مثقفون أكثر من كثيرين ممن يدعون الثقافة .

(٣) من أين جاء التعقيد ؟ من التحول إلى التثليث في ألغازه وأسراره .

(٤) العلم يتجدد ويتقدم .. ولكن العقائد في أركانها ثابتة راسخة ، ومع ذلك رفضت الكنيسة الأنجيل المكتشفة حديثاً .

بينما وجه الإنجيليون متى ومرقس ولوقا أناجيلهم إلى اليهود الأُميين (Gentiles) والرُومان ، ووجه يوحنا كتابه إلى الأوساط المسيحية نفسها وبدأ يناظر تيارات غير كتابية بشكل خاص^(١) .

الغنوصيون : آمنوا أن الله لا يمكن له أن يأتي إلى المادة (أن يصير إنساناً) ، لأن للمادة شر .

للمسيح إله أصغر .

مناظرة الكنيسة مع اليهود : رأوا في ألوهية المسيح تجديفاً ضد الله ، إلا أن الرسل لم يحاولوا أبداً ولا مرة واحدة أن يرفعوا يسوع الإنسان إلى درجة الألوهية ، بل أعلنوا أن (يهو) نفسه ، الله في سلطانه ومجده صار لحمًا ودماً (إنساناً) .

الخطر الذي كانت الكنيسة تواجهه لم يكن رفض ألوهية المسيح ، بل العكس ، إنهم كانوا - أي الوثنيون - قد اعتادوا على عبادة يسوع كواحد من الآلهة الذين تعبدوا لهم ، (لم يكن إنساناً حقيقياً)^(٢) .

في ضمن نطاق الكنيسة كان يوجد اتجاهان :

- ١ - إلى جانب الاتجاه الأرثوذكسي (ذي رأي مستقيم) ،
- ٢ - الاتجاه الذي رأى في يسوع الإنسان الذي اختاره الله ، وأسكن فيه روحه ، وانتصر هذا الإنسان على التجارب ، وثبته الله بقوة ، وجعله سيّداً ورباً ، مذهب التّبني (أو المسيح التّبني) .

للمشكلة هنا ، الإنسان الذي أصبح إلهاً .

(١) كلام خطير جداً ، إنه اعتراف بأن الأناجيل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا (وجه كتابه) ، النصّ الإلهي ثابت موجه للناس كافة .

(٢) أنا أنقل هنا ما كتبه السيّد روديفر حرفياً .

أغناطيوس [٢٥ - ١٠٧ م] : أسقف أنطاكية ، الكنيسة التي أسسها بطرس الذي علم أغناطيوس سبع رسائل أهمها : (رسالة إلى رومة) ، حيث التشديد على حقيقة أن المسيح صار إنساناً حقيقياً ، كافح ضد الغنوصية التي أنكرت ناسوت المسيح ، واستطاع أن يتكلم عن ناسوت المسيح ولاهوته ، دون أن يمزجها مزيجاً كلياً .

الاتحاد الذي تم في المسيح بين اللوغوس والسرкс Sark (اللحم) ، قبل الألهوت والناسوت كانا متحدتين ، وعلى صلة مستمرة الواحد مع الآخر ، [رسالة سميرنا ٢/٤] .

« المسيح يعطي المؤمن حياة جديدة ، فهو يلاشي الحياة القديمة ، ويخلق في الإنسان عالماً جديداً » . [أفسس ٤/٤]^(١) .

بوليكريس Polycarpe : [٦٩ - ١٥٦ م] أسقف أزمير ، تعرّف على يوحنا وأغناطيوس ، رسالة إلى الفيلبيين : « يسوع المسيح جاء في الجسد » .

غرينايوس^(٢) Grenaus [١٣٠ - ١٩٥ م] أسقف ليون (في فرنسا) ، معروف كرجل للصالحه في الخصومة بين فيكتور من رومة ، والكنيسة في أسية .

كتابان في اللغة اللاتينية :

١ - مشكلة الغنوصية .

٢ - شرح التّعليم الرّسولي ، تكلم فيه عن الشّالوث ، عن سقوط الإنسان ، عن التّجسّد والفداء .

يحتج بشدة ضد أولئك اللاهوتيين الذين يقدمون شروحات مطوّلة ومفصّلة حول أصل الابن ومصدره ووجوده ، كما لو كانوا حاضرين في يوم ميلاده ، يقول : لا يمكن

(١) لم أجد النص في [أفسس ٤/٤] .

(٢) هكذا كتبها السيّد روديفر .

وضعها لأنها تفوق كل وصف ، « لا أحد يعرف سر ميلاد ابن الله إلا الآب والابن » ،
[Adv. Haar 11/28] .

التعليم الغنوصي :

أ - المسيح هو واحد من العوالم (Eons) أو الآلهة التي خرجت من الإله الأسمى .

ب - المسيح هو مجرد من الطبيعة البشرية الخاضعة لقوة الطبيعة .

أريناوس يقول : « بل على العكس في المسيح ، اللوغوس^(١) صار مثلنا لكي
يصيرنا مثله ، ولكن في صيرورته مثلنا لم يفقد لاهوته ، بل ظل هو نفس المسيح
الواحد » ، [Adv. Haar 19/3] .

« فإن الله الذي سكن في الجسد لم يلاش ما في الجسد الذي سكن فيه من الصفات
المختصة به ، كذلك الجسد الذي كان الله فيه ساكناً لم يلاش هذا اللاهوت ، فهناك
أفعال وتصرفات في شخص المسيح لا يمكن أن ننسبها لله » .

جارتوريوس Jartiu الشهيد [١٠٠ - ١٦٥ م] : من أبوين وثنيين ، التحق بمدرسة
رواقية ، ودرس فلسفة الأكاديميين والفيثوغوريين ، تعمّد سنة ١٣٠ م ولم يترك لباس
الفلاسفة ، وافتتح مدرسة في رومة ، أحد تلاميذه تيرتيان .

ثلاثة كتب الأهم^(٢) : (حوار مع طريفون اليهودي) ، (ثم في أفسس لمدة
يومين) ، حاول تبرير عبارة المسيح كإله^(٣) : « هو القنطرة التي أُلقيت على الهاوية
الفاصلة بين الله والإنسان » ، « انبشاق الابن من الآب لا يعني أن اللوغوس جرّد الآب

(١) اللوغوس : Logos : العقل ، المبدأ العقلاني ، المسيح ، كلمة الله ، وهي الكون (في الفلسفة اليونانية
القديمة) .

(٢) تنقل ما كتبه السيد روديفر حرفياً .

(٣) كتب السيد روديفر هنا : (الجزء الثاني) بشكل هامشي .

من لاهوته أو نزعته عنه » ، « فالكلمة المملوطة لا تجرد الإنسان الذي نطق بها من جوهره كإنسان كما لا تفقد الشمس قوتها من خلال شعاعها ، [حوار ٦١/٢ و ١٢٨/٤] .
« لا يمكن قطع أو فصل الشمس على الأرض من الشمس التي في السماء » ،
[Grillmeier 131] .

ترتليان Tertullian [١٦٠ - نحو ٢٢٠ م] : ١٩٢ م تجديد ، ذهب إلى رومة ، محامي مشهور ، له أكثر من ٢٥ عملاً (كتاباً) محفوظاً ، أهمها في موضوعنا : Contre Prateavs ، ضد المودالية Patrepatronison أو Madalism ، يقول : إن الأب نفسه نزل إلى أحشاء مريم ، الأب نفسه هو المسيح ، ويستعمل في هذا الكتاب للمرة الأولى المصطلح (الثالوث الأقدس) سنة ١٩٥ م .

« هذه الوحدة مؤسسة على التمييز وليس على الانقسام ، أي إنه يجب التمييز بين الأب والابن والروح القدس دون فصلها الواحد عن الآخر » ، [Adv. Prat] .

تعالم بركسياس : المسيح هو الله الأب ، فالمسيح ما هو إلا مظهر من مظاهر الله ، « هذا الإله الواحد ظهر في يسوع المسيح في هيئة إنسان » ، « هذا الأب هو الذي تألم » ^(١) ، [Adv. Prat] .

ترتليان ^(٢) : « هذه الوحدة هي وحدة الأقانيم » ، ويتكلم عن الأقنوم : « خروج الابن من الأب يشبه تماماً خروج شعاع الشمس من الشمس » كما الفرع هو ابن الجذع ... ، [Adv. Prat. 8] .

« إن الابن من نفس جوهر الأب ، وخارج منه » ، [Apologia 21/2] .

(١) الأب أي (الله) تألم على الصليب ، استغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) ترتليان : هو ترتليان نفسه .

أُكِّد بشدّة على الحقيقة أنّ هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد ، « كلُّ ما يوجد في هذه الوحدة الثلاثة هو الانسجام والتّوافق والمحبة » .

يدعو طبيعة العلاقة بين الجسد واللّوغوس (حالة مزدوجة) : Double Statuv ، [Prat. 11] .

وفي هذا الاتحاد الإلهي البشري ، اللّوغوس يسوع اختفظت كلُّ طبيعته بميزاتها الخاصّة بها » [Prat. 27] .

« طبيعتان ، طبيعة إلهيّة وطبيعة بشريّة متحدتان بلا اختلاط كل أو امتزاج » ، [Adv. Prat. 27] .

« بما أن المسيح كانت له روح مثل أرواحنا ، وكان يتألّم مثلنا ، فقد صرّح على الصّليب من شدة ما عاناه في الصّلب » ، [De Resont Carne 40] .

بولس التّمثيّل [أسقف أنطاكية ٢٦٠ - ٢٧٢ م] : كان كاتباً سياسياً ماهراً ، واحتلّ مكانة عالية في مملكة زنوبيا التي عرّفت بيلها الخاص لليهود ، والتي استهدفت الانفصال عن رومة ، رأت في بولس أداة سياسيّة فساعدته بنفوذها على ارتقاء كرسي الأسقفية في أنطاكية ، وتمتّع بسلطة روحيّة وعالمية ، وفي نفس الوقت أشرف على خزينة الملكة زنوبية وكان مستشاراً لها .

تعالیه بعد ارتقائه [كرسي الأسقفية في أنطاكية] :

اللّوغوس : قوّة غير شخصية ، وليس أقنوماً ، مميّزاً عن الله .

في يوم المعموديّة اتّحد الله مع هذا اللّوغوس بأيّ شكل ما ؟! وهكذا رفع اللّوغوس كمكافأة له ، وأعطاه اسماً فوق كل اسم .

« هذه الأقانيم ماهي إلّا طرق قد انتحلها الله ليظهر نفسه في العالم » .

مشكلة : هذا يؤدي تلقائياً إلى وجود ابنين لله .
بولس لم يشتهر باعتقاده فقط ، بل بسوء السلوك أيضاً .

مجمع أنطاكية : ٢٦٨ م ، حضره ٧٠ - ٨٠ مندوباً ، وطرح عليه (مركيون) أسئلته واستطاع بذلك أن يبين أخطائه اللاهوتية ، فحكم عليه ، إلا أنه بقي بدعم من زنوبية على كرسي الأسقفية إلى موتها ، فأنهى أوريليان Aurelian سلطته .

لوكيانس Luccian : أسس المدرسة الأنطاكية بعد ٢٦٠ م ، ودرس فيها تعاليم بولس السيمساطي تماماً ، ولوكيانس نفسه للمصدر والينبوع الوحيد لآريوس ، حتى سُمي آريوس نفسه : (آريوس اللوكيانوسي) ، وآريوس درس تعاليم لوكيانس ، إذن : تعاليم آريوس ليست من مصر ، بل ولدت في أنطاكية ، وظهرت بعد ذلك في الإسكندرية^(١) .

كلام عن تاريخ الفكر المسيحي :

نأتي إلى آريوس ، من ليبيا ، كان خطيباً رائعاً وشاعراً مشهوراً ، ألف الكثير من الترانيم المسيحية ، وجذب كثيراً من الناس إليه بأسلوب وعظه ، درس في أنطاكية عند توتيانوس ، ثم انتقل إلى الإسكندرية وكافح هناك ضد تعاليم سيربيوس ، الذي كافحت ضده أيضاً كنيسة الإسكندرية ، أي الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، وجعل بوجه عام الكثيرين أتباعه في كفاحه القوي ضد سيربيوس ، ولكن بدأ بعد ذلك بهاجم عقيدة أثرية الابن وإنشاق جوهره من الآب ، إذن إن هذا الاعتقاد يؤدي إلى (السلبية) تعاليم الطبيعة الواحدة .

أولاً : وجود الابن سبق خلق العالم ، مع ذلك فهو ليس أزلياً .
ثانياً : الآب قرّر بأن الابن يسلك في طريق الصراخ ، ولهذا فقد منحه مجداً إلهياً .

(١) هنا تنتهي الصفحات التي كتبها السيد روديفر بخط يده بالعربية ، ليندأ بشرائط سجله بصوته .

الإسكندر - أسقف الإسكندرية - ناقش أريوس ، وحينما لم يرد هذا أن يتراجع عن اعتقاده ، عقد الإسكندر مجعاً في ٣٢٠ م ، بحضور مئة أسقف ، ومن أولئك الأساقفة لم يتبع أحد رأي أريوس إلا الأسقف تيوباس وزكينوس ، فُصلَ أريوس من خدمته سنة ٣٢٠ م ، وحينما صدر هذا الحكم ، لم يجد أريوس في الإسكندرية إلا حفنة من الناس الذين اعتنقوا تعاليه .

شرح أريوس لأوسيب أوتيانوس موقفه ، ونصح له أن يقابل أسقف نيقوميديا ، ويرسل رسائل إلى الأساقفة ، وأوسيب نفسه كتب رسائل كثيرة ، ودعا إلى مجمع جديد لتدارس هذا الأمر ، أشرف على هذا المجمع صديق أريوس ، أسقف نيقوميديا [يوسبيوس] ، وفوق ذلك كانت العلاقات بينه وبين الكنيسة المصرية سيئة ، هذان الأمران لا يُسمح لنا أن نهملهما في مسألة أريوس .

لعب على كل حال الإسكندر والكنيسة المصرية دوراً هاماً ، اللذان رفضا حكم المجمع [الذي أعاد أريوس إلى الكنيسة] ، ولذلك انفصل أريوس وأتباعه عن الكنيسة ، ثم استقرَّ أريوس في نيقوميديا وكتب كتاباً ، وهنا نقول : اتسعت شقة الخلاف ، وحاول كلا الجانبين أن يجذب إليه العدد الأكبر عن طريق الرسائل والخطابات أو الشروح ، وبعد معركة كريستوبلس ٢٢٢ - ٢٢٤ م وصلت المملكة الرومانية إلى حالة من السلام ، وفي مثل هذه الحال بدأت التوترات في الكنيسة أن تهدد وحدة الإمبراطورية ، حيث الأحزاب تكافح بعضها ضد بعض ، فخاف قسطنطين على وحدة الإمبراطورية ، واستشعر الأسقف هوستيوس ، واتفق قسطنطين أن يكتب إلى كل واحد من الحزبين رسالة شخصية ، وسافر هوستيوس واجتمع بالحزبين ، وحصل على صورة شاملة ، وفي هذا الحين وُلِدَ الاقتراح لعقد مجمع مسكوني ، مجمع نيقاوي سنة ٣٢٥ م .

أثناسيوس يقول إن عدد الأساقفة ٣١٨ ، وهرنك يقول ٢٥٠ - ٣٠٠ ، والأغلبية

من الشرق ، ومن الغرب ٤ أو ٥ فقط ، واحد من إسبانية ، وآخر من فرنسة ، واثنان من رومة .

نرى في الجمع النيقاوي ونجد ثلاثة أحزاب ، الحزب المصري وهو أغلبية برئاسة الإسكندر ، ثم الحزب الآريوسي وهو أقلية ولكنه متحمس ومعه أسقف نيقوميديا ، والحزب المحايد ، يعني حزب أوريفينس .

ناقش المجتمعون تعاليم آريوس ، فأنهم الجمع آريوس بالهرطقة ، واقترح القانون الإيماني ، إلا أن الجمع رفض بقرار الإجماع هذا القانون ، قانون الإيمان ، وتغير الوضع في ذلك الحين ، أي رفض الجمع إدانة تعاليم آريوس ، أي المحتوى في ذلك القانون ، وبعضهم يظن أن أثناسيوس لم يحضر ، وأن الأساقفة وحدهم اتخذوا القرارات ، حسب بعض المراجع ، وبعضهم الآخر يقول أثناسيوس لعب دوراً في الخلفية حسب [بونيثاس ٤٣/٢ - ٤٥] .

لقدرة العلم على الانتصار ، انضمت أغلبية الحزب الآريوسي إلى الحزب الأوريفيني المحايد .

أوسيب قرّر أن يتكلم الكلمة الأخيرة ، ويطرح قانون الإيمان الذي نال قبول كل المشتركين في الجمع تقريباً ، إلا أنه ظهرت بعض المناقشة مع الحزب المصري ، حول بعض الأخطاء اللاهوتية التي تضمنها ذلك القانون ، هنا أتى الحزب المصري وعلى رأسه أثناسيوس وقّح هذا القانون ، ولكن لم يقدم قانوناً جديداً ، بل قدّم تنقيحاً لاهوتياً للقانون الذي اقترحه أوسيب .

قام الآريوسيون ضد مصطلح أن الابن مساوٍ بالآب في الجوهر ، وزعموا أن لا وجود لهذا للمصطلح في الكتاب المقدس ، صحيح أنه غير موجود في الكتاب المقدس ، بغض النظر عن [رسالة بولس إلى أهل فيلبّي ٦/٢] : « الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله » .

لأنجده لفظياً ، ولكنه محتوى معنوياً .

ونص القانون هو من يظن أنه كان زمن لم يوجد فيه ابن ، وأنه لم يكن له وجود قبل أن وُلِدَ ، أو ابن الله مخلوق ، أو قابل للتغيير أو متغير فهم خارج الكنيسة الجامعة الأصولية .

مشاركوا الجمع وافقوا على هذا النص ، حتى الآريوسيون أنفسهم ، باستثناء اسقفين مصريين تينس وسيكولس ، وحكيم على تعاليم آريوس ، وخوفاً على وحدة الامبراطورية التي سعى إليها قسطنطين ، أمر بإحراق أعمال آريوس ، ولكن المشكلة لم تحل بشكل نهائي ، وظلت نبوة سمعان الشيخ نافذة المفعول ، حسب [لوقا ٢٤/٢] : « وباركها سمعان وقال لمريم أمه إن هذا قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوم » .

تعاليم آريوس : رأى آريوس أن الآب عظيم بعيد كل البعد عن البشر ، والله الذي أراد الاقتراب من الخلق ، خلق الكلمة يسوع الذي أصبح عن طريق مشابراته وسعيه نحو الكمال إلهاً ، بدرجة اللاهوت بالتبني ، وآمن آريوس أن الابن في أسمى مكان ، ووصل إلى أعلى درجات الارتفاع ، « لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربنا لمجد الله الآب » ، [رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١٠/٢ و ١١] ، إلا أن كل هذه ماهي إلا هبة أو عطية من الله الآب إلى الابن ، لأنه هكذا مسرة الله .

ولقد وصل آريوس إلى درجة القول بأنه يمكن أن نقول إن الابن هو الله ، أو إله .

ويبدو كأنه يوجد تناقض ، في الحقيقة لا يوجد تناقض ، في تعاليم آريوس ، ربما هنا تكمن المشكلة ، يمكن أن نقول إن الابن هو الإله حسب آريوس ، ولكن ليس لأنه عظيم وسام ، وإلى منذ الأزل ولأنه نفسه مصدر كل سمو ، وعظيم وسلطان ، لأن الآب الذي خلقه وجعله بكر كل الخليقة قد منحه هذه العظمة والسلطان ، الابن يصير ابناً

شرعياً ووارثاً له ، ولكنه يختلف عن الآب في الجوهر ، « سمعتم أنني قلت لكم أنا أنهب ثم آتي إليكم ، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى الآب ، لأن أبي أعظم مني » [يوحنا ١٤/٢٨] .

الخطأ الذي وقع فيه أريوس ، والذي وقع فيه الكثيرون هو أنه عدّ الآيات التي تتكلم عن يسوع الابن ، كما لو كانت تتكلم عن شخص الابن كلياً وجزئياً ، ولقد غاب عنه أن هذا الإنسان الذي تألم هو نفسه الذي يقول عنه يوحنا « في البدء كان الكلمة » .

الآيات التي سُمي الابن فيها بأسماء الله كثيرة وعديدة ، وذكرنا بعضها .
الطبيب والمؤرخ (لوقا) يكتب في كتابه (أعمال الرسل ٢٠/٢٨) : « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » .

« وعن الملائكة يقول : الصانع ملائكته رياحاً ، وخذامه لهيب نار ، وأمّا عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » ، [رسالة إلى العبرانيين ١/٨] .

« ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح ، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ، [رسالة يوحنا الأولى ٥/٢٠] .

الله بعدما أن كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة بابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء ، والذي به أيضاً عمل العالمين الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما سمح بنفسه تكفيراً لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الأعالي .

مما لاشك فيه أن ابن الإنسان يسوع المسيح الناسوت ، محدود العلم ، وينمو ويكبر كما ينمو أي طفل آخر حسب [لوقا ٢/٥٢] : « وأمّا يسوع فكان يتقدم في الحكمة

والقامة ، والنعمة عند الله والناس » ، « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب » [مرقس ١٣/٣٢] .

ولم يكن مجرد يسوع الناصري ، بل كان الكلمة لتجسّد في الوقت نفسه ، التي من ذات الله ، والتي هي الله نفسه ، وهذا هو السر العظيم الذي يقاوم كل إدراك ، وهنا يبدأ الإيمان ، وكلّ ما رآه أريوس هو الجسد ، والجسد فقط .

يقول يسوع : « كلّ شيء قد دفع إليّ من أبي ، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » [متى ١١/٢٧] .

« طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إنّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكنّ أبي الذي في السموات » [متى ١٦/١٧] ، وتوجد آية أخرى لا أعرف مكانها في الكتاب المقدس : « لا أحد يأتي إن لم يسجنه أو يعذبه الآب »^(١) .

وللإيضاح يزعم أننا ننسب لله ولادة تنازليّة ، وحاشا لله ، ليست هذه النبوة نبوة جسدية ، بل نبوة روحانيّة فعليّة ذاتيّة .

يقال : العقل يلد الأفكار ، فهل معنى هذا أن العقل تزوّج ؟ والولادة من الثالوث الأقدس لا يوجد فيها انفصال ، الابن يخرج من الآب دون أن ينفصل عنه ، ويخرج منه ويظل فيه ، وكما الفكرة تخرج من العقل ، وما زالت فيه ، كذلك الكلمة ، الكلمة كائن الأصفاء ، ابن الشفاء ، ويقال أيضاً ابن مصر ، وابن النيل ، ولكن لا أحد يقول إن معنى هذا أن مصر تزوّجت ، أو أن النيل تزوّج ، وفي الحديث : « الأغنياء وكلائي ، والفقراء عيالي » ، وهل يقصد الحديث هنا ويعني علاقة جسدية ، طبعاً لا ، وإنا قال أريوس الابن مخلوق لأنّه لم يفهم أن الابن المقصود به عقل العقل ، كما

(١) لم نعثر عليها في فهرس الكتاب للقدس ، في [يوحنا ٥/٦] : « قلت لكم إنّه لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يُنط من أبي » .

وصف الغزالي الأَقْنوم الثاني في كتابه [الرُّدُّ الْجَمِيل ٤٣]^(١) : « ذات عاقلة لذاته » ، فإن الله كان فترة من الزَّمن وهو الخالق غير عاقل ، أو دون عقل عاقل ، وحاشا الله ، وروح القدس هو حياة الله ، كيف إذن يكون الله حيّاً قبل خلق هذه الرُّوح ، لا يمكن الفصل بين الشَّمس وبهاء نورها ، وكما يبقى لهب النار الذي ينوّر أولاً ، وثانياً يعطي حرارة ، يبقى دائماً لهباً واحداً .

أبو بكر محمد بن الطَّيِّب الباقلاّني ، قال : إذا انعمنا النظر في قول النُّصارى إن الله جوهر واحد في ثلاثة أقانيم ، لا نجد بيننا وبينهم اختلافاً كبيراً إلا في اللفظ ، [شمس القواعد ٥]^(٢) .

الشيخ محي الدين بن عربي في [فصوص الحِكْم ٢٥/٢]^(٣) يقول : « الكلمة هي الله متجليّاً ، وهي عين الذات الإلهية لا غيرها » ، وفي سورة [البقرة : ٢١٥/٢] ذكر ابن السَّبِيل ، الذي سَمَّى بهذا الاسم لمشيئه المستر غير المنقطع ، وكذلك (ابن الله) ملازم الأب بشكل دائم .

والإمام مالك يقول في تفسير الآية الخامسة من [سورة طه] : هو الرُّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿ : الاستواء غير معقول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة^(٤) .

(١) كتاب الغزالي (الرُّدُّ الْجَمِيل على من غير التَّوَرَة والإنجيل) .
(٢) لم نجد كتاباً للباقلاّني بهذا العنوان ، لقد أوره سيد صقر في مقدِّمة تحقيق (إعجاز القرآن) تسعة وخمسين كتاباً للقاضي الباقلاّني ، ليس بينها هذا العنوان ، ولم نجد الكتاب للباقلاّني ولا غيره لا في كشف الظنون ، ولا في الذيل عليه .
(٣) لم يذكر الطبعة للتَّحْقِيق من النَّص ، ومع ذلك عدت إلى كتاب (شرح فصوص الحِكْم) طبعة ١٩٨٥ م ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، فوجدت ص ٢٣٢ : « فهو كلمة الله ، وهو روح الله ، وهو عبد الله » ، وفي ص ٢٣٤ : « فالموجوِّدات كُلُّها كلمات الله التي لا تنفد ، فإنها عن كن ، و (كن) كلمة الله .

(٤) وصواب هذا : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » ، والضُّمير عائِد إلى الكيف .

وكم حريّ السؤال عن صلاة الله الأُقنوميّة في ذاته ؟ من يحوّل الكلام عن الذات والأقانيم إلى عمليّة حسابيّة لا يفهم شيئاً عن هذا الأمر ، ولا توجد عمليّات حسابيّة عن الله ، وفق ذلك لا تقول واحد + واحد + واحد ، بل واحد في واحد في واحد ، ويسوع قال إن فيّ الأب ، والأب فيّ^(١) .

استأنف الحزب الآريوسي نشاطه من جديد ، مستغلّاً كل الوسائل للوصول إلى نشر تعاليمه ، ويرجع السبب إلى نفوذ (هيلينا) أم الإمبراطور ، وإلى أخت قسطنطين وحسباشيتها ، لأنّهم كانوا آريوسيين ، أقنعت (هيلينيسا) قسطنطين أن آريوس وأتباعه لا يستحقّون هذا الحكم القاسي .

كما بدأ أسقف نيقوميديا يهاجم تعاليم الجمع النيقاوي بشكل غير مباشر ، وكان لديه تأثير قوى على الحاشية الإمبراطوريّة ، وبدأ يستغل بعض الأشخاص المهمّين ، وخاصّة أخت قسطنطين لإثبات براءة آريوس ، وإعادته إلى منصبه ، وأصدر بعض الأساقفة الأصدقاء نصّاً جديداً لقانون الإيمان ، الذي يدلّ ظاهره على الأرثوذكسيّة ، وأمر القيصر بإعادة آريوس إلى الكنيسة .

إسكندر ، أسقف الإسكندريّة كان قد رحل إلى عالم الأبدية ، وخلفه أثناسيوس الذي رُسم أسقفاً في سنة ٣٢٨ م ، وكان محبوباً عند الشعب ، ولكنه وجد حفنة من الكهنة من زمن الإسكندر ، الذين لم يوافقوا على رسالته ، وعلى رأسهم ملاتيوس ، ووفق ذلك ، تدخلت عناصر أجنبيّة في المقاومة ضد الأسقف الجديد .

وأوسيب من نيقوميديا ، رأى في أثناسيوس خصماً قوياً يجب التخلّص منه ، وظنّ أنّ ارتقاء أثناسيوس لعرش أسقفية الإسكندريّة يعني القضاء العاجل والمؤكّد على

(١) لاتوحيد ، ويبقى التثليث ثلاثة : واحد داخل واحد داخل واحد ..

الآريوسية ، لذلك أثار الفتنة ، وكَوّن الأحزاب ، وأشعل النار بين أثناسيوس وبين بعض الكهنة المصريين عن طريق اتهامات مختلفة ، مثل :

١ - قَرَضَ أثناسيوس الضرائب على المؤمنين .

٢ - وأن أثناسيوس قتل أرسينوس .

ولكنه دُعي إلى القيصر وأظهر براءته ، وهذا يعني فشل هذه المحاولة ، وعقّد جمع صور ٣٣٥ م ، لدراسة أمر أريوس ، وأقن أثناسيوس بحشمه وبوصفه أسقفاً ، ولكنه مَنع من الدُخول بحجة أن الوفد المصري غير مدعو للاشتراك في أعمال الجمع .

وحرص الجمع في الواقع أن يتهم أثناسيوس بقتل أرسينوس ، مع أن أثناسيوس أرسل نفسه إلى الجمع لكي يبرهن على براءته ، ولكن الجمع واصل اختراع الاتهامات ضد أثناسيوس ، حتّى ذهب هذا إلى القيصر ليرفع دعوته إليه ، فاستغل الجمع هذه الفرصة ، وحكم عليه أثناء غيابه ، وأعادوا أريوس إلى منصبه .

طلب القيصر وفداً من صور ، أوسيب وخمسة آخرين ، وهم الذين قالوا إن أثناسيوس هدد بعدم تصدير القمح من الإسكندرية إلى القسطنطينية ، الأمر الذي أغاظ الإمبراطور ، وفوق ذلك عرف أن هذا الرجل يحاول فصل السلطة الروحية عن السلطة العالمية ، ولذلك صدّق ما قيل ، ووافق قسطنطين على حكم جمع صور ، وخلع أثناسيوس ونفاه ، وأعاد أتيوس إلى مكانه ، هذا يعني انتصار أريوس والآريوسية ، ونُصّب ككاهن في القدس ، لأن الكنيسة المصرية رفضت القرار ، وهناك بقي إلى موته سنة ٣٣١ م ، ومات بمرض (الذيفانطارية) ، وبعد خمس سنوات مات قسطنطين أيضاً ، وتولّى قسطنطين الثاني حكم الغرب ، وأصدر القرار بإعادة كل الأساقفة المنفيين .

جاء في [إتناس ٢٥] أن قسطنطين الثاني كان صاحب المصادرة ، فأحدث إشارة شعب واضطرابات في الأجزاء التي كان يحكمها إخوة قسطنطينوس في الشرق .

وبعد عودة أثناسيوس مباشرة بدأ أوسيب نيقوميديا من جديد في تدبير المؤامرات ضد أثناسيوس ، وعلى رأس المعارضين أوسيب نيقوميديا ، فكتب رسائل إلى الأساقفة ، وإلى رومة ، يدّعي فيها أنّ الشعب المصري لا يرغب في عودة أثناسيوس مرة أخرى .

وأتهم أثناسيوس مرة أخرى بمنع توزيع القمح ، وأساقفة مصريون اجتمعوا في السنة نفسها وأظهروا تأييدهم الكامل لأثناسيوس وابتهاجمهم بعودته .

كانت ردّة الفعل في رومة ، الدّعوة لعقد مجمع مسكوني في رومة ذاتها ، إلّا أنّ الأريوسيين رفضوا هذا الاقتراح ، وقالوا : إنّ القضيّة قضيّة شرقيّة سبق أن صدر بشأنها حكم من مجمع شرقي ، وفي مثل هذا الشّكل استمرت الخصومة خمس مرات .

كان أثناسيوس في المنفى ، والجريمة الوحيدة التي ارتكبها هي دفاعه عن أزيّة الابن ، مثلاً ست سنوات ، من سنة ٣٥٥م إلى ٣٦١م ، في المنفى الرابع ، ولقد عيّن الإمبراطور أحد موظفي المائيّة أسقفًا بدل أثناسيوس ، مما سبب هجر الشعب للكنيسة التي كان يصلي فيها الأسقف الجديد ، مما أغاظ الأسقف ، فطلب من الشرطة (البوليس) إحضار الذين ذهبوا إلى الصّحارى والمقابر للقيام بالصّلاة فيها ، وحاصرت الشرطة الكنيسة والمقابر ، وقبضت على مئات من النّاس ، وألقي بهم في السّجون .

وتؤكد المصادر أنّ أثناسيوس أثناء إقامته في الإسكندريّة بين فترات في المنفى ، وفي الصّحراء ، كان دائماً يعيل إلى مدّ يد المصالحة إلى الأريوسيين ، وأثناسيوس نفسه لم يَر اليوم الذي عقد فيه المجمع المسكوني في القسطنطينيّة سنة ٣٨١م ، [توفي] قبل ذلك سنة ٣٧٣م ، وهذا المجمع - مجمع القسطنطينيّة - قبل القانون النيقاوي ، وأضاف بعض الإضافات حول روح القدس ، روح القدس الرّب المنبثق من الآب .

وهذا الاستعراض من التّاريخ الكنسي في القرون الأولى ، يظهر لنا أنّ القول بأنّ الثّالوث للقدّس مفروض على المسيحيّة قسراً ، بعيد عن الحقائق التّاريخيّة الوجودية في المصادر الوجودية بين أيدينا .

طفولة المسيح :

عن قضية طفولة المسيح ، الإنجيليون يسدلون ستاراً حول طفولة المسيح ، يكاد يكون ستاراً كثيفاً ، ومتى لا يتكلم عن طفولة يسوع ، بل يصف الجو الذي وُلِدَ فيه هذا الطفل ، ولوقا مثلاً يذكر حادثة الختان وتطهير الأم ، ثم يقول : « وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه » [لوقا ٤٠/٢] ، وفي [لوقا ٥١/٢ و ٥٢] : « ثم نزل معها وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لها ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » .

واليهود قالوا عنه : « أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا .. » [متى ١٣/٥٥] ، وفي [الرسالة إلى العبرانيين ١٧/٢] : « من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب » .

ولقد اندهش الكثير من الكتاب من صمت العهد الجديد عن الإفضاء بمزيد عن حياة يسوع ، ونسأل هنا كيف كان يعمل ويتصرف ؟ هل كان يذهب إلى المدرسة .. إلخ ؟ ولكن هم الرسل والإنجيليين أن يجيبوا عن هذه الأسئلة والأمور التي تهم علم النفس والاجتماع .. إلخ ، ولا تشغل عند كتاب العهد الجديد إلا حيناً صغيراً جداً جداً على الهامش ، بل كان هدفهم أن يشرحوا لنا أن يسوع الناصري الذي وُلِدَ من مريم العذراء ، ويسوع المسيح المنتظر الذي يخلص العالم من خطاياهم ، وهدف الأنجيل تبين حقيقة روحية هامة منذ القرن الثاني الميلادي إلى القرن الخامس ظهرت عدّة أناجيل ورسائل نسبها للمؤلفون إلى بعض التلاميذ والرسل لكي يسهل توزيعها وانتشارها ، وتسمى الكتب الأبكر وفيّة ، أو الأناجيل المزيفة ، التي حاولت من الخيال أن تملأ الفراغ الذي تركته الأناجيل .

وهذه القصص أصبحت تسلية المسافرين ، ولأغراض تجارية وسياسية ، وكانوا يقصّون بعضها في هذه السفرات الطويلة ، مع قصص تصف لنا طفولة المسيح ، فالمعجزات كانت تصحبه أينما حلت أخبار أصدقائه عن الأسرار ، والأساطير تكون أساطير .. إلخ ، وانتشرت وذاعت بين الناس ، فالإنجيليون فضلوا على العكس ، الصمت بشأن هذه القضية الثانوية ، وهذه القصص نسبت إلى التلاميذ والرسل ، حتى تستطيع عن طريق هذه العناوين أن تدخل إلى الكنيسة فقراً وتدرس وتقبل كأنجيل قانونية رسولية ، كأنجيل توما ، وإنجيل يعقوب ، وإنجيل المصريين ، وإنجيل يوسف النجار ، وإنجيل العربي ، وإنجيل بطرس ، وإنجيل يوحنا .. إلخ ، ومن الجدير بالذكر أن تعاليم الغنوصية تسيطر على كثير من هذه الأناجيل ، وكما هو معروف أن تعاليم الغنوصية تنكر ناسوت المسيح ، لذلك فهي لا ترى إنساناً حقيقياً ، بل هيئة إنسان كان يأكل ويشرب وينام ، متظاهراً ذات هيئة بشرية غير حقيقية ، ولقد شبّها جسد يسوع بالنور أو شعاع الشمس ، فإنّ النور أو شعاع الشمس يمكن لها أن يخترق لوحاً من الزجاج دون أن يكسر هذه اللوحة ، وهذا ما حدث لمريم العذراء التي احتفظت بعذريتها ، وهذا ما حدث ليسوع في حادثة موته ، فالمسيح لا يمكن أن يموت ، لأنه غير قابل في حال من الأحوال للآلام ، فقد رفض الغنوصيون المسمون (بالعارفين) عقيدة الصلب ، لأنها لا تتفق مع لاهوت المسيح ، ولكي يفسروا هذه القضية يقتبس الكثيرون منهم قصة سمعان القيرواني [لوقا ٢٣/٢٦ و ٢٧] : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروائياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع ، وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كنّ يلطمن أيضاً وينحن عليه » ، ولكن ليس من الإنجيل بل من الأناجيل للزينة التي تجعل من سمعان القيرواني الشخص الذي أخذ مظهر يسوع الناصري وهيئته .

وتقرأ في إنجيل يوحنا للزينة : لست أنا يسوع الملق على الصليب ، ولكن

الإنجيليين كان همهم أن يقدموا أن يسوع هو المسيح ، هم غير باحثين عن يسوع حسب الجسد كما هو مذكور في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس [١٦/٢٥] ^(١) .

إذن نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد ، وإن كنا عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن لا نعرفه بعد ، وما سبق أن قلناه لا يعني بأي حال من الأحوال عدم البحث والتنقيب في التاريخ ، وما في العلوم المختلفة ، عما يقوله التاريخ والعلوم عن يسوع .

وهذه الكتب على الرغم من أخطائها الكبيرة مفيدة لفهم التيارات المختلفة التي كانت تواجهها الكنيسة في القرون الأولى .

ولتوضيح مشكلة وصف الطفولة في الأناجيل ، عندما نجتمع لكي نتكلم عن أمور دينية أو تاريخية لا نتكلم عن أسعار الخضر والفواكه ، لأنها لا تهمنا ، وأيضاً الله يتكلم بما ينفعني ، أو بما ينفع الناس ، ويأخذ الأهم ، هو أظهر لنا في العهد القديم بكل وضوح أن لأحد طبق الناموس الإلهي تطبيقاً كاملاً لأن فطرتنا غير مسلمة ، غرائزنا وشهواتنا تجذبنا ، تسحبنا دوماً إلى الأسفل ، إلى مخالفة الناموس ، والمسيح صابر ، وقال : « لا تظنوا أنني جئت لأتقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأتقض بل لأكمل » [متى ١٧/٥] ، يعني ليطبق الناموس الإلهي تطبيقاً كاملاً ، يعني من البداية إلى النهاية ، ولذلك لا يهمننا ما شرب ، وكيف نام ، بل نسأل الله رسم قانون طبيعي ، وإذا جاء بالجسد ، فنللفروض عليه أن يلتزم به ، ويهمننا في هذا المجال هل جابه كطفل وقته حسب الناموس ، وقدم في الهيكل حسب الناموس ، ثم كبر كطفل عادي ، خضع لوالديه ، يعني طبق الناموس هنا أيضاً ، ولا نريد أن نعرف أكثر .

(١) الإشارة هنا خطأ ، ونظنها : الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس [١٠/٤] : « حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا ، [١١] لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت » .

ولم يأت ليتظاهر بل جاء ليقوم ب مهمة ، لم تفهم ماريا ، أو لم تدرك ماريا ذلك عندما وجدته في الهيكل ، عندما كان في السنة الثانية عشرة ، أي الخضوع تحت الناموس ليكله ، ولا نسأل ماذا فعل بين سنة ١٢ وسنة ٢٠ ، يكفي أن أنه اشتغل نجاراً ، وعمل بيديه حسب الناموس ، حسب التوراة : سأكلك خبزك بعمل يديك .

ولا يوجد في الأناجيل أي وصف عن طفولة المسيح وشبابه ، إلا ما همنا خلاصنا ، فعندما أذهب إلى مكتب كي أحصل على إذن للسفر ، لا همني ماذا يفصل الموظف في وقت فراغه ، أبيع الخضراوات لا ، بل همني هنا عنده تذكرة أم لا ، إذن أم لا ، وهل يستطيع أن يعطيني إذنًا للسفر أم لا .

وهكذا الإنجيل لا يذكر ثانويات ، بل يطرق إخلاء الذات ، يسوع قال : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » [متى ١٦/٢٤] ، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يطلب منا ذلك ، لأنه نفسه طيق ما قاله وأترك نفسه ، وأخلى نفسه أخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وجد في الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى للموت ، موت الصليب .

وهنا نصل إلى سؤال : ما معنى الآية للذكورة مراراً : « إيلي إيلي لما شبقني » أي إلهي إلهي لماذا تركتني » [متى ٢٧/٤٦] ؟ من اللهم أن تكون واعين إلى أن عملية النياحة التي قام بها المسيح لم تكن عملية تمثيلية ، الغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب ، أي أن يصبح هو نفسه الذي لم يعرف خطية ، لأجلنا رفع على الصليب ، فأخذ المسيح مركز الإنسان الخاطيء للمرد المتعبد عن الله ، وبالتالي الإنسان المرفوض من الله ، وعندما احتل المسيح مكان هذا الإنسان الخاطيء المرفوض ، وشرب الكأس إلى نهايته ، وذاق مرارته وعلقمه القاسيين ، صرخ بصوت عظيم : « إيلي إيلي لما شبقني » .

والغرض من الآلام التي اجتازها المسيح هو المصالحة ، أي إنَّ الله كان في المسيح مصالِحاً العالم نفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة .

وتحمَّل المسيح آلاماً جسديَّة كالشهداء الذين تألَّموا بطريقة أكثر وحشيَّة ، وذاقوا العذاب لفترة أطول ، بل تحمل غضب الآب عليه ، فقد كان جواب الآب ليسوع المعلق على الصليب ، ففي أي الله كما يذكر الكتاب : « المسيح افتدانا من لعنة النَّاموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنَّه مكتوب ملعون كلُّ مَنْ عُلِّق على خشبة » ، [رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣/١٢] ، وبمعنى أصح ، لقد حوَّل الله الآب وجهه عن هذا البديل ، حتَّى يتجرَّع الكأس حتَّى نهايتها ، وبذلك صرخ : « إيلي إيلي لما شبعقتي » .

ولا تنس أن يسوع صرخ هذه الصرخة في الساعة التاسعة ، ثلاث ساعات بعد أن بدأت ظلمة شديدة تسود على الأرض ، هذه الظلمة ، وهذه الصرخة تعلن لنا الحقيقة المرَّة المظلمة ، وهي غضب الله الذي انصبَّ على يسوع كممثل للبشريَّة الخاطئة ، المحكوم عليها بالموت ، ولذلك يسلمه للموت حتَّى ينتصر الموت عليه ، ولكن شكرياً لله أن القصة لم تنتهِ هنا ، كما قال يسوع : « انقَضُوا هذا الهيكل ، وفي ثلاثة أيَّام أُقيمه » [يوحنا ١٩/٢] ، أشار في هذا الكلام إلى موته وإلى قيامته ، وهنا نسأل ماهي الآية التي جاء بها يسوع ليثبت مطالبته ويؤكد من خلاصها أنَّه هو يسوع المنتظر ؟ الكلمة للتجسُّد ، كثيراً ما أغاظ اليهود بقيامه بأماله لا تليق إلا بالله ، مثلاً دخوله إلى الهيكل ، وغفران الخطيئة .. إلخ .

وسألوه : أي آية ترينا ؟

ونحن نعرف أن يسوع قام بمعجزات كبيرة حتَّى إحياء الموتى ، وكلُّ هذه العجائب لم تجعلهم يؤمنون به ، لأن أنبياء قبله أيضاً أقاموا الموتى ، مثل (إيليا) ، ونتيجة لهذا الضَّغط من قبل اليهود ، قال لهم : « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يُونان النَّبي » [متى ٢٩/١٢] ، ماهي هذه الآية الجديدة التي سوف يعطيهم

إياها ليثبت لهم أنه أعظم من موسى ، هل هناك عمل خارق يقدر الإنسان أن يقوم به أعظم من إقامة ميت وإعادته إلى الحياة ثانية ؟

هنا احتمال واحد فقط ، وهو أن يقيم نفسه بعد موته ، وكما قيل في [يوحنا ١٨/١٠] : « ليس أحد يأخذها ^(١) مني بل أضعها أنا من ذاتي ، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً ، هذه الوصية قبلتها من أبي » .

وعندما سئل يسوع بعد دخوله إلى الهيكل : من خولك أن تدخل هيكل الله الحي وتتصرف كأنك سيده ؟ أضاف إلى نبوته - أي نبوة يونان - شيئاً جديداً ، أنه تحدى اليهود لينقضوا الهيكل ، الهيكل المملوء بمجد الله ، ولكن هنا يشير إلى نفسه ، وكأنه يقول : انقضوني ، أنا الذي فيّ يحيى كل الملك (رسالة كولوسي ١/٢) : « فإنّه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » .

كأنه يقول : أميتوني ، وعندما أقيم نفسي من الموت بعد ثلاثة أيام سأقدم لكم كل دليل تطلبونه على أنني رب هذا الهيكل ، وبقيامته أقر أنه فعلاً هو كلمة الله المتجسدة ، أو بعبارة أخرى انتصر على الموت ، وهذا الانتصار لا يعني انتصاره هو فقط على الموت ، بل انتصارنا نحن أيضاً عليه ، وحتى تقول : أين شوكتك ياموت ؟ أين غلبتك ياهوية [الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٥٥/١٥] .

وعلى الرغم من الآلام التي اجتازها السيّد ، ومن قيامته ، هو المصالحة ، « أي إن الله كان في المسيح مصلحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة » ، [الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥/١٩] .

والأخ المسلم يسأل أو يتساءل : أين كلمة المصالحة هنا ؟ أين هنا يد المصالحة ؟ وهذه الكلمة صحيح أولاً وأخيراً موجهة إلينا ، وتعني لنا أيضاً أن نعترف بالإسلام ديناً

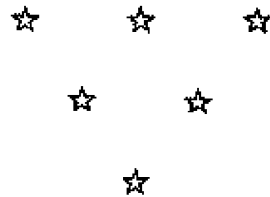
(١) أي الحياة ، كما فسر السيد روديفر .

عالمياً ، موجّهاً للبشريّة كلّها ، وتخدم دين المسلم وقرآنه الكريم ، وتقول : لك دين ولي دين ، كما قال الشاعر خليل جرحس خليل :

دور العبادة مسجد وكنيسة	ولها الهلال مع الصليب جنود
والناس إمّا رافعون أكفهم	جمعاً، وإمّا رُكّع وسجود
ومنسائر بجوارها وماذن	يعلمو الأذان بها ويسمو الجود
وأخي أنا وأخا أخا قرآنه	حسن وإنجيلي هدى وسعود
متعاضدان محبة ومودة	متآخيان وعهدنا مفهود

والشاعر الحكيم المصري يقول :

الله يجمعنا	(١)	فلا يفرّقنا في الأرض إنسان
غدا الصليب هلالاً في توحّدنا		وجمّع القسوم إنجيل وقرآن
أواصر الدّم والتاريخ تجمعنا		فكلنا في رحاب الحبّ إخوان ^(٢)



(١) أثبتنا في البيت ما ذكره السيّد روديفر بلفظه ، وكأنّه عنده بيت على حياله ، غير منتهيه إلى أن ما ذكره لا يقوم له وزن الشعر .

(٢) انتهى كلّ ما قدّمه السيّد روديفر بخطّه ويصوته .

خاتمة

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
انْظُرْ إِلَى يَوْمِكَوْنٍ ۝ ﴾ .

[المائدة : ٧٥/٥]

وبعد ..

فإن من حقِّي أن أقدم رأيي فيما قدَّمه السيّد روديفر براون ، والسبب أنه سمع مني
أولاً ، ثم علّق وناقش وردّ ، ثم قدّم ماقدّم - كتابةً أو صوتاً - ولم تُسجّل لنا ظروفه أن
نلتقي لمتابعة الحوار ، فقد كان يستعد للسفر إلى ألمانيا ، وواقعاً غادر السيّد روديفر
سورية أواخر نيسان ١٩٩٤ م ، وكان على صلة معي في أواخر إقامته ، يزورني في
مكتبي ، وأبدى كلّ تقدير واحترام ، ووعده أن يبقى على صلة ، برسائل وإن قلت .

شكرته على متابعته في تحصيله ، وعلى سعة صدره ، وعلى تقديره واحترامه ،
وذكرته بوعده منذ اللقاء الأول ، بأنّ يقدم الإسلام للناس كما هو عند أبناؤه ، لا كما
تقدّمه الكنيسة الأوربيّة مشوّهاً بافتراءاتها وأكاذيبها .

ولن أذكر في تعلّيقى كلّ شيء ، سأذكر الهام جداً فقط ، وذلك عن قصد ، ألا
وهو أن يعقد القارئ مقارنة بين ماقدّم وبين ماقدّم ، ليصل إلى النتيجة التي يراها
حسب محاكمته وثقافته ، ولن أفرض رأياً ، فأنا ضد فرض الآراء - كما بينت خلال
صفحات هذا الكتاب - ولكنني مع القناعة للكونة من بحث ودراسة موضوعيّين ،
بعيداً عن التعصّب والحقد والمكابرة .

من النقاط البارزة التي يمكن التنبية إليها ، قول السيد روديفر :

- « لأن الروح تفحص كل شيء حتى أعماق الله » ، كلام غير صحيح ، وغير مقبول ، فالإنسان لم يعرف أمر روحه التي بين جنبيه ، فكيف يعرف (أعماق الله) ؟ !
- وركز السيد روديفر على أن أمر الثالوث الأقدس « تفوق مداركنا المحدودة » ،
« لأنها تمثل له سر إيمانه الذي لا يستطيع أن يشرحه » ، « وهو سر على الإحاطة به ،
لذلك لا أجرب أن أحيط الثالوث الأقدس بعقلي المحدود » ..

إن محدودية العقل واردة حينما يريد المرء الحديث عن كنه الذات الإلهية ، لاعتدادنايتها ، وحينما نتكلم عن أبعاد أعماق الكون أو أطرافه ، ومسافاتها بملايين ملايين السنين الضوئية .. أما في معرفة دينه ، وشرح عقيدته فقيمة الوضوح ، لأن العقل ليس بمعزل عن اعتقادي ، وهذا ما عتبت به السيد روديفر عند انتهاء جلسة الأربعاء ١٩٩٤/٢/٩ م ، قلت له : أنا أحدثك عن العقل والفكر وتحكيم المنطق ، وطرح إجاباتي بشكل عملي منطقي ضمن قناة العقل ، حتى الإسراء والمعراج إن لم يقبله العقل رفضته ، إن محمداً ﷺ لم يسر بنفسه ، الله هو الذي أسرى به ، وجعل الإسراء حادثة أرضية يقوم الدليل والبرهان عليها ، لتثبت المعراج ، وقلت له : ياسيد روديفر ، حفيدي عمره يوم أو يومان ، قام من سريره ، وأخذ مفتاح سيارتي ، وقادها ، وقام بنزحه على قمة جبل قاسيون ، هل تصدق كلامي هذا ؟ طبعاً لا ، ولا أنا أصدقه ، ولكن لو قلت لك : أنا أخذت حفيدي من سريره ، وأنا وضعته في السيارة ، وأنا قدتها متنزهاً معه على قمة جبل قاسيون ، ثم عدت به إلى سريره ، هل تصدق هذا الكلام ؟ طبعاً نصدقه ، فهو عقلائي تماماً ، والله المثل الأعلى سبحانه وتعالى ، لم يسر محمد ﷺ بنفسه ، بل الله أسرى به ، وجعل الإسراء - كحادثة أرضية يمكن البرهان عليها - دليلاً على المعراج ، لذلك طلبت قریش وصف بيت المقدس لأنها تعرفه ، وتعرف أن محمداً ﷺ ما رآه في حياته ، وسألته عن غيرها ، ولم تسأله عن سيرة المنتهى ، لأنه من رآها كي يقول : إن الوصف صحيح ، فن عظيمة الحادثة أنها قُتبت إلى حادثة أرضية قام البرهان العقلي عليها ، وحادثة سماوية سبقتها معجزة إلهية سلّمت

قريش بها بعد أسئلتها ، وإلا كان المعراج ممكناً من مكة المكرمة مباشرة ، بلا إسرائ إلى بيت المقدس .

ياسيد رود يغر أنا أحدثك عن العقل ، وتبدأ إجاباتك بعزل العقل : تفوق مداركنا ، سرّاً لا يمكن شرحه ، وعقلي محدود !..

.. وقال : « الله في العبرية Elohim إلهوهم في صيغة الجمع ، ألوهية جامعة » .

قال المختصون لدى مراجعتهم وسؤالهم عن (إلهوهم) :

إيلوها جمعها إيلوهيم ، صيغة مطوّلة من (إيل) بالآرامية elah ، وبالعربية ilah ، وتظهر التسمية (إيلوها) أربعين مرة في سفر أيّوب ، وهي نادراً جداً ماثير إلى إله وثني ، مع ذلك في [الخروج ١٢/١٢] : إن إيلوهيم (آلهة للصريين) ، وقد ترد بمعنى إله وثني مفرد [قضاة ٢٤/١١] ، بل يمكن أن نصادف (إيلوهيم) تسمية لآلهة وثنية [١ مل ٥/١١] .

إيلوهيم : تسمية كنعانية الأصل ، ذات معنى يدل على الجمع ، أخذها عنهم العبرانيون الأوائل ، واستخدموها بالمعنى الإفرادي ، لقد كان في الشرق الأدنى القديم في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، اتجاه مؤكّد شبه توحيد ، وكان يمكن لكلّ إله أن ينتحل صفات الإله الآخر ، وهكذا يمكن أن يدعى إله مفرد elohai (آلهتي) ، أو adonai (أربابي) ، ولم يشعر العبرانيون الأوائل بأيّ حرج في الإشارة إلى إلههم الوحيد بهذه الأسماء .

واستخدمت (إيلوهيم) في التّوراة أيضاً لوصف أشخاص غير إلهيين ، وفي [١ ص ١٢/٢٨] تعني إيلوهيم (شبحاً) ، وفي [زكريا ٨/١٢] استخدمت لوصف بيت داود .

يُوحّد أحياناً بين (يهوه) و (إيلوهيم) في صيغة (يهوه إيلوهيم) ، ويظهر مصطلح (إيلوهيم) ٢٦٠٠ مرة تقريباً في التّوراة ، لكن حتّى عندما تشير كلمة

(إيلوهيم) إلى إله إسرائيل فإنه يمكن التعامل معها بصيغة الجمع [تك ١٣/٢٠] ، لكن الإشارات بصيغة الجمع استخدمها الكتبة التوراتيون كأسماء للآلهة التي أَدانوا عبادة الإسرائيليين لها ، وهو ما نجده في صيغة (إيلوهيم أحريم) أي آلهة أخرى ، [خروج ٢٠/٢٠ ، تثنية ٧/٥] ، أو (إيلوهيم حدشيم) أي آلهة جديدة ، [قضاة ١٥/٥] ، ونلاحظ هنا أن الكتّاب التوراتيين استخدموا المعنى الفردي لكلمة (ألوهيم) في تسمية الآلهة المحرّمة مثل عشتار ، ملكوم ، كاموش [٢ مل ١١/٥ ، ١١/٣٣] .

ولأنّ (إيلوهيم) مقابلة لـ (أناشيم) ناس [قضاة ١٣/٩] ، فهي يمكن أن تتضمّن أيضاً درجات بين التّوعّين : الإلهي والبشري ، وبين تلك الدّرجات نجد الأرواح [١ مل ١٣/٢٨ ، ١ ش ١٩/١٨] ، والآلهة الصّغيرة [تك ١٥/٤٨ و ١٦] .

ويمكن استخدام مصطلح (إيلوهيم) في تعابير وصفية ، وذلك بمعنى العظمة ، والقوّة وما شابه ذلك ، مثلاً : روح إيلوهيم ، أي ريح عظيمة [تك ٢/١] ، نسيم إيلوهيم : أمير كبير [تك ٦/٢٣] ، نفتولي إيلوهيم : صراعات عنيفة [تك ٨/٣٠] .

فكيف فهم السيّد روديفر Elohim ألوهية جامعة ، ليستدل بذلك على التثليث وتعدد الإله ؟!

- ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ [البقرة : ٢٨/٢] ، ألا يعني ذلك الجنس البشري كلّهُ ؟

لا ، الخطاب لأدم وحواء وإبليس ، ويوضح ذلك ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ ، أي الشيطان عدو لكم ، [صفوة التفاسير ٥١/١] .

- « نرى الثلاثة والتّوحيد في الوقت نفسه » .

وكلّ ما سبق هذه العبارة من استشهادات لا يدل على صحّة هذه النتيجة مطلقاً .

- واستشهد السيد رودينر بتفسير الرازي لعنى كلمة (المسيح) ، فأورد قولاً مشوشاً مبتوراً .

جاء في (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازي [٤٩٨ - ٥٠] في تفسير قوله تعالى : ﴿ المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ، المسيح هل هو اسم مشتق أو موضوع ؟
الجواب فيه قولان : الأول : قال أبو عبيد الليث : أصله بالعبرانية مشيحاً ، فعربته العرب وغيروا لفظه .

القول الثاني : إنه غير مشتق ، وعليه الأكثرون .

قال ابن عباس : إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً ، لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا أبرئ من مرضه .

قال أحمد بن يحيى : سمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها ، ومنه مساحة أقسام الأرض .

إنه كان مسيحاً لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى .
إنه مسح من الأوزار والآثام .

سُمي مسيحاً لأنه ما كان في قدمه خوص ، فكان ممسوح القدمين .
سُمي مسيحاً لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك ، يُمسَحُ به الأنبياء ، ولا يُمسَحُ به غيرهم ، ثم قالوا : وهذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل ما مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبياً .

سُمي مسيحاً لأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مسّ الشيطان .

سُمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن .

قال أبو عمرو بن العلاء : المسيح : الملك .

قال النخعي : للمسيح الصدية . ، والله أعلم .

هذا ما أورده الإمام الفخر الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) حرقياً ، لا ما أورده السيد روديفر

- وقال السيد روديفر : « كلمة الله » ، و « روح منه » ، لقبان انفرد بهما للمسيح .

لا ، لم ينفرد بهما السيد المسيح .

لأن (كلمة الله) كانت : (كن) ، أي كن من غير واسطة أب أو نطفة ، و (كن) وردت عدة مرّات في كتاب الله المجيد :

- ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧/٢] .

- ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧/٣] .

وبشأن آدم عليه السلام : ﴿ خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران :

٥٩/٣] .

- ﴿ إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠/١٦] .

- ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٢٥/١٩] .

- ﴿ إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٧٢/٣٦] .

- ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [غافر : ٦٨/٤٠] .

إن (كلمة الله) : كن كانت بحق السيد المسيح ، وبحق آدم ، وبحق : ﴿ إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا .. ﴾ .

و ﴿ روح منه ﴾ أي ذو روح مبتدأة من الله ، وهو أثر نفخة جبريل عليه السلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النفخة ليعيش .

و (من روح الله) ، و (روحنا) ، و (من روعي) جاءت في آيات عديدة :

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧/١٩] ، أي فأرسلنا إليها جبريل عليه السَّلام .

- ﴿ فَتَنَفَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ١١/٢١] ، كناية عن وضع سرٍّ من أسرار الله تعالى في بطنها كان به وجود جنينها عيسى وحياته ، ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ، أي من جهة روحنا جبريل ، الذي نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى .

- ﴿ فَتَنَفَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢/٦٦] ، أي فننفخنا فيه روحاً من خلقنا بلا وساطة أب .

وبحق آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩/١٥] .

وبحق آدم أيضاً : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص : ٧٢/٢٨] .

وهكذا (كلمة الله) ، و (روح منه) لقبان لم ينفرد بهما للمسيح ، ومع ذلك فلنقرأ الآية بشكل كامل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَزَوْجٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٧٧/٤١] .

فلنتمعن به :

- ١ - ﴿ لَا تَغْلُوا ﴾ .. لا تجاوزوا الحدَّ ، ولا تفرطوا فيه .
- ٢ - ﴿ إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، رسول الله ، والرُّسل كُثُر ، هو أحدهم .
- ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ، فآمَنوا بالله ، لا بالمسيح ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وهنا المسيح ضمناً في رُسُل الله .

٤ - ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ ، رفض للتثليث .
٥ - ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ ، فبعد الأمر بالانتهاء عن القول ثلاثة ، تأكيد على التوحيد ، وتذكير بملك الله العظيم .

وهكذا .. الآية ذاتها ناطقة بالتوحيد ، مؤكدة عليه ، رافضة التثليث ، « السَّامِ جَرُحٌ وَالْأَسَاءَةُ غَيْبٌ » .

- وقال السيد روديفر : « الإنجيليون يسدلون ستاراً كثيفاً » .
ونتساءل : لِمَ هذا الاتفاق للسبق ؟ هل هو مصادفة ؟ أم لأسباب أخرى فرضت هذا الستار الكثيف ؟

وقال السيد روديفر : حياة يسوع من ١٢ إلى ٣٠ من عمره « قضية ثانوية » .
عجيب غريب أن تكون ١٨ سنة من حياة يسوع « قضية ثانوية » ، فلا تعليق على كون حياة أقنوم من ثلاثة أقانيم - في عقيدة روديفر - ثانوية .
- وقال السيد روديفر : « عندما نجتمع لأمر دينية أو تاريخية لا نتكلم عن أسعار الخضر والفواكه لأنها لا تهمنا » .

صحيح هذا القول ، ولكن عندما نجتمع لبحث أسعار الخضر والفواكه ، العكس صحيح ، لا نتكلم عن أمور دينية أو تاريخية لأنها لا تهمنا .

حياة يسوع ٣٣ سنة ، ضاع منها مع سِنِّي الطفولة ثماني عشرة سنة أخرى ، هذا غير مهم ، « لا يهمننا كيف شرب ونام » ، بل يهمننا لنشرب مثله وننام مثله ، إنه القدوة لأتباعه ، « ولا نريد أن نعرف أكثر » ، لماذا ؟ بل نريد أن نعرف كل لحظة في حياته ، وهو الذي وُلِدَ بمعجزة .

- « إيلي إيلي لما شبيقتني » ، على الرّغم من تفسير السيد روديفر ، نتساءل : ألا يعلم السيد المسيح ما يفعل به ، وما الهدف ؟ فلو عرف المعنى الذي قدّمه السيد روديفر لما سأل .

وإن غاب عنه المعنى ، أين الألوهية !

- ومثال بائع تذكرة السّفر ، لا تنطبق أيضاً على حياة يسوع ، فأنا - حقاً - لا تهمني من حياة بائع التذكرة إلا التذكرة ، ولا ألقاه إلا مرات محدودة في كل حياتي ، وذلك عند السّفر ، ولكن تهمني حياة يسوع كلها وبتفاصيلها الدقيقة ، في كلّ ساعة في حياتي لأقتدي بها وأعمل كما عمل ، فهو القدوة والأسوة .

كيف تصرّف في كلّ موقف ، كي أتصرّف - في حياتي - كما تصرّف .

لقد استشهد السيّد روديفر بالتّوراة والإنجيل ، ولكنه لم يتطرق إلى موثوقيتها ، ومتى كتبت ، وأوجه الخلاف والتناقض بينها .

وهكذا .. لم يجب عن :

- كيف نقسّر وجود التثليث في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيّة !
- وكيف نقسّر وجود الصلب أيضاً في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيّة !

- ولماذا لم يقد خطايا البشريّة - وهو الرّب - دون صرخات وآلام .. !
- ولم يتوقف عند دور العقل والعلم قبالة الرّموز والأسرار ، وقبولها تسليماً دون حوار ، ممّا سبب انتشار الإلحاد في أوربة ، حتّى لم يبق سوى ٥% من يزورون الكنائس في الآحاد .

- ولم يتطرق إلى مكتشفات مفسّاور قرآن ، مكتشفات البحر الميت ، ولا إلى مكتشفات قنّا (نجع حمادي) .

إن بساطة الإسلام ، ووضوح مبادئه ، جعلته الأقدر على كسب الأتباع ، وهو الأول بين عقائد العالم في مخاطبة العقل ، ومواكبة العلم .

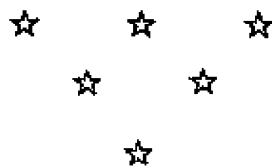
وإن الذي قدّمته خاضع للحوار ، ولا أقول هو الإسلام ، بل أقول : إن الذي قدّمته ، ما فهمته أنا من الإسلام ، ولا أحل الإسلام فهمي الخاطيء إن أخطأت أو سهوت .

كما وإنني لا أقول إن ما قدّمه السيّد روديفر براون هو الرّدّ للمسيحي الكنسي عن أسئلتي ، بل إنه ما فهمه عن دينه .

لذلك .. وليبقى الحوار دائماً - بشروطه وآدابه - بين المسلمين ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة ، وضمن الجماعات فيما بينها ، وبين السنة والشيعة للتواصل ووحدة الصف ، وبين المسلمين والعلمانيين ، وبين المسلمين والمسيحيين بهدف البحث عن الحق لأتباعه ، والخضوع إليه دون موارد أو تعصب .

قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ وَإِذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ، وَإِنْ حَادَّكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الحج : ٦٨/٦٩ - ٦٩] .

والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخرأ .



المصادر والمراجع

- آفاق المستقبل ، جاك أتاني ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- أسرار الثقاتيكان (قضية ليدل) ، ليوبولد ليدل ، ترجمة تحسين حجازي ، دار التضامن ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
- أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح ، أشرف على التحرير البروفيسور جون هيلك ، تعريب د . نبيل صبحي ، دار القلم - الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .
- الإسلام كبديل ، د . مراد هوفمان ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات مع مجلة النور الكويتية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
- إظهار الحق ، رحمة الله خليل الرحمن الكيرنوي الهندي العثماني ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٩٨٩ ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل مكّاوي .
- أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس آرنولد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ م .
- أعيان الشيعة ، العلامة محسن الأمين ، دار المعارف للطبوعات ، بيروت ١٩٨٣ م .
- البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .
- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) د . يوسف الحسن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ م .

تاريخ أوربة في العصور الوسطى ، هـ . أ . ل فيشر ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة (بلا تاريخ) .

تاريخ الرسل والملوك ، ابن جرير الطبري دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ١٩٦٠ م .
تاريخ العالم ، السير جون همرتون ، مكتبة النهضة المصرية .
التفسير الكبير ، الفخر الرازي محمد بن عمر التيمي البكري (فخر الدين) ، طبعة دار الفكر بيروت .

تنصير المسلمين (بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو والتنصيري) ، عبد الرزاق دياربكري ، دار النفائس الرياض .
جواهر الأدب ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف بيروت .
الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٣ م .

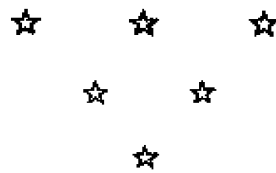
حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م .
حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات ، إعداد قسم العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
الحيدة ، عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، د . موريس بوكاي ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس .

رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة الطبعة السابعة ١٩٥٨ م .

صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الرشد (بلا تاريخ) .
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦ م .
قصة الحضارة ، ول ديورانت ، للنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية القاهرة .

- العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التّنير ، بيروت ١٣٣٠هـ / ١٩١٢ م .
- مجموعة رسائل في علم التّوحيد ، صحّحه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني ، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- محاضرات في النصرانيّة ، محمد أبو زهرة ، دار الكتاب العربي ، مصر الطبعة الثالثة ١٩٦١ م .
- المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب ، ترجمة د . إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة العدد ١٧٣ ، عدد أيار (مايو) ١٩٩٣ م .
- مقالات إسلاميّة ، مرتضى المطهّري ، دار التّعارف للطبوعات بيروت .
- موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين بيروت .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، النّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي ، الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .
- مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة ، المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم ومكتب التّربية العربي لدول الخليج . صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري .
- نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، منشورات دار الهجرة بيروت .
- ينابيع المسيحية ، خوجة كال الدين ، تعريب إسماعيل حامي البارودي ، لجنة المحققين لندن ١٩٩١ م .



المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الحوار دائماً ضمن الجماعة الإسلامية الواحدة	١٥
من ركائز الحوار ضمن الجماعة الواحدة	٢٣
الحوار دائماً بين الجماعات الإسلامية على مختلف مواردها وقنواتها	٢٥
الحوار دائماً بين السنة والشيعية	٣٣
الحوار دائماً بين المسلمين وبين العلمانيين	٤٧
الحوار دائماً بين المسلمين وبين أهل الكتاب	٥٢
وثائق من الحوارات	٥٥
رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى المسيح بن إسحاق الكندي، يدعوه بها إلى الإسلام	٥٧
حوار مع مستشرق	٦٣
اللقاء الأول : الحوار الإسلامي-المسيحي	٦٥
اللقاء الثاني : آفاق الإسلام في أوربة	٧٦
اللقاء الثالث : الوثنية تُقْحَم بالمسيحية	٨٣
اللقاء الرابع : كيف طرأت الوثنية على الديانة المسيحية الموحدة ؟	٨٨
هل وُجد المسيح حقاً ؟	٨٨
نشأة عيسى	٩٢

٩٤	الرّسالة
٩٥	الرّسل
٩٨	قسطنطين والمسيحيّة
١٠٥	اللقاء الخامس : الإعجاز في القرآن الكريم
١٠٦	الإعجاز اللّغوي
١١٣	الإعجاز العددي
١١٦	اللقاء السادس : الإعجاز في القرآن الكريم
١١٧	الإعجاز العلمي
١٢٢	الإعجاز الغيبي
١٢٥	الإعجاز التشريعي
١٢٦	اللقاء السابع : أعلام الحوار في الوقت الحاضر
١٢٦	مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين
١٢٧	إلى أيّ حدّ تؤثر الحملات الصليبيّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟
١٢٨	أسماء بعض المستشرقين الذين قدّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي
١٢٨	ما الكتب التي تخدم المسلمين في الاطّلاع على للمسيحيّة ؟
١٢٩	الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين
١٢٩	ظاهرة التبشير المسيحي الغربي ، وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين
١٣٠	مؤتمر كولورادو
١٣٢	نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي-المسيحي
١٣٤	مستقبل المسيحيّة في المنطقة
١٣٤	الهويّة الإسلاميّة ضمن العروبة

الموضوع	الصفحة
اللقاء الثامن : (إجابة السيد روديفر براون) :	١٣٥
محدودية العقل	١٣٦
آيات كتابيّة	١٣٧
ألوهية المسيح	١٣٨
سقوط آدم	١٣٩
شهادة العهد الجديد	١٤٢
شهادة القرآن الكريم	١٤٧
كلمة الله، وروح منه	١٥٠
استعراض تاريخ الفكر المسيحي	١٥٠
كلام عن تاريخ الفكر المسيحي	١٥٧
طفولة المسيح	١٦٧
خاتمة	١٧٤
نقاط بارزة يمكن التنبيه إليها	١٧٤
إلوهيم (Elohim) في صيغة الجمع	١٧٦
الفخر الرّازي وتفسير ﴿المسيح عيسى ابن مريم﴾	١٧٨
(كلمة الله، وروح منه) لقبان أنفرد بهما للمسيح	١٧٩
ما لم يجب عنه السيد روديفر	١٨١
الإسلام هو الأقدر على كسب الأتباع	١٨٣
للمصادر والمراجع	١٨٥

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

إلى الأستاذ الدكتور
شمس أبو خليل
تعليقات عن قضية
التعليق والصلب.

روديفر بروكس
Rudiger Braun
١٣ | ٤ | ٩٤

الحوار دائماً للتواصل . وتنفيذاً لأمر الله تعالى :
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة ٢/٢٥٦] ،
والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصف ، الحوار الذي يفتح
الأبواب الموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين
الآخرين ، ويزيل ما توهم كل عن الآخر .
الحوار دائماً بعيداً عن المواقف المتحجرة ، التي توصل إلى
ضييق الأفق ، والبعد عن الحقيقة .
والحوار ضرورة ، ولكن ضمن (مبدا) هو آداب الحوار
وشروطه ، فالحوار الصحيح - إن صدقت النيات - لا يصل
فيه أحد الطرفين إلى قواعد ، أو نتائج : إن محيط نصف
الدائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكهما بكلمة (نصف) ،
أو : دائرة مربعة ، أو مثلث متوازي الأضلاع .

To: www.al-mostafa.com